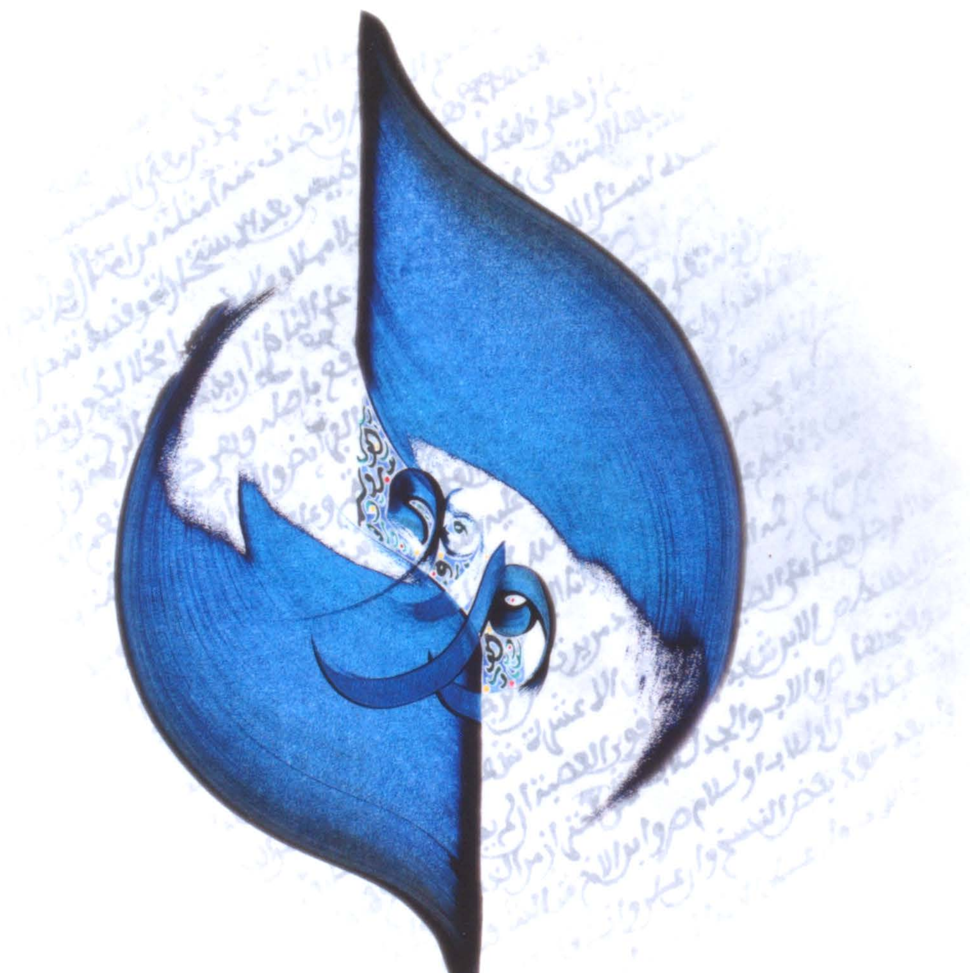
◆ سلسلة اللغة العربية

البلاغة الميسَّرة



مركز نون
للتأليف والترجمة

اسم الكتاب: البلاغة الميسرة
إعداد: مركز نون للتأليف والترجمة
نشر: جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة
الطبعة الأولى: 2014م - 1435هـ

سلسلة المعارف الإسلاميّة

البلاغة الميسّرة

مركز نون للتأليف والترجمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

الفصل الأوّل: علم البيان

الفصل الثاني: علمُ المعاني

الفصل الثالث: البديع

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه نبي الإسلام محمّد وعلى آله الطاهرين وصحبه المنتجبين وبعد.

البَلاغـةُ فنٌّ مِنَ الفُنونِ، يَعتمِـدُ عَلَى صَفَاءِ الاستعدادِ الفطـريّ ودقَّةِ إدراكِ الجَمَالِ ، وتَبينِ الفُروقِ الخفيةِ بينَ صُنوفِ الأسَاليبِ. وهي لفظٌ ومعنًى، وتأليفٌ للألفاظ يمنحُها قوةً وتأثيراً وحسناً، ثم دقةٌ في اختيارِ الكَلِماتِ والأساليبِ عَلَى حَسبِ مَواطنِ الكلامِ ومواقِعِهِ، وَمَوضُوعاتِهِ ،وحالِ السَّامعينَ.

ولا يخفــى ما للبلاغة، مــن أهمية بالغة فــي دراسة العلــوم الدينيّة، بخاصة القرآن الكريم، والأحاديث الشريفة؛ لأنّ الدارس لعلوم البلاغة سوف يقف على الصــور البيانيّة، وألوان من الفنــون الأدبية، والصور الفنيــة، بغية الوصول إلى المعاني الدقيقة للآيات القرآنية والنصوص العربية بشكل عام، هذا إضافة إلى تكوين ذوق أدبي ناضج وسليم، لدى طالب العلم.

هــذا الكتاب (البلاغة الميسّرة) عبارة عــن متن تعليمي في البلاغة العربية في علومها الثلاثة (علم البيان، وعلم المعاني، وعلم البديع)، عالجنا فيه مجمل الموضوعــات البلاغيــة المتعارفة، ومعانــي المصطلحات البلاغيــة ودلالاتها، وكان ذلك من خــلال التدرّج مع الطالب خطوة، خطوة حتى يصل إلى استنباط القاعدة بدقة ويسر. وقد اتكأت دروس هذا الكتاب على أمثلة من القرآن الكريم

والأحاديث الشريفة، وأقوال الأئمة الهداة، ثم النصوص الأدبية الملتزمة لكبار أدباء العربية قديماً وحديثاً. كما يتميّز هذا الكتاب بالجدة، والطرافة، والتيسير، وتقليل التقسيمات والفروع المتشعّبة والمتعارفة في كتب البلاغة، واعتماد الموضوعات البلاغية المهمة والواضحة.

ومن الخصائص التعليمية المهمّة لهذا الكتاب أنّه يعتمد على التطبيقات والتمارين المفصّلة والتي تركّز على فهم القواعد، وتذوّق روعة المعاني من الأمثلة التي تجمع بين آيات القرآن والشعر العربي القديم والمعاصر.

مركز نون للتأليف والترجمة

الدرس الأوّل

الفصاحةُ

أهداف الدرس

1- أن يتعرّف الطالب إلى معنى الفصاحة.

2- أن يدرك الطالب شروط فصاحة الكلمة.

3- أن يدرك الطالب شروط فصاحة الكلام.

معنى الفصاحة:[1]

الفَصَاحَةُ لُغَةً: تُطْلَقُ الفَصَاحَةُ فِي اللَّفْظِ عَلَى مَعَانٍ كثِيرَةٍ مِنْهَا: البَيَانُ، وَالظُّهُورُ، والانكِشَافُ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى ﴾[2]. أيْ: أَبْيَنُ مِنِّي مَنْطِقاً، وَأَظْهَرُ مِنِّي قَوْلاً.

يُقَالُ: أَفْصَحَ الصَّبِيُّ فِي مَنْطِقِهِ، إِذَا بَانَ وَظَهَرَ كَلَامُهُ.

وَقَالَتِ العَرَبُ: أَفْصَحَ الصُّبْحُ: إِذَا أَضَاءَ.

يذكر علماء البلاغة عادةً انقسام الفصاحة إلى فصاحةٍ في الكلمة، وفصاحة في الكلام، وفصاحة في المتكلّم، ثم يعرّفون الفصاحة في كل قسم من هذه الأقسام على حدة، ويعلّلون ذلك بأنّه يتعذّر جمع المعاني المختلفة غير المشتركة في أمرٍ يعمّها في تعريفٍ واحد.

الفَصَاحَةُ فِي الاصْطِلاَحِ: هِيَ الأَلفَاظُ البَيِّنَةُ الظَّاهِرَةُ المُتَبَادِرة إِلَى الفَهْمِ، ومَأْنُوسَةُ الاسْتِعْمَالِ لِمَكَانِ حُسْنِهَا، وَهِيَ تَقَعُ وَصْفاً لِلكَلِمَةِ، أو الكَلَامِ والمُتَكَلِّمِ.

(1) ويستعمل بعض علماء البلاغة بين «البلاغة والفصاحة» استعمال الشيئين المترادفين على معنى واحد في تسوية الحكم بينهما، ومن هؤلاء العسكري في «الصناعتين»، والفخر الرازي في «نهاية الإيجاز» ويشهد لذلك قول الجوهري في «الصحاح»: الفصاحة البلاغة. على أن معظمهم يرى أن الفصاحة: صفة للفظ، وأن البلاغة: صفة للمعنى مع اللفظ، والمعنى أن الكلام لا يكون بليغا إلا إذا كان فصيحا في الوقت نفسه. فلا بد لأيّ كلام بليغ أن تكون ألفاظه فصيحة، وقد يكون الكلام فصيحاً وهو غير بليغ إذا لم تتناسب الكلمات الفصيحة مع المقام الذي قيلت فيه.

(2) سورة القصص، الآية: 34.

فَصَاحَةُ الكَلِمَةِ:

مَا هِيَ شُرُوطُ اللَّفْظَةِ الفَصِيحَةِ؟

أَوْرَدَ العُلَمَـاءُ شُرُوطاً يَنْبَغِي تَوَافُرُهَا فِي اللَّفْظَةِ الوَاحِدةِ حَتَّى تَكُونَ فَصِيحَةً، وَمِنْ هَذِهِ الشُّرُوطِ:

- أَنْ تَكُونَ الكَلِمَةُ مُتَبَاعِدَةَ المَخَارِجِ.
- أَنْ تَكُونَ الكَلِمَةُ الفَصِيحَةُ غَيْرَ مُتَوَعِّرَة.
- أَنْ لا تَكُونَ مِنْ أَلْفَاظِ العَامَّة[1].

وَمِنَ الموانع التي تمنع تحقّق الفصاحة في المفرد.

1 - تَنَافُرُ الحُرُوفِ فِيهَا:

كَيْفَ يَكُونُ تَنَافُرُ الحُرُوفِ؟

يَكُونُ بِتَتَابُعِ الحُرُوفِ المُتَقَارِبَةِ فِي المَخَارِجِ، فَتَكُونُ الكَلِمةُ مُتَنَاهِيَةً فِي الثِّقلِ عَلَـى اللِّسَانِ وَيَكُـونُ نُطْقُهَا عَسِيراً، وَلَا ضَابِـطَ لِمَعرِفَةِ الثِّقَـلِ والصُّعُوبَةِ سِوَى الذَّوقِ السَّلِيمِ المُكتَسَبِ بالنَّظَرِ فِي كَلامِ البُلَغَاءِ ومُمَارَسةِ أَسَالِيبِهمْ.

ومِثَالُ ذَلِكَ:

أ- رُوِيَ أَنَّ أَعْرَابِيّاً سُئِلَ عَنْ نَاقَتِه فَقَالَ: «تَركتُها تَرْعَى الهِعْخِعَ»[2].

ب- وَقَولُ امرِؤ القَيْسِ:

غَدائِرُها مُستَشزِراتٌ إِلـى العُلا تَضِلُّ العِقاصَ في مُثَنّىً وَمُرسَلِ[3]

(1) العامة من الناس: خلاف الخاصة، والعاميُّ المنسوب إلى العامة. ومن الكلام: ما نطق به العامة على غير سنن الكلام العربي.

(2) قال الخليل في كتابه العين: سمعت كلمة شنعاء لا تجوز في التأليف الرباعيّ. سئل أعرابي عن ناقته فقال: تركتها ترعى الهِعْخِعَ، فسألنا الثقات من علمائهم فأنكروا أن يكون هذا الاسم من كلام العرب. وقال الفذُّ منهم: هي شجرة يتداوى بورقها.

(3) الغدائر: جمع الغديرة، وهي الخصلة من الشَّعر. الاستشزار: الارتفاع. العقيصة: الخُصلة من الشَّعر والجمع عقص وعقائص وعِقاص.

يقــولُ: ذَوائِبُهَــا وغَدَائِرُهَا مَرفُوعَاتٌ إلى فَـوْقٍ، يُرَادُ بِهَا شَدّهَــا عَلَى الرَّأسِ بِخيوُطٍ، ثمَّ قَالَ: تَغِيبُ عَقَائِصُها فِي شَعْرِهَا بَعضُهُ مُثنًى وبَعْضُهُ مُرْسَلٌ.

نُلاحِــظُ الثِّقلَ فِي: «الهِعْخِعَ - مستشــزراتٌ» وصُعوبةَ النُّطْقِ بِهِمَا، لِذَا، فَهُمَا كَلِمَتانِ خَارِجَتانِ عَنِ الفَصَاحَةِ.

2 - الغَرَابَةُ فِي الاسْتِعمَالِ:

بِحَيْثُ تَكُونُ الكَلِمَةُ وَحشِيَّةً لَا يَتَّضِحُ مَعْنَاهَا إلَّا بَعْدَ النَّظَر فِي كُتُبِ اللُّغَةِ.

فَقَدْ رُوِيَ عَنْ عِيسى بنِ عمرَ النَّحْوِيِّ أنَّه سَقطَ عَنْ حِمَارٍ فاجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ فَقَالَ لَهُمْ: مَا لَكُمْ تَكَأْكَأْتُم عَلَيَّ تَكَأْكُؤكُم عَلَى ذِي جِنَّةٍ؟! افْرَنْقَعُوا عَنِّي![1]

وَمَعْنَــى هَــذَا الكَلامِ: مَــا لَكُــم اجتَمَعْتُم علــيَّ اجتِمَاعَكُم عَلَــى مَجْنُونٍ؟ تَنَحَّــوا عنّي! فالكلمتان: «تَـكَأْكَأ - افْرَنْقَعَ» كلمتَــانِ خَارِجَتَانِ عَنِ الفَصَاحَةِ لِغَرابَتِهِما.

وَمِــنْ ذَلِـكَ أيْضاً استِخْـدامُ كَلِمــةِ «عُسْلُوج» بَـدَلَ «غُصْـنٍ» و «حَقَلَّـدٍ» بَدَلَ «البَخِيلِ».

3 - مُخَالَفَةُ القياسِ:

أيْ مخَالَفتَها لِقَواعِدِ القِيَاسِ الصَّرفيِّ

وَمِثَالُ ذَلِكَ: قَوْلُ أبِي النَّجْمِ[2]:

الــحَـمْـدُ للهِ الـعَـلِـيِّ الأجْـلَـلِ   الــواحِـدِ الـفَـردِ الـقَـدِيـمِ الأوَّلِ

(1) تكاكاتم: اجتمعتم. ذي جِنَّة: جنون. افرنقعوا: انصرفوا

(2) الفضل بن قدامة العجلي، أبو النجم، من بني بكر بن وائل. 130 هـ، 747 م من أكابر الرجّاز ومن أحسن الناس إنشاداً للشعر.نبغ في العصــر الأمــوي، وكان يحضر مجالس عبد الملك بن مروان وولده هشــام. قال أبو عمرو بن العلاء: كان ينزل سواد الكوفة، وهو أبلغ من العجاج في النعت.

فَكَلِمَـةُ «الأَجْلَـلِ» هُنَـا خَرَجَتْ عَنِ القِيَاسِ، إذِ الصَـوَابُ أنْ يُقالَ: «الأجلّ» بالإدْغَامِ، ولا مسوِّغَ لِفَكِّهِ.

4 - الكَرَاهَةُ فِي السَّمْعِ

بِأَنْ تَكُونَ الكَلِمَةُ مَمْجُوجَةً، يَنْفِرُ مِنْهَا السَّامِعُ، كَقَوْلِ المُتَنَبِي:

مُـبَـارَكُ الاِسْـمِ أَغَـرُّ اللَّقَبْ   كَريمُ الجِرِشّى شَرِيفُ النَّسَبْ[1]

فَكَلِمَةُ الجِرِشَّى كَلِمَةٌ تَستَثقِلُهَا الأَسْمَاعُ، لِذَا هِي كَلِمَةٌ خَارِجَةٌ عَنِ الفَصَاحَةِ.

فَصَاحَةُ الكَلَامِ:

وَلِكَي يَكُونَ الكَلامُ فَصِيحاً، يَجِبُ أَنْ يَخْلوَ مِنَ العُيُوبِ التَّالِيةِ:

1 - ضَعْفُ التَّأليفِ، وَعَدَمُ التِزَامِ القَواعِدِ اللُّغَوِيَّةِ فيه، وَمِثَالُ ذَلِكَ، نَصْبُ الفِعْلِ المُضَارِعِ بِلاَ نَاصِبٍ نَحْوُ:

انْظُرَا قَبْلَ تَلُومَانِي إِلَى   طَلَلٍ بَيْنَ النَّقَا والمُنْحَنَى[2]

وَمِنْهُ كَذَلِكَ: «ضَرَبَ غُلامُهُ زَيداً»

هنَا يُرِيدُ القَائِلُ أنْ يَقولَ: «إنَّ زَيداً ضَرَبَه غلامُه»

ولكنَّه أخطأ فِي تَرتِيبِ الكَلِمَاتِ، فَجَعَلَ الضَّميرَ فِي «غُلامُهُ» يَعُودُ عَلَى مُتَأَخِّرٍ لَفظاً وَرُتبَةً، وَهوَ المَفْعُولُ بِهِ «زيداً».

ورُجُوعُ الضَّميرِ إلى المفعولِ بِهِ المتأخِّرِ لفْظاً وَرتبَةً، مُمتَنِعٌ عِنْدَ أَهْلِ اللُّغَةِ[3].

---

(1) كريم الجرشى: أي كريم النفس، والبيت من قصيدة مطلعها:

فهمت الكتاب ابرُّ الكتب   فسمعاً لأمر أمير العربْ

(2) لم اعثر على قائله.

(3) ومن الشواهد على ضعف التأليف قول حسان بن ثابت:

«ولو أن مجدا أخلد الدهر واحدا   من الناس أبقى مجدُهُ الدَّهْرَ مُطْعِمًا»

2 - تَنَافُرُ الكَلِمَات:

بِحَيْثُ يسبِّبُ اتِّصالُ بعضها ببعضٍ ثِقَلَها على السَّمْعِ، وصُعوبةَ أدائِهَا باللِّسَانِ، لِكَثْرَةِ الحُرُوفِ المُتَشابِهةِ فِيهَا، وتِكرارِهَا فِي التَركِيبِ الوَاحِدِ، كَقَولِ الشَّاعِرِ:

وقَبرُ حربٍ بمكانٍ قَفْرُ   وليسَ قربَ قبْرِ حربٍ قبرُ[4]

ومِنْ ذَلِكَ قَولُ أَبِي تمَّام:

كَريمٌ مَتى أَمدَحْهُ أَمدَحْهُ وَالوَرى   مَعي، وَمَتى ما لُمتُهُ، لُمتُهُ وَحدي

فَإِنَّ فِي قَولِ «أمدَحْهُ» ثقلاً مَا، لِمَا بَيْنَ «الحَاءِ» و «الهَاءِ» مِن تَنَافُرٍ، ولَكِنَّه دُونَ البَيْتِ الأَوَّلِ فِي التَّنافُرِ.

3 - التَّعْقِيدُ:

أَنْ لَا يَكونَ الكَلامُ ظاهرَ الدَّلَالَةِ عَلَى المُرادِ بِهِ، وعَدَمُ وُضُوحِ المَعنَى يَرجِعُ إِلَى سَبَبينِ:

أ. التَّعقِيدُ اللَّفظِيُّ: وَهُوَ أَنْ تَكونَ الأَلْفاظُ مرتَّبةً لَا عَلَى وفْقِ تَرتِيبِ المَعَانِي، فَيَفسدُ نِظَامُ الكَلَامِ وتَألِيفُهُ، بِسَببِ مَا يَحْصَلُ فِيهِ مِنْ تَقْديمٍ وتَأخِيرٍ، كَتَقْديمِ الخَبَرِ عَلَى المبتدَأ فِي مَكَانٍ يُوجِبُ اللَّبسَ، أَو فَصْلٍ بَيْنَ المُتلازِمَينِ، كالمُستَثْنَى وَالمُستَثْنَى مِنْهُ، أو المُضَافِ والمُضَافِ إِليْهِ، فَيصبِحُ الكَلَامُ حِينَهَا خَفِيَّ الدَّلَالَةِ عَلَى المَعْنَى المُرادِ، كَقَولِ أَبِى الطَّيِّبِ المُتَنَبِّي:

أَنَّى يكُونُ أبا البَرِيَّةِ آدَمٌ   وأبُوكَ والثَّقَلانِ أنتَ محَمَّدُ؟

«والوضعُ الصحيحُ أن يقولَ: كيفَ يكونُ آدمُ أبَا البَرِيَّةِ، وَأَبُوْكَ مُحَمَّدٌ، وَأَنْتَ الثَّقَلَانِ؟ يعنى أَنَّه قد جمعَ مَا فِي الخَلِيقةِ مِنَ الفَضْلِ والكَمَالِ، فَقَد فَصَلَ

(1) لم يعرف قائله.

بَيْنَ المبتدأِ والخَبَرِ، وهُمَا «أبوك محمد»، وقدَّمَ الخَبَرَ عَلَى المُبتدأِ تَقديماً قَدْ يَدعُو إلَى اللَّبسِ فِي قولِهِ «والثَّقلانِ أنتَ»، عَلَى أنَّه بَعدَ التَّعسُّفِ لَمْ يَسلَمْ كَلَامُه مِنْ سُخفٍ وهَذَرٍ[1].

فَالكَلامُ الخَالِي مِنَ التَّعقيدِ اللَّفظيِّ مَا سَلِمَ نَظْمُهُ مِنَ الخَلَلِ، فَلَمْ يَكنْ فِيهِ مَا يُخالفُ الأصْلَ - مِنْ تقديمٍ أوْ تَأخِيرٍ أوْ إضمَارٍ أوْ غيرِ ذَلِكَ - إلَّا وَقَدْ قَامَتْ عَليهِ قَرينةٌ ظَاهِرةٌ - لفْظِيَّةٌ أوْ مَعْنَوِيَّةٌ -.

ب. التَّعقيدُ المَعْنَوِيُّ: وَهُوَ أنْ يُوضَعَ المَعْنَى فِي مَوضعٍ لَا يَفهمُ القَارئُ مقصودَ الكاتبِ منْهُ بشَكلٍ صَحيحٍ فَلَا يَكونُ انتقَالُ الذِّهْنِ مِنْ المَعنَى الأوَّلِ إلَى المَعْنَى الثَّانِي - الَّذي هُوَ لازِمُهُ والمُرَادُ بِهِ - ظَاهِراً، كَقَولِ العبَّاسِ بنِ الأحْنَفِ[2]:

سَأطلبُ بُعْدَ الدَّارِ عَنْكُم لِتقرَبُوا وَتَسكُبُ عينَايَ الدُّمُوعَ لتجمُدَا

كنَّى بسكْبِ الدُّمُوعِ عمَّا يُوجِبُهُ الفِراقُ مِنَ الحُزنِ؛ لأنَّ مِنْ شَأنِ البُكاءِ أنْ يكونَ كِنايةً عنْهُ، ثمَّ أخطَأَ حِينَ طَرَّدَ ذَلِكَ فِي نَقيضِه، فَأرادَ أنْ يَكنِيَ دَوامَ التَّلاقِي مِنَ السُّرورِ بالجُمودِ، لظنِّهِ أنَّ الجُمودَ هُوَ خلوُّ العَيْنِ مِنَ البكاءِ مطلقاً، مِنْ غَيْرِ اعتبَارِ شيءٍ آخر، ولكنَّه أخطأ لأنَّ الجمودَ هُوَ خلوُّ العَينِ مِنَ البُكاءِ فِي حَالِ إرادةِ البكاءِ مِنهَا، أيْ أنْ يكونَ هناك موقفٌ يستدْعِي البُكَاءَ فَلَا يَستطيعُ البكاءَ، فالجُمُودُ فِي الحَقيقَةِ لا يكونُ كِنايةً عَنِ المسرَّةِ، بَل هُوَ كِنايةٌ عَنِ البُخلِ، كَمَا فِي

(1) علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص، ص9، جمعه ورتبه وعلق عليه ونسّقه علي بن نايف الشحود.

(2) العبّاس بن الأحنف بن الأسود، الحنفيّ (نسبة إلى بني حنيفة)، اليماميّ، أبو الفضل. 192 هـ / 807 م شاعر غَزِل رقيق، قال فيه البحتريّ: أغزل الناس، أصله من اليمامة بنجد، وكان أهله في البصرة وبها مات أبوه ونشأ ببغداد وتوفي بها، وقيل بالبصرة. خالف الشعراء في طرقهم فلم يمدح ولم يَهجُ بل كان شعره كله غزلاً وتشبيباً، وهو خال إبراهيم بن العباس الصولي، قال في البداية والنهاية: أصله من عرب خراسان ومنشؤه ببغداد.

قَوْلِ أَحَدِ الشُّعراءِ[1]- وقَدْ أَجَادَ فِي وَضْعِ كَلِمَةِ «الجمود» في مكانِهَا الصَّحِيحِ-:

أَلَا إِنَّ عَيْناً لَمْ تَجُدْ يومَ واسطٍ ... عليكَ بِجَارِي دمعِهَا لَجَمُودُ

4 - تَعَاقُبُ الأدَوَاتِ:

أ- مجيءُ بعضِهَا إِثْرَ بعضٍ، مَا يَجْعلُ الكلامَ ثقيلاً، ومثالُ ذَلكَ قولُ أبي تمَّامَ:

كأنَّه فِي اجتِمَاعِ الرُّوحِ فِيهِ لَهُ ... فِي كلِّ جَارِحةٍ مِنْ جِسْمِهِ رُوحُ

فمجيءُ «في» بَعْدَ «لَهُ»، أورَثَتْ فِي البيتِ ثِقلاً جَعَلَ اللِّسَانَ يَتَعَثَّرُ عِنْدَ النُّطْقِ بِهِمَا.

ب- كَثرةُ التَّكرَارِ، وتَتَابُعُ الإِضَافَاتِ الَّذي يَجعلُ الكَلامَ ثقيلاً، وَمثَالُ كَثرة الإِضَافَات، قولُ ابنِ بَابَك[2]:

حَمَامَةَ جَرعَى حَوْمَةِ الجَنْدَلِ اسجَعِي ... فَأَنْتِ بِمرأى مِنْ سعادَ ومَسْمَعِ[2]

مُلاحظةٌ: إنَّ كَثرةَ التَّكْرارِ، وتَتَابعَ الإِضَافَاتِ، إِذَا أفضَتْ باللَّفْظِ إِلَى الثِّقلِ عَلَى اللِّسَانِ فَقَدْ خَرَجَتْ عَنِ الفَصَاحةِ، وإِلَّا فَلَا يُخلُّ التَّكرَارُ بالفَصَاحَةِ.

فَصَاحَةُ المُتَكَلِّمِ:

وأمَّا فَصَاحَةُ المُتَكَلِّمِ فَهِيَ: مَلَكَةٌ يُقتدرُ بِهَا عَلَى التَّعبِيرِ عَنِ المَقصُودِ بِلفظٍ فَصِيحٍ.

(1) أبو عطاء السندي أفلح بن يسار السندي، أبو عطاء. 180 هـ / 796 م شاعر فحل قوي البديهة. كان عبداً أسود، من موالي بني أسد، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، نشأ بالكوفة، وتشيع للأموية، وهجا بني هاشم، وشهد حرب بني أمية وبني العباس، فأبلى مع بني أمية. قال البغدادي: مات عقب أيام المنصور (ووفاة المنصور سنة 158 هـ) وقال ابن شاكر: توفي بعد الثمانين والمئة. وكانت في لسانه عجمة ولثغة، فتبنى وصيفاً سماه (عطاء) وروّاه شعره، وجعل إذا أراد إنشاء شعر أمره فأنشد عنه، وكان أبوه سندياً عجمياً لا يفصح.

(2) عبد الصمد بن منصور بن الحسن بن بابك، أبو القاسم. 410 هـ /1020 م شاعر مُجِيد مُكْثِر. من أهل بغداد، له (ديوان شعر- خ). طاف البلاد، ولقي الرؤساء، ومدحهم، وأجزلوا جائزته. ووفد على الصاحب بن عباد فقال له: أنت ابن بَابَك؟ فقال: بل أنا ابن بابِك! توفي ببغداد.

(3) جرعى: تأنيث الأجرع، وهي الرملة لا تُنبت شيئا. والجندل: الحجارة. السجع: هديل الحمام.

- الفَصَاحَـةُ هيَ الأَلفَـاظُ البَيِّنَةُ الظَّاهِـرَةُ المُتَبَادِرةُ إلَى الفَهْـمِ، والمَأنُوسَةُ الاسْتِعْمَالِ.
- تَقَعُ الفَصَاحَةُ وَصْفاً للكَلِمَة أو الكَلَام والمُتَكَلِّم.
- يَنْبَغي تَوَافُرُ شُرُوطٍ في اللَّفْظَة الوَاحِدة حَتَّى تَكُونَ فَصِيحَةً:

1- تَنَافُرُ الحُرُوف.

2- الغَرَابَةُ في الاسْتعمَالِ[1].

3- مُخَالفَةُ القياس[2].

4- الكَرَاهَةُ في السَّمْع.

- لكَي يَكُونَ الكَلامُ فَصِيحاً، يَجِبُ أنْ يَخْلوَ مِنَ العُيُوبِ التَّالية:

1- ضَعْفُ التَّأليف[3].

2- تَنَافُرُ الكَلمَات[4].

3- التَّعقيدُ اللَّفْظيُّ والمَعْنَويُّ[5].

4- تَعَاقُبُ الأدَوَات.

(1) الغرابة تعرف بكثرة الاطلاع على كلام العرب والاحاطة بالمفردات المأنوسة.
(2) مخالفة القياس تعرف بعلم الصرف.
(3) ضعف التاليف والتعقيد اللفظي يعرفان بعلم النحو.
(4) التنافر يعرف بالذوق السليم والحس الصادق.
(5) التعقيد المعنوي يعرف بعلم البيان.

تمارين

1- عرّف الفصاحةَ لغةً واصطلاحاً؟

2- متى تكون الكلمةُ فصيحةً؟

3- عدّد شروطَ فصاحةِ الكلمة وهاتِ مثالاً على كلٍّ منها

4- متى يكون الكلام فصيحاً ؟.

5- اذكر الوجه في عدم بلاغة قول الفرزدق:

وما مثلُهُ في الناس إلا مُمَلَّكاً   أبو أمِّه حيٌّ أبوه يقارِبُه

6- التعقيدُ نوعان اذكرهما وهاتِ مثالاً على كلّ نوع.

7- ما هي مخلّات الفصاحة في الأمثلة التالية؟

أ- فلا يُبْرَمُ الأمرُ الّذي هو حالِلٌ ولا يُحْلَلُ الأمرُ الّذي هو يَبْرِمُ .

ب- خَلَتِ البلادُ من الغزالةِ ليلُها فأعاضهاك الله كي لا تحْزَنا.

ج- أنّى يكونُ أبا البرايا آدمُ وأبوك والثقلانُ أنت محمدُ.

د- و من جاهلٍ بي و هو يجهل جهلَهُ و يجهل علمي أنّه بي جاهلُ.

هـ- ولم أر مثل جيراني ومثلي مثلهم مقام لمثلي عند.

و- وتسعدني في غمرة بعد غمرة   سبوح لها منها عليها شواهد.

ز- وازْور من كان له زائر   وعاف عافي العُرف عرفانه.

كلام ابن أبي الحديد في فصاحة أمير المؤمنين عليه السلام:

«... واعلم أنّنا لا يتخالجنا الشكّ في أنّه عليه السلام أفصح من كلّ ناطق بلغة العرب من الأوّلين والآخرين، إلّا من كلام الله سبحانه، وكلام رسول الله صلى الله عليه وآله، وذلك لأنّ فضيلة الخطيب والكاتب في خطابته وكتابته تعتمد على أمرين هما: مفردات الألفاظ ومركّباتها. أمّا المفردات فأن تكون سهلة سلسة غير وحشية ولا معقّدة، وألفاظه عليه السلام كلّها كذلك، فأمّا المركّبات فحسن المعنى وسرعة وصوله إلى الأفهام، واشتماله على الصفات الّتي باعتبارها فُضّل بعض الكلام على بعض، وتلك الصفات هي الصناعة الّتي سمّاها المتأخّرون البديع، من المقابلة، والمطابقة، وحسن التقسيم، وردّ آخر الكلام على صدره، والترصيع، والتسهيم، والتوشيح، والمماثلة، والاستعارة، ولطافة استعمال المجاز، والموازنة، والتكافؤ، والتسميط، والمشاكلة. ولا شبهة أنّ هذه الصفات كلّها موجودة في خطبه وكتبه، مبثوثة متفرّقة في فرش كلامه عليه السلام، وليس يوجد هذان الأمران في كلام أحد غيره، فإن كان قد تعمّلها وأفكر فيها، وأعمل رويّته في رصفها ونثرها، فلقد أتى بالعجب العجاب، ووجب أن يكون إمام الناس كلّهم في ذلك، لأنّه ابتكره ولم يعرف من قبله، وإن كان اقتضبها ابتداء، وفاضت على لسانه مرتجلة، وجاش بها طبعه بديهة، من غير رويّة ولا اعتمال، فأعجب وأعجب! وعلى كلا الأمرين فلقد جاء مجلياً والفصحاء تنقطع أنفاسهم على أثره. وبحقّ ما قال معاوية لمحقن الضبيّ، لمّا قال له: جئتك من عند أعيا الناس: يا بن اللخناء ألعليٍّ تقول هذا؟ وهل سنّ الفصاحة لقريش غيره !؟.

واعلم أنّ تكلّف الاستدلال على أنّ الشمس مضيئة يُتعب، وصاحبه منسوب إلى السفه، وليس جاحد الأمور المعلومة علماً ضرورياً بأشدّ سفهاً ممّن رام الاستدلال بالأدلّة النظريّة عليها»[1].

(1) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج 6، ص 278 – 279، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، الناشر دار إحياء التراث العربية، لاد، لاط، لات، فصل في ذكر القبر وسؤال الملكين.

الدرس الثاني

البلاغة

أهداف الدرس

1- أن يتعرّف الطالب إلى معنى البلاغة.

2- أن يدرك عناصر البلاغة.

3- أن يتعرّف إلى أقسام علم البلاغة.

4- أن يدرك الغاية من دراسة البلاغة.

البلاغة:

البَلاغَةُ لُغةً: الوصُولُ والانتِهاءُ إلَى الشيءِ، يُقَالُ: بَلَغَ فُلانٌ مُرادَهُ إذَا انتَهَى إليهِ. قَالَ تَعالَى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ ﴾[1] أيْ: وصَلَ، وبَلَغَ الرَّاكِبُ المَدِينَةَ: إذَا وَصَلَ إليْهَا، ومَبْلَغُ الشَّيءِ: مُنتَهَاهُ.

البَلاغَةُ اصطلاحاً: هِيَ مطابقةُ الكلامِ الفصيحِ[2] لمقتضى الحالِ. أوهِيَ سَوْقُ الكَلامِ الفَصِيحِ عَلَى مقتضَى الحَالِ بِحَسبِ المقَامَاتِ[3]. ولا تكون البلاغة وصفاً للكلمة.

---

(1) سورة يوسف، الآية: 22.

(2) البلاغة أخص والفصاحة أعم.

(3) قيل لبشار: إنك لتجيء بالشيء الهجين المتفاوت، قال: وما ذاك؟ قال قلت: بينما تقول شعراً تثير به النقع وتخلع به القلوب، مثل قولك:

إذا ما غضبنا غضبة مضرية ... هتكنا حجاب الشمس أو تمطر الدما

إذا ما أعرنا سيداً من قبيلة ... ذُرى منبرٍ صلى علينا وسلما

تقول:

ربابة ربة البيت ... تصب الخل في الزيتِ

لها عشر دجاجات ... وديكٌ حسن الصوتِ

فقال: لكل وجه وموضع، فالقول الأول جد، وهذا قلته في ربابة جارتي، وأنا لا آكل البيض من السوق، وربابة هذه لها عشر دجاجات وديك فهي تجمع لي البيض وتحفظه عندها، فهذا عندها من قولي أحسن من: قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل عندك.

ابي الفرج الاصفهاني، الأغاني، ج3، ص 114، بيروت، دار احياء التراث.

بَلاغةُ الكَلامِ[1]:

البلاغـةُ في الكلامِ: مطابقتُه لما يقتضيه حالُ الخطابِ مَعْ فَصاحةِ ألفَاظهِ «مفردِها ومركَّبِها».

والكلامُ البليغُ: هو الذي يُصورُهُ المتُكلُمُ بصورةٍ تناسبُ أحوالَ المخاطبين.

وحـالُ الخطابِ «ويسـمَّى بالمقـامِ» هوَ الأمـرُ الحاملُ للمتكلِّم علـى أن يُوردَ عبارتَه على صورةٍ مخصوصةٍ دون أخرى.

بلاغةُ المتكلِّم[2]:

هـي مَلَكـة في النَّفسِ يقتَدرُ بِهَـا صاحبُها عَلَـى تَأليفِ كلامٍ بليـغٍ، مُطابقٍ لمقتَضَـى الحال، مَع فصاحتـهِ في أيِّ معنًى قَصَده، وتِلكَ غَايـةٌ لَنْ يَصِلَ إليْهَا إلاَّ مـن أحـاطَ بأساليبِ العَـربِ خُبراً، وعَـرَفَ سُننَ تخاطُبهِم فـي مُنافراتِهِم، ومُفاخَراتِهِـم، ومَدِيحِهِـم، وَهجائِهِـم وَشكرهِم، واعتذارهِم، لِيلَبسَ لكلِّ حالةٍ لبُوسَها «ولكلِّ مقامٍ مَقالٌ».

الغايةُ منَ البلاغةِ:

تَأديَـةُ المعنى الجميـلِ واضحاً بعبارةٍ صَحيحةٍ فصيحة ،لهَـا في النَّفسِ أثرٌ ساحرٌ، مَع مُلاءَمَةِ كلِّ كلامٍ للموطنِ الذي يُقالُ فيهِ، والأشخاصِ الَّذينَ يُخاطَبُونَ.

عناصرُ البلاغةِ:

هـي لفـظٌ ومعنًى، وتأليفٌ للألفـاظ يمنحُها قوةً وتأثيراً وحسنـاً، ثم دقةٌ في اختيارِ الكَلِمـاتِ والأساليبِ عَلَى حَسـبِ مَواطنِ الكلامِ ومواقِعِـهِ، وَمَوضُوعاتِهِ،

(1) الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص11، الناشر دار الكتاب الاسلامي - بيروت، مطبعة أمير - قم، 1411هـ - 1990م.

(2) م. ن، ص14.

م. ، ص11.

وحالِ السَّامعينَ، والنزعةِ النفسيَّةِ الَّتِي تَتَمَلَّكُهم،وتسيطرُ عَلَى نُفوسِهم.

أساسُ البَلاغة:[1]

البَلاغـةُ فنٌ مِنَ الفُنونِ، يَعتمِـدُ عَلَى صَفَاءِ الاستعدادِ الفطـريّ ودقَّةِ إدراكِ الجَمَـالِ، وتَبيـنِ الفُـروقِ الخفيةِ بينَ صُنـوفِ الأسَاليبِ، وللمَرَانَةِ يـدٌ لَا تُجْحَدُ فِـي تكوينِ الذَّوقِ الفنِّـيِّ، وتنشيطِ المَواهِبِ الفاترَةِ، ولَا بُـدَّ للطَّالِبِ إلَى جَانِبِ ذَلِـكَ مِـنْ قِرَاءةِ طَرائِفِ الأَدَبِ، والتملُّؤِ مِنْ نَميـرِهِ الفيَّاضِ، ونقدِ الآثَارِ الأدبيَّةِ والمُوازَنَـةِ بَيْنَهَـا، وأنْ يَكونَ لَهُ مِنَ الثِّقةِ بِنفسِهِ مَا يَدفعُـهُ إلَى الحُكمِ بِحُسنِ مَا يَرَاهُ حسناً وبقبحِ مَا يَعُدُّه قبيحاً.

وليسَ هنـاكَ مِنْ فَرقٍ بَيـنَ البَلِيغِ والرَّسَـامِ إلَّا أنَّ هَذَا يَتَنـاوَلُ المَسمُوعَ مِنَ الكَلامِ، وذَلِكَ يُشَاكِلُ بَينَ المرئيِّ مِنَ الألوانِ والأشْكالِ، فالرسَّامُ إذَا همَّ برسمِ صـورةٍ فَكَّـرَ فِي الألـوانِ المُلائمةِ لَهَا، ثمَّ فِـي تأليفِ هَذِهِ الألـوانِ بِحَيثُ تَخْتَلِبُ الأبصارَ وتُثيرُ الوجْدانَ، والبَليغُ إذَا أرادَ أنْ يُنشئَ قَصيدةً أو مَقالَةً أو خطبةً فَكَّرَ فِـي أجْزائِهَا، ثمَّ دَعَا إليهِ مِنَ الألفَـاظِ والأَساليبِ أخفَّهَا عَلَى السَّمعِ، وأكثرَهَا اتصَالاً بموضوعِهِ، ثمَّ أقواهَا أثراً فِي نُفوسِ سَامِعيهِ وأَروعَهَا جَمَالاً.

بَينَ الفَصَاحَةِ والبَلاغَةِ:

ربَّ كلمَـةٍ حَسُنَـتْ فِي مَوطِنٍ ثمَّ كانَـتْ نَابيةً مستكرهةً فِي غَيـرِهِ، ورُبَّ كَلامٍ كَانَ فِـي نَفسِـهِ حَسَناً خَلاَّباً حَتَّى إذَا جَاءَ فِي غَيْرِ مَكانِه وسَقَطَ فِي غَيرِ مَسقَطِه خَرَجَ عَنِ حَدِّ البَلاغَةِ وكَانَ غَرَضَاً لِسِهامِ النَّاقِدينَ، فَقَدْ كرِهَ الأُدَبَاءُ كَلِمَةَ «أيْضـاً» وعَدُّوهَا مِنْ

(1) علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص10.

ألفاظِ العُلمَاءِ فَلَمْ تَجْرِ بِهَا أقلامُهُم فِي شِعْرٍ أو نَثْرٍ، حَتَّى ظَهَرَ مِنْ بَيْنِهِم مَنْ قَالَ[1]:

رُبَّ وَرقَــاءَ هـتـوفٍ فـي الـضُّـحـى   ذاتِ شَـجـوٍ صَـدَحـت فـي فَـنَـنِ
ذكـرت إلـفــاً ودهــراً صــالـحــاً   فـبـكـت حـزنـاً وهـاجـت حَـزنـي
فـبـكـائـي ربـمـا أرَّقَـهـا   وبـكـاهـا ربـمـا أرَّقَـنـي
ولـقـد تـشـكـو فـمـا أفـهـمـهـا   ولـقـد أشـكـو فـمـا تـفـهـمـني
غـيـر أنّـي بـالـجـوى أعـرِفُـهـا   وهـي أيـضـاً بـالـجَـوى تـعـرِفُـني

فَوَضَعَ «أيضاً» فِي مَكَانٍ لَا يَتَطَلَّبُ سِوَاهَا ولَا يَتَقبَّلُ غيرَهَا، وكانَ لَهَا مِنَ الرَّوْعَةِ والحُسْنِ فِي نفسِ الأدِيبِ مَا يَعجزُ عنْهَا البَيَانُ.

ومِـنَ الأمثِلـةِ الَّتِي تُسَاقُ فِي خُروجِ الكَلَامِ عَنْ حَـدِّ البَلاغَةِ، حَتَّى وإنْ كَانَ فِـي نَفسِـهِ حَسَناً وجَميلاً قَـولُ المُتَنَبِي فِي مَطْلَـعِ قصيدةٍ مَـدَحَ فِيهَا كَافورَ الإخشيديَّ:

كَفى بِكَ داءً أن تَرى المَوتَ شافِيا   وَحَسبُ المَنايا أَن يَكُنَّ أَمانِيا

وقولُهُ:

وَمـا طَـرَبـي لَـمّـا رَأَيـتُـكَ بِـدعَـةً   لَقَد كُنتُ أَرجو أَن أَراكَ فَأَطرَبُ

وقولُ أبِي النَّجْمِ لمَّا دَخلَ عَلَى هِشَام بنِ عَبدِ المَلِكِ:

حَتّى إذا الشّمسُ اجتَلاها المُجتَلي   بَـيـنَ سِـمـاطَـيْ شَـفَـقٍ مُـهَـوَّلِ
فَـهـيَ عَلـى الأُفُـقِ كَعَيـنِ الأَحـوَلِ   صَـغـواءَ قَـد كـادَت وَلَـمّـا تَفعَلِ[1]

(1) أبو بكر الشبلي، دلف بن جحدر الشبلي، 247 - 334 هـ / 861 - 946 م، ناسك، كان في مبدأ أمره والياً في دنباوند (من نواحي رستاق الري). وولي الحجابة للموفق العباسي: وكان أبوه حاجب الحجاب ثم ترك الولاية وعكف على العبادة، فاشتهر بالصلاح.
لـه شعـر جيد، سلك بـه مسالك المتصوفة، أصله مـن خراسان، ونسبته إلى قريـة (شبلة) من قرى ما وراء النهر، مولـده بسر من رأى، ووفاتـه ببغداد، اشتهـر بكنيته، واختلف في اسمه ونسبه، فقيل (دلف بن جعفر) وقيل (جحدر بن دلف) و(دلف بن جمترة) و(دلف ابن جمونة) (وجعفر بن يونس).

(2) ويروى ايضا بهذه الكيفية: «صفراء قد كادت ولما تفعل كأنها في الافق عين الاحول».

وكانَ هِشَامُ أحولَ فأمَرَ بِحَبسِهِ.

أقسامُ علمِ البلاغةِ:

ينقسمُ علمُ البلاغة إلى ثلاثةِ أقسام:

علمُ البيان: وهو علمٌ يعرَف به إيرادُ المعنَى الواحدِ بطُرُقٍ مختلفةٍ في وضوحِ الدلالة عليه.

علمُ المعاني: وهو علمٌ يعرَفُ به أحوال اللفظ العربيِّ التي بها يطابقُ مقتضَى الحالِ.

علمُ البديع: وهوَ علمٌ يُعرَفُ بهِ وجوهُ تحسينِ الكلام، بَعدَ رِعَايةِ تطبيقهِ عَلَى مقتضَى الحالِ ووضوحِ الدلالة.

الهدفُ مِنْ دراسةِ البَلاغَةِ:

أ- معرفةُ إعجازِ[1] القرآن الكريم، من جهةِ ما خصَّهُ اللهُ بهِ من جودة السبْكِ، وحُسنِ الوصفِ، وبَراعةَ التَّراكيبِ، ولُطفِ الإيجاز، وما اشتملَ عليه من سُهولةِ التَّركيبِ، وجزالةَ كلماته، وعُذوبة ألفاظه وسلامتها، إلى غير ذلك من محاسنه التي أقعدتِ العربَ عن مناهضته، وحارتَ عقولهُم أمامَ فصاحته وبلاغته.

ب- معرفةُ أسرارِ كلام النبيِّ ﷺ، والائمة عليهم السلام فهم أبلغُ البلغاءِ، وأفضلُ من نطقَ بالضادِ، وذلك ليصارَ للعملِ بها، ولاقتفاء أثرهم في ذلكَ.

ج- الوقوفُ على أسرارِ البلاغة والفصاحة- في مَنثورِ كلام العرب ومنظومه- كي نحتذيَ حذوهُ، وتتنسَجَ على منوالهِ، ونفرّقَ بين جَيِّدِ الكلام ورديئِه.

---

(1) روى أن الوليد بن المغيرة قال لبني مخزوم: والله، لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، إن لـه لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو وما يعلى، فقالت قريش: صبأ والله الوليد، والله لتصبأن قريش كلهم.

القواعد الرئيسة

البلاغةُ: مُطابَقَةُ الكلامِ لِمَا يقتضيهِ حَالُ الخِطابِ مَع فَصَاحَةِ ألفَاظِه.

عَنَاصِرُ البَلاغَةِ، لَفظٌ ومعنىً وتَأليفٌ للألفَاظِ.

تَنقسِمُ البَلاغَةُ إلَى ثَلاثَةِ أقسَامٍ:

علمِ البيانِ وعلمِ المعانِي وعِلمِ البَديعِ.

الهدفُ مِنْ دِراسَةِ البَلاغَةِ مَعرفةُ إعجازِ القرآنِ الكَريمِ ومعرِفةُ أسرَارِ كَلَامِ المعصومينَ عليهم السلام والوقوفُ عَلَى أسرَارِ كلامِ العَرَبِ والتفريقُ بَينَ جيِّدِهِ ورَديئِه.

تـمـاريـن

1- عرِّف البلاغةَ لغةً واصطلاحاً.

2- ما الهدف من دراسة البلاغة؟

3- هل يمكن أن يكون الكلام فصيحاً غير بليغ؟ هاتِ مثالاً.

4- لماذا كان قول الشاعر أبي النجم غير بليغ؟

صـفـراء قـد كـادت ولـمـا تـفـعل كـأنّـهـا فـي الافـق عـيـن الأحـولِ

أمير المومنين عليه السلام بلسان خصمه:

«.... دعا عمرو(بن العاص) غلامه وردان، وكان داهياً مارداً، فقال: ارحل يا وردان، ثمّ قال: احطط يا وردان ثمّ قال: ارحل يا وردان. احطط يا وردان. فقال له وردان: خلطت أبا عبد الله! أما إنّك إن شئت أنبأتك بما في قلبك، قال: هات ويحك! قال: اعتركت الدنيا والآخرة على قلبك، فقلت: عليّ معه الآخرة في غير دنيا، وفي الآخرة عوض من الدنيا، ومعاوية معه الدنيا بغير آخرة، وليس في الدنيا عوض من الآخرة، وأنت واقف بينهما، قال: قاتلك الله ! ما أخطأت ما في قلبي، فما ترى يا وردان؟ قال: أرى أن تقيم في بيتك، فإن ظهر أهل الدّين عشت في عفو دينهم، وإن ظهر أهل الدنيا لم يستغنوا عنك. قال: الآن لمّا أشهرت العرب سيري إلى معاوية! فارتحل وهو يقول:

يا قاتل الله وردانا وقدحته ... أبدى لعمرك ما في النفس وردان
لمّا تعرّضت الدنيا عرضت لها ... بحرص نفسي وفي الأطباع إدهان
نفس تعفّ وأخرى الحرص يغلبها ... والمرء يأكل تبناً وهو غرثان
أما علي فدين ليس يشركه ... دنيا وذاك له دنيا وسلطان
فاخترت من طمعي دنيا على بصر ... وما معي بالّذي أختار برهان
إنّي لأعرف ما فيها وأبصره ... وفيّ أيضاً لما أهواه ألوان
لكن نفسي تحبّ العيش في شرف ... وليس يرضى بذل العيش إنسان

فسار حتّى قدم على معاوية، وعرف حاجة معاوية إليه، فباعده من نفسه، وكايد كلّ واحد منهما صاحبه. فقال له معاوية يوم دخل عليه: أبا عبد الله، طرقتنا في ليلتنا ثلاثة أخبار ليس فيها ورد ولا صدر، قال: وما ذاك؟ قال: منها أنّ محمّد بن أبي حذيفة كسر سجن مصر فخرج هو وأصحابه، وهو

من آفّات هذا الدّين. ومنها أنّ قيصـر زحف بجماعة الروم ليغلب على الشـام. ومنهـا أنّ عليّاً نـزل الكوفـة، وتهيـأ للمسـير إلينا. فقـال عمرو: ليس كلّ ما ذكـرت عظيمـاً، أمّا ابن أبـي حذيفة، فما يتعاظمك من رجل خرج في أشـباهه أن تبعث إليه رجلاً يقتله أو يأتيك به، وإن قاتل لم يضرّك. وأمّا قيصر فأهد له الوصـائف وآنية الذهب والفضّـة، وسـله الموادعة فإنّه إليها سـريع. وأمّا عليّ فلا والله يا معاوية، ما يسـوي العرب بينك وبينه في شـيء من الأشـياء، وإنّ له في الحرب لحظّاً ما هو لأحد من قريش، وإنّه لصـاحب ما هو فيه إلّا أن تظلمـه. هكـذا فـي رواية نصـر بن مزاحم عن محمد بـن عبيد الله . وروى نصـر أيضـاً عن عمر بن سـعد قال: قال: معاوية لعمرو: يا أبا عبد الله، إنّي أدعـوك إلـى جهاد هذا الرجل الّذي عصـى الله وشـقّ عصـا المسـلمين، وقتل الخليفـة وأظهـر الفتنة، وفرّق الجماعة وقطـع الرحم، فقال عمرو: من هو؟ قـال: علـيّ قال: والله يا معاوية ما أنـت وعليّ بحملي بعير، ليس لك هجرته ولا سـابقته، ولا صـحبته ولا جهاده، ولا فقهه ولا علمه. ووالله إنّ له مع ذلك لحظّـاً فـي الحرب ليس لأحد غيـره، ولكنّـي قد تعوّدت من الله تعالى إحسـاناً وبـلاء جميـلاً، فمـا تجعل لي إن شـايعتك على حربـه، وأنت تعلـم ما فيه من الغـرر والخطـر؟ قـال: حكمك، فقال: مصـر طعمة. فتلكّأ عليـه معاوية. قال نصـر: وفـي حديث غير عمر بن سـعد: فقال لـه معاوية: يا أبا عبـد الله، إنّي أكـره لـك أن تتحدّث العرب عنك أنّك إنّما دخلت في هذا الأمر لغرض الدنيا، قال عمرو: دعني عنك، فقال معاوية: إنّي لو شئت أن أُمنّيك وأخدعك لفعلت، قال عمرو: لا، لعمر الله ما مثلي يخدع، لأنا أكيس من ذلك، قال معاوية: أدن منّي أسـارّك، فدنا منه عمرو ليسـارّه، فعضّ معاوية أذنه، وقال: هذه خدعة ! هل ترى في البيت أحداً ليس غيري وغيرك !»[1].

(1) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج 2، ص 63 – 65.

الدرس الثالث

الأسلوبُ

أهداف الدرس

1- أن يتعرّف الطالب إلى معنى الأسلوب.

2- أن يدرك أنواع الأسلوب ومميّزاتها.

3- أن يتمكّن من التمييز بين الأسلوب الأدبي وغيره.

معنى الأسلوب[1]:

هــو المعنى المَصُـوغُ في ألفاظٍ مؤلَّفـةٍ على صورةٍ تكون أقـربَ لنيل الغرضِ المقصود من الكلامِ، وأفعلَ في نفوسِ سامعيهِ.

أنـواعُ الأسـلوبِ: ينقسمُ الأسلوبُ إلــى ثلاثةِ أقسامٍ:أسلـوبٌ علميٌّ، وأسلوبٌ أدبيٌّ، وأسلوبٌ خطابيٌّ.

1 - الأسلوبُ العلميُّ:

وهو أهدَأُ الأساليبِ، وأكثرُها احتياجاً إلى المنطقِ السَّليمِ، والفكرِ المُستقيم، وأبعدُهــا عــن الخيال الشِّعْـرِي؛ لأنه يخاطـبُ العقـلَ، ويُناجي الفكـرَ، ويَشْرَحُ الحقائق العلميَّةَ التي لا تخلو من غموضٍ وخفاءٍ.

وأظهَرُ ميزاتِ هذا الأسلوبِ «الوُضُـوحُ»، فيجبُ أن يُعنَى فيه باختيارِ الألفاظِ الواضحةِ الصريحةِ في معناها،الخاليـةِ من الاشتراكِ، وأنْ تُؤَلَّفَ هذه الألفاظُ في سُهولةٍ وجلاءٍ، حتى تكون ثَوباً شفَّافاً للمعنَى المقصودِ.

أهمُّ مميزاتِ الأسلوبِ العلميِّ:

1- هدفُه إظهارُ الحقائقِ وكشفُها للسامعِ أو القارئِ.

(1) علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص 13.

2- يمتازُ بالوضوحِ والدقةِ والتحديد، والترتيبِ المنطقيِّ.

3- يمتازُ باستخدام الأدلةِ والبراهينَ، والبعدِ عن المبالغةِ.

4- يمتازُ بالابتعادِ عن الخيالِ والعاطفة.

5- تتخللُه مصطلحاتٌ علميةٌ متصلةٌ بالموضوع الذي يتناولهُ.

مثالُ الأسلوبِ العلميِّ:

وصفُ البركةِ في القصر:

«وفي فناءِ القصر بركةٌ كبيرة، يزيدُ اتساعها عن مائة متر طولاً في مثلِها عرضاً، وحولَها سورٌ متوسطُ الارتفاعِ، يستطيعُ الإنسانُ أن يجلسَ على حافتهِ، ويرى ماءَ البركةِ الذي يتدفقُ إليها بشدةٍ من النهرِ المجاور، وهو ماءٌ صافٍ،لا يحجبُ قرارَ البركةِ عن العينِ».

نوعا الأسلوبِ العلميِّ:

ينقسم الأسلوب العلمي الى قسمين:

1 - أسلوبٌ علميٌّ بحتٌ: وهو الذي يُعنَى بعرضِ الحقائقَ العلميةِ دون انصرافٍ إلى جمالِ اللفظ، أو أناقةِ التعبيرِ.

مثالُ الأسلوبِ العلميِّ البحتِ:

«الثعابينُ زواحفُ معروفةٌ، تمتازُ باستطالةِ جسمِها وخلوِّهِ من الأطرافِ، وهيَ كثيرة الانتشارِ في جميع أنحاءِ المعمورةِ، ولا تخلو منها بقعةٌ في العالم إلا نيوزيلندة، وبعضُ الأجزاء الأخرى».

2 - أسلوبٌ علميٌّ متأدبٌ: وهو الذي يضعُ الحقائقَ العلميةَ في عبارة لا تخلو من أناقةٍ في اختيارِ ألفاظِها، وإنْ كانتْ لا تصلُ في ذلك إلى الأسلوبِ الأدبيِّ.

مثالُ الأسلوبِ العلميِّ المتأدِّبِ:

يقولُ أميـرُ المؤمنينَ عليه السلام في وصـفِ الطَّاووسِ: «... تَخالُ قَصَبَهُ مَدَارِيَ مِنْ فِضَّـةٍ وَ مَا أُنْبِتَ عَلَيْهَا مِنْ عَجِيبِ دَارَاتِهِ وَ شُمُوسِـهِ خَالِصَ الْعِقْيَانِ وَفِلَذَ الزَّبَرْجَـدِ فَإِنْ شَبَّهْتَهُ بِمَا أَنْبَتَتِ الْأَرْضُ[1] قُلْتَ جَنًى[2] جُنِيَ مِنْ زَهْرَةِ كُلِّ رَبِيعٍ وَإِنْ ضَـاهَيْتَهُ بِالْمَلَابِسِ فَهُـوَ كَمَوْشِـيِّ الْحُلَلِ أَوْ كَمُونِقِ عَصْـبِ الْيَمَـنِ[3] وَإِنْ شَـاكَلْتَهُ بِالْحُلِيِّ فَهُوَ كَفُصُـوصٍ ذَاتَ أَلْوَانٍ قَدْ نُطِّقَتْ بِاللُّجَيْنِ الْمُكَلَّلِ[4] يَمْشِي مَشْـيَ الْمَـرِحِ الْمُخْتَـالِ[5] وَ يَتَصَـفَّحُ ذَنَبَـهُ وَ جَنَاحَيْـهِ فَيُقَهْقِـهُ ضَـاحِكاً لِجَمَالِ سِرْبَالِهِ وَ أَصَابِيغِ وِشَاحِهِ[6] فَإِذَا رَمَى بِبَصَرِهِ إِلَى قَوَائِمِهِ زَقَا مُعْوِلًا بِصَوْتٍ يَكَادُ يُبِينُ عَنِ اسْـتِغَاثَتِهِ وَ يَشْـهَدُ بِصَـادِقِ تَوَجُّعِهِ لِأَنَّ قَوَائِمَهُ حُمْشٌ كَقَوَائِمِ الدِّيَكَةِ الْخِلَاسِـيَّةِ[7] وَ قَدْ نَجَمَتْ مِنْ ظُنْبُوبِ سَـاقِهِ صِيصِـيَةٌ خَفِيَّةٌ[8] وَلَهُ فِي مَوْضِـعِ الْعُـرْفِ قُنْزُعَةٌ خَضْـرَاءُ مُوَشَّـاةٌ[9] وَمَخْرَجُ عَنُقِـهِ كَالْإِبْرِيـقِ وَمَغْرِزُهَا إِلَى حَيْثُ بَطْنُهُ كَصِـبْغِ الْوَسِـمَةِ الْيَمَانِيَّةِ[10] أَوْ كَحَرِيرَةٍ مُلْبَسَةٍ مِرْآةً ذَاتَ صِقَالٍ[11] وَكَأَنَّهُ

(1) القصـب - جمـع قصبـة - هي عمود الريش. والمداري - جمع مدرى بكسر الميـم - قال ابن الأثير المـدرى والمدراة مصنوع من حديـد أو خشـب على شكل سن مـن أسنان المشط وأطول منه يسرح بـه الشعر المتلبد ويستعمله من لا مشـط له. والدارات: هالات القمر. والعقيان: الذهب الخالص أو ما ينمو منه في معدنه. وفلذ - كعنب - جمع فلذة بمعنى القطعة. وما أنبت معطوف على قصبه. والتشبيه في بياض القصب والصفرة والخضرة في الريش.

(2) جنى أي مجتنى جمع كل زهر لأنه جمع كل لون.

(3) الموشى: المنقوش المنمنم على صيغة اسم الفاعل. والعصب - بالفتح - ضرب من البرود منقوش.

(4) جعل اللجين - وهو الفضة - منطقة لها. والمكلل: المزين بالجواهر. فكما تمنطقت الفصوص باللجين كذلك زين اللجين بها.

(5) المرح - ككتف - المعجب والمختال الزاهي بحسنه.

(6) السربـال: اللباس مطلقا أو هو الدرع خاصة والوشـاح نظامان من لؤلؤ وجوهر يخالف بينهما ويعطـف أحدهما على الآخر بعد عقد طرفه به حتى يكونا كدائرتين إحداهما داخل الأخرى كل جزء من الواحدة يقابل جزءا من قرينتها ثم تلبسه المرأة على هيئة حمالة السيف، وأديم عريض مرصع بالجواهر يلبس كذلك ما بين العاتق والكشح.

(7) زقـا يزقـو: صاح، وأعـول فهو معول رفع صوته بالبكاء يكاد يبين أي يفصح عن استغاثته مـن كراهة قوائمه أي ساقيه. حمش - جمع أحمش - أي دقيق. والديك الخلاسي - بكسر الخاء - هو المتولد بين دجاجتين هندية وفارسية.

(8) وقـد نجمـت أي نبتت من ظنبوب ساقه أي من حرف عظمه الأسفل صيصية وهي شوكة تكون في رجل الديك. والظنبوب - بالضم - كعرقوب عظم حرف الساق.

(9) القنزعة - بضم القاف والزاي - بينهما سكون - الخصلة من الشعر تترك على رأس الصبي وموشاة: منقوشة.

(10) مغرزهـا: الموضـع الذي غرز فيه العنق منتهياً إلى مكان البطن لونه كلون الوسمة وهي نبات يخضب به، أو هي نبات النيل الذي منه صبغ النيلج المعروف بالنيلة.

(11) الصقال: الجلاء.

مُتَلَفِّعٌ بِمِعْجَرٍ أَسْحَمَ[1] إِلَّا أَنَّهُ يُخَيَّلُ لِكَثْرَةِ مَائِهِ وَشِدَّةِ بَرِيقِهِ أَنَّ الْخُضْرَةَ النَّاضِرَةَ مُمْتَزِجَةٌ بِهِ وَمَعَ فَتْقِ سَمْعِهِ خَطٌّ كَمُسْتَدَقِّ الْقَلَمِ فِي لَوْنِ الْأُقْحُوَانِ أَبْيَضُ يَقَقٌ[2] فَهُوَ بِبَيَاضِهِ فِي سَوَادِ مَا هُنَالِكَ يَأْتَلِقُ[3] وَقَلَّ صِبْغٌ[4] إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِقِسْطٍ وَعَلَاهُ بِكَثْرَةِ صِقَالِهِ وَبَرِيقِهِ وَبَصِيصِ دِيبَاجِهِ وَرَوْنَقِهِ[5] فَهُوَ كَالْأَزَاهِيرِ الْمَبْثُوثَةِ[6] لَمْ تُرَبِّهَا أَمْطَارُ رَبِيعٍ وَلَا شُمُوسُ قَيْظٍ[7] وَقَدْ يَنْحَسِرُ مِنْ رِيشِهِ وَيَعْرَى مِنْ لِبَاسِهِ فَيَسْقُطُ تَتْرَى[8] وَيَنْبُتُ تِبَاعاً فَيَنْحَتُّ مِنْ قَصَبِهِ انْحِتَاتَ أَوْرَاقِ الْأَغْصَانِ[9] ثُمَّ يَتَلَاحَقُ نَامِياً حَتَّى يَعُودَ كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ سُقُوطِهِ لَا يُخَالِفُ سَالِفَ أَلْوَانِهِ وَلَا يَقَعُ لَوْنٌ فِي غَيْرِ مَكَانِهِ وَإِذَا تَصَفَّحْتَ شَعْرَةً مِنْ شَعَرَاتِ قَصَبِهِ أَرَتْكَ حُمْرَةً وَرْدِيَّةً وَتَارَةً خُضْرَةً زَبَرْجَدِيَّةً وَأَحْيَاناً صُفْرَةً عَسْجَدِيَّةً»[10].

2 - الأسلوبُ الأدبيُّ:

الجمالُ أبرزُ صفاتِهِ، وأظهرُ مُمَيزاتِهِ، ومنشَأُ جمالِه، لما فيه من خيالٍ رائعٍ، وتصويرٍ دقيقٍ، وتلَمُّسٍ لوجوه الشَّبهِ البعيدةِ بينَ الأشياء، وإلباسِ المعنويِّ ثوبَ المحسوسِ، وإظهارَ المحسوسِ في صورةِ المعنويِّ.

(1) المعجر - كمنبر -: ثوب تعتجر به المرأة فتضع طرفه على رأسها ثم تمر الطرف الآخر من تحت ذقنها حتى ترده إلى الطرف الأول فيغطى رأسها وعنقها وعاتقها وبعض صدرها وهو معنى التلفع ههنا. والأسجم الأسود.

(2) الأقحوان: البابونج. واليقق - محركا - شديد البياض.

(3) يلمع.

(4) نصيب.

(5) علاه أي فاق اللون الذي أخذه نصيبا منه بكثرة جلائه. والبصيص: اللمعان. والرونق: الحسن.

(6) الأزاهير: جمع أزهار جمع زهر.

(7) لم تربها، فعل من التربية. والقيظ: الحر.

(8) يتحسر هو من حسرة أي كشفه، أي وقد يكشف من ريشه. وتترى أي شيئا بعد شئ.

(9) ينحت: يسقط وينقشر.

(10) ذهبية.

أهمُّ مميزاتِ الأسلوبِ الأدبيِّ:

1- يثير عاطفةَ السامع أو القارئِ ويؤثّر في نفسه.

2- يمتازُ باختيارِ الألفاظِ والتأثيرِ فيها.

3- ويمتازُ بامتزاجِ الفكرةِ بالعاطفةِ والانفعالات.

4- ويمتازُ بالعنايةِ بصورِ البيانِ من تشبيهٍ واستعارةٍ وكنايةٍ... الخ.

5- ويمتازُ بالحرصِ على موسيقيةِ العبارةِ، لتصوّرَ الإحساسَ وتهزَّ المشاعرَ.

نموذجٌ من الأسلوبِ الأدبيِّ:

في قصيدةٍ للمتنبي يصوّرُ فِيهَا الحُمَّى الراجِعَةَ لا كَمَا يَرَاهَا الأَطباءُ أَثراً لجراثيمَ تَدْخلُ الجسمَ، فترفعُ حرارتَهُ، وتُسببُ رِعْدةً وقُشَعْرِيرةً. حتَّى إذَا فرغتْ نَوْبَتُها تَصبَّبَ الجسمُ عَرَقاً. ولكنَّه يُصوّرها كما تَرَاهَا في الأَبياتِ الآتية:

وزَائِرتي كأَنَّ بها حياءً ... فليْس تَزُورُ إلاَّ في الظَّلام

بذَلتُ لَها المَطَارف والحَشَايَا ... فَعَافتها وباتتْ في عظامي

يضيقُ الجلدُ عَنْ نَفسِي وعنها ... فَتُوسِعُهُ بِأَنواعِ السَّقام

كأَنَّ الصبحَ يطْرُدُها فتجري ... مَدَامِعُها بأَربعة سجام

أُراقِبُ وقْتَها مِنْ غَيْرِ شَوْقٍ ... مُرَاقَبَةَ المَشُوق المُسْتهَام

ويصْدُقُ وعْدُهَا والصِّدْقُ شرٌّ ... إذا أَلْقاكَ في الكُرَب العِظام

أَبِنْتَ الدَّهْر عِنْدِي كلُّ بنْتٍ ... فكيف وصَلتِ أَنتِ مِن الزِّحامِ

3 - الأسلوبُ الخطابيُّ:

هنا تَبْرُزُ قوةُ المعاني والألفاظِ، وقوةُ العقلِ الخصيبِ، وهنا يتحدثُ الخطيبُ

إلــى إرادةِ سامعيهِ، لإثارةِ عزائمهِم واستنهاضِ هممهِم، ولجمالِ هذا الأُسلوبِ ووضوحــهِ شأنٌ كبيرٌ في تأثيرهِ ووصولهِ إلى قرارةِ النفوسِ، ومما يزيدُ في تأثير هــذا الأُسلوبِ منزلةُ الخطيبِ في نفوسِ سامعيهِ، وقوةُ عارضتِه، وسطوعُ حجَّتِه، ونبَراتُ صوتهِ، وحسنُ إلقائهِ، ومُحْكَمُ إشارتهِ.

أهمُّ مميزاتِ الأسلوبِ الخطابيِّ:

1- يتميّزُ هذا الأُسلوبِ بالتكرارِ، واستعمالِ المترادفاتِ، وضربِ الأمثالِ.

2- يختارُ الكلماتِ الجزلةَ، ذاتَ الرنينِ.

3- تتعاقبُ ضروبُ التعبيرِ، من إخبارٍ إلى استفهامٍ إلى تعجبٍ إلى استنكارٍ...

4- تظهر فيه مواطنُ الوقفِ قويةً شافيةً للنفسِ.

مثال على الأسلوبِ الخطابيِّ:

خطبة الجهاد لأمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام:

«.... اَلَا وَ إِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَيْلًا وَ نَهَاراً وَ سِرّاً وَ إِعْلَاناً وَقُلْتُ لَكُمُ اغْزُوهُمْ قَبْلَ اَنْ يَغْزُوكُمْ فَوَاللهِ مَا غُزِيَ قَوْمٌ قَطُّ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ[1] إِلَّا ذَلُّوا فَتَوَاكَلْتُمْ وَ تَخَاذَلْتُمْ حَتَّى شُنَّتْ عَلَيْكُمُ الْغَارَاتُ وَ مُلِكَتْ عَلَيْكُمُ الْاَوْطَانُ وَ هَذَا اَخُو غَامِدٍ[2] [وَ] قَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ الْاَنْبَارَ وَ قَدْ قَتَلَ حَسَّانَ بْنَ حَسَّانَ الْبَكْرِيَّ وَ أَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا[3] وَ لَقَدْ بَلَغَنِي اَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ وَ الْاُخْرَى الْمُعَاهِدَةِ فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا وَ قُلُبَهَا وَ قَلَائِدَهَا وَ

(1) عقـر الـدار بالضم وسطها وأصلهـا وتواكلتم وكل كل منكم الأمر إلـى صاحبه أي لم يتوله أحد منكم بل أحالـه كل على الآخر ومنه يوصف الرجل بالوكل أي العاجز لأنه يكل أمره إلى غيره. وشنت الغارات فرقت عليكم من كل جانب كما يشن الماء متفرقا دفعة بعد دفعة وما كان إرسالا غير متفرق يقال فيه سن بالمهملة.

(2) أخـو غامـد هو سفيان ابن عوف من بني غامد قبيلة من اليمن من أزد شنوءة بعثـه معاوية لشن الغارات على أطراف العراق تهويلا على أهله. والأنبار بلدة على الشاطئ الشرقي للفرات ويقابلها على الجانب الغربي هيت.

(3) جمع مسلحة بالفتح وهي الثغر. والمرقب حيث يخشى طروق الأعداء.

رُعُثَهَا[1] مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِالاسْتِرْجَاعِ وَالاسْتِرْحَامِ[2] ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافِرِينَ مَا نَالَ رَجُلاً مِنْهُمْ كَلْمٌ وَلَا أُرِيقَ لَهُمْ دَمٌ[3] فَلَوْ أَنَّ امْرَأً مُسْلِماً مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسَفاً مَا كَانَ بِهِ مَلُوماً بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيراً، فَيَا عَجَبا عَجَباً - وَاللَّهِ - يُمِيتُ الْقَلْبَ وَيَجْلِبُ الْهَمَّ مِنَ اجْتِمَاعِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ فَقُبْحاً لَكُمْ وَتَرَحاً حِينَ صِرْتُمْ غَرَضاً يُرْمَى يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغِيرُونَ وَتُغْزَوْنَ وَلَا تَغْزُونَ وَيُعْصَى اللَّهُ وَتَرْضَوْنَ..»[4].

القواعد الرئيسة

- الأسلوب هو المعنى المَصُوغُ في ألفاظ مؤلَّفة على صورة تكون أقربَ لنيل الغرضِ المقصود من الكلام، وأفعلَ في نفوسِ سامعيه.
- الأسلوبُ ثلاثةُ أنواع: أسلوبٌ علميٌّ ،وأسلوبٌ أدبيٌّ ،وأسلوبٌ خطابيٌّ.
- ينقسمُ الأسلوب العلميُّ إلى: أسلوبٌ علميٌّ متأدبٌ ، و أسلوبٌ علميٌّ بحتٌ.

أهمُ مميزاتِ الأسلوبِ العلمي:

1- يمتازُ بالوضوحِ والدقةِ والتحديد، والترتيبِ المنطقيِّ.

2- يمتازُ باستخدامِ الأدلةِ والبراهينِ، والبعدِ عن المبالغة.

3- يمتازُ بالابتعادِ عن الخيالِ والعاطفة.

(1) المعاهدة الذمية. والحجل بالكسر خلخالها. والقلب بالضم سوارها. والرعاث جمع رعثة بالفتح ويحرك بمعنى القرط ويروى رعثها بضم الراء والعين جمع رعاث جمع رعثة.

(2) الاسترجاع ترديد الصوت بالبكاء. والاسترحام أن تناشده الرحم.

(3) وافرين تأمين على كثرتهم لم ينقص عددهم والكلم بالفتح الجرح.

(4) ترحا بالتحريك أي هما وحزنا أو فقرا والفرض ما ينصب ليرمى بالسهام ونحوها فقد صاروا بمنزلة الهدف يرميهم الرامون وهم نصب لا يدفعون وقوله ويعصى الله يشير إلى ما كان يفعله قواد جيش معاوية من السلب والنهب والقتل في المسلمين والمعاهدين ثم أهل العراق راضون بذلك إذ لو غضبوا لهموا بالمدافعة.

أهمُّ مميزاتِ الأسلوبِ الخطابيِّ:

1- مـن أظهرِ مميـزاتِ هذا الأُسلوبِ التكـرارُ، واستعمـالُ المترادفاتِ، وضربُ الأمثالِ

2- اختيارُ الكلماتِ الجزلة، ذاتِ الرنينِ

3- تعاقبُ ضروبِ التعبيرِ، من إِخبارٍ إلى استفهامٍ إلى تعجبٍ إلى استنكارِ.

تمارين

1- وضِّح مفهومَ الأسلوبِ.

2- بينْ أنواعَ الأسلوبِ.

3- عددْ أهمَّ خصائصِ الأسلوبِ العلميِّ.

4- عددْ أهمَّ ميزاتِ الأسلوبِ الأدبيِّ.

5- عدد أهمَّ خصائص الأسلوبِ الخطابيِّ.

6- اكتـب فقرتيـن كل واحدة منها مؤلفـة من ثلاثة أسطر، تستخـدم في الأولى أسلوباً علمياً، وفي الثانية أسلوباً أدبياً، في الحديث عن الشمس؟

زينب عليها السلام بطلة كربلاء.... ببيانها

عـن ابي إسحاق عن خذيمة الاسدي قال: سمعت عليّ بن الحسين عليه السلام وهو يقول بصوت ضئيل قد نحل من شدّة المرض: يا أهل الكوفة، إنّكم تبكون علينا، فمـن قتلنا غيركم؟! ورأيت زينب بنـت عليّ عليه السلام فلم أر والله خَفِرَةً قطّ أنطق منها، كأنّها تنطق وتفرغ على لسان علي عليه السلام، وقد أشارت إلى الناس بأن أنصتوا فارتـدّت الأنفاس وسكنـت الأجراس، ثمّ قالت - بعد حمـد الله تعالى والصلاة علـى رسولـه صلى الله عليه وآله - أمّا بعد يا أهل الكوفة يا أهل الخَتْـل[1] والغَدْر، والخَذْل!! ألا فـلا رقأت العبرة [2] ولا هدأت الزفرة، إنّما مثلكـم كمثل الّتي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثاً[3] تتّخذون أيمانكم دخلاً بينكم[4] هل فيكم إلّا الصلف[5] والعجب، والشنف[6] والكذب، وملق الإماء وغمز الأعداء[7] أو كمرعى على دِمْنَة[8] أو كفضة على ملحودة[9] ألا بئس ما قدّمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون، أتبكون أخي؟! أجل والله فابكوا فإنّكم أحرى بالبكاء فابكوا كثيراً، واضحكـوا قليلاً، فقد أبليتـم بعارها، ومنيتم بشنارها[10] ولـن ترحضوا أبداً[11] وأنّـى ترحضون قتل سليل خاتم النبوّة ومعدن الرسالة، وسيّد شباب أهل الجنّة،

(1) الختل: الخداع.
(2) رقأت: جفت.
(3) أي: حلته وأفسدته بعد إبرام.
(4) أي: خيانة وخديعة.
(5) الصلف: الذي يمتدح بما ليس عنده.
(6) الشنف: البغض بغير حقّ.
(7) الغمز: الطعن والعيب.
(8) الدمنة: المزبلة.
(9) الفضة: الجص. والملحودة: القبر.
(10) الشنار: العار.
(11) أي لن تغسلوها.

وملاذ حربكم، ومعاذ حزبكم ومقرّ سلمكم، وآسي كَلْمِكُم[1] ومفزعِ نازلتكم، والمرجع إليه عند مقاتلتكم ومدرة حججكم[2] ومنار محجّتكم، ألا ساء ما قدّمت لكم أنفسكم، وساء ما تزرون ليوم بعثكم، فتعساً تعساً ! ونكساً نكساً ! لقد خاب السعي، وتبّت الأيدي، وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضب من الله، وضربت عليكم الذِلّة والمَسْكَنَة. [...] ثمّ أنشأت تقول عليها السلام:

ماذا تقولون إذ قال النبيّ لكم
ماذا صنعتم وأنتم آخرُ الأممِ
بأهل بيتي وأولادي وتَكْرمتي
منهم أُسَارَى ومنهم ضُرِّجُوا بدم
ما كان ذاك جزائي إذ نصحتُ لكم
أن تخلفوني بسوءٍ في ذوي رَحِمي
إنّي لأخشى عليكم أن يحلَّ بكم
مثلَ العذابِ الّذي أودى على إرم

ثمّ ولّت عنهم[3].

(1) أي: دواء جرحكم.
(2) المدرة زعيم القوم ولسانهم المتكلّم عنهم.
(3) الشيخ الطبرسي، الاحتجاج، ج3، ص159، تحقيق شرح وترجمة أحمد غفاري مازاندراني، الناشر المكتبة المرتضوية لاحياء التراث الجعفري، لاد، لاط، لات.

الفصل الأوّل

علم البيان

الكفايات

1- التعرّف إلى حقيقة علم البيان.

2- التعرّف إلى معنى التشبيه وأقسامه المتنوّعة.

3- التمييز بين الحقيقة والمجاز.

4- القدرة على تطبيق أنواع التشبيه والإستعارة والمجاز.

الدرس الرابع

علم البيان - التشبيه

أهداف الدرس

1- أن يتعرّف الطالب إلى علم البيان في الإصطلاح.

2- أن يتعرّف الطالب إلى معنى التشبيه.

3- أن يعدّد الطالب أركان التشبيه.

4- أن يملك الطالب القدرة على معرفة وتطبيق أركان التشبيه.

مدخل في التعريف بعلم البيان:

البيـانُ فِـي الُّلغَة: مَعْنَاهُ الظُّهُورُ والوضُوحُ والإِفْصَاحُ، وَمَا تَبيَّنَ بِهِ الشَّيءُ مِنَ الدَّلاَلةِ وغيرِهَا؛ نَقُولُ بَانَ الشيءُ بياناً: اتّضحَ، فهو بيّنٌ، والجمعُ: أبْيناء.

والبيـان: الفصاحـة واللَّسَـن[1]، وكلام بيّن: فصيحٌ، وفـلانٌ أبْينُ مِنْ فلانٍ: أفصحُ وأوْضَحُ كلاماً منْهُ.

وَوَرَدَتْ كلمـةُ «البَيَانِ» بدلَالاتِها الُّلغَويَّة فِي آياتِ القرآنِ الكريمِ، ومنْهَا قولُهُ -تَعَالَى-: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾[2].

وقولُهُ - تَعَالَى-: ﴿الرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[3].

بِهَذَا التعليـم تَمَيَّزَ الإنسانُ عَنْ كثيرٍ مِن خلقِهِ - تَعَالَى-، وصَارَ ناطقاً مُبيناً، يَستطِيعُ أنْ يعبِّرَ عمَّا يخطُرُ بخَاطِرِهِ، ويَجُولُ فِي نفسِهِ مِنَ المَعَانِي، فَيوصِلهَا إِلَى غيَرِهِ مِنَ البَشرِ، ويَتلقَّاهَا الغَيرُ عَنْهُ، فَيَتمُّ التَفَاهُمُ.

ثُمَّ أخَـذَتْ كلمةُ «البيـانِ» دلَالَاتِها الاصطلاحيَةَ فِي مَا بَعـدُ فأصبحَ «البيانُ»

(1) يقال: رجلٌ لسنٌ بَيْنُ اللَسَنِ إذا كان ذا بيان وفصاحة.

(2) سورة آل عمران، الآية: 138.

(3) سورة الرحمن، الآيات: 1-4.

أحدَ علومِ البَلاغَةِ الثلاثةِ المعروفةِ: «البيانُ والمعانِي والبَديعُ».

وقَـد تَداخَـلَ علمُ «البيانِ» بـادئَ الأمرِ مَعْ عِلـمِ «المعانِـي»، واستوعَبَ بَعضَ مَباحثِهِ لَاحِقاً علومَ البَلاغَةِ كلَّها بعضَ الأحيانِ.

وقد عَرَّفَ البيانَ مجموعةٌ مِنَ الأُدَبَاءِ:

فقـال الجاحـظ: «والدِّلالة الظاهـرةُ على المعنـى الخفيِّ هـو البيانُ الذي سمِعْتَ الله عزَّوجلَّ يمدحُـه، ويدعـو إليه ويحـثُّ عليه، بذلـك نَطَـقَ القُرآنُ، وبذلـك تفاخَـرَت العَرب، وتفاضَـلَتْ أصـنافُ العَجَـم، والبيان اسـمٌ جامعٌ لكلِّ شـيءٍ كشَـفَ لـك قِنـاعَ المعنـى، وهتـكَ الحِجَـاب دونَ الضـمير، حتّى يُفْضِـيَ السّامِعُ إلى حقيقته، ويَهجُم على محصولِه كائناً ما كان ذلك البيانُ، ومن أيِّ جنسٍ كان الدّليل؛ لأنَّ مَدَارَ الأمرِ والغايةَ التي إليها يجرِي القائل والسّـامع، إنَّما هو الفَهْمُ والإفهام؛ فبأيِّ شيءٍ بلغْتَ الإفهامَ وأوضَحْتَ عن المعنى، فذلك هو البيانُ في ذلك الموضع»[1].

وقـد عرَّفه الخطيـب القزويني بقوله: «علم يُعـرَف به إيـرادُ المعنى الواحدِ بطرقٍ مختلفةٍ في وضوحِ الدَّلالة عَليهِ»[2].

والبيان كما ترى ينصب على الدلالة، وهي عند المناطقة أنواع:

أ- دلالـة المطابقة: وهي أن يدل اللفظ على المفهوم الذي وُضع له في اللغة من غير زيادة أو نقصان. فهي دلالة وضعيه كدلالة لفظ «البيت» على البيت.

ب- دلالـة التضمن: وهي أن يدل اللفظ على مفهوم يتضمنه مدلوله الأصلي كأن يدل لفظ «البيت» على السقف.

ج- دلالة الالتزام: وهي أن يدل اللفظ على مفهوم يقتضيه مدلوله الأصلي عقلاً

(1) البيان والتبيين.

(2) الخطيب القزويني، الايضاح في علوم البلاغة، ص 215.

أو عرفاً، كأن يدل لفظ «**الحائط**» على السقف.

ودلالـة التضمن والالتزام دلالتان عقليتـان إذ يعتمد فيهما الذّهن على جملة مــن الوسائط في المرور من مدلــول إلى آخر. وهذا المــرور أو التجوز كثير في الـكلام ولذلك انفرد علم البيان داخل علم البلاغة بدراسة وجوهه. فهو يشتغل بـ«**الملازمات بين المعاني**»[1].

وسوفَ نحصُرُ الحديثَ عَنْ هَذَا العلمِ فِي موضوعاتٍ، أهمُّهَا: التَّشبِيهُ بأَركانِهِ وأَنواعِـهِ، والاستعـارةُ بِبعضِـ أنواعِهـا، والمجـازُ المرسلُ بعلاقاتِـهِ المتعدِّدةِ، والمجازُ العقليُّ، والكنايةُ.

التشبيه

تمهيدٌ:

للتّشبيـهِ روعـةٌ وجمالٌ، وموقـعٌ حسنٌ في البلاغـةِ، وذلكَ لإخراجـهِ الخفيَّ إلى الجلـيِّ، وإدنائهِ البعيدَ منَ القريبِ، يزيدُ المعانــي رفعةً ووضوحاً، ويكسبُها جمـالاً وفضــلاً، ويكسوها شرفـاً ونُبلاً، فهو فـنٌّ واسعُ النطاقِ، فسيـحُ الخطوِ، ممتـدُّ الحواشــي، مُتَشعبُ الأطرافِ، مُتوعـرُ المسلكِ، غامضُ المدركِ، دقيقُ المجرَى،غزيرُ الجدَوى.

ومـنْ أساليبِ البيــانِ أنكَ إذا أردتَ إثباتَ صفةٍ لموصـوفٍ، مع التوضيحِ، أو وجهٍ من المبالغةِ، عمدتَ إلى شيءٍ آخرَ، تكونُ هذه الصفةُ واضحةً فيه، وعقدتَ بينَ الاثنينِ مماثلةً، تجعلُها وسيلةً لتوضيحِ الصفةِ، أو المبالغةِ في إثباتها، لهذا كان التشبيهُ أولَ طريقةٍ تدلُّ عليهِ الطبيعةُ لبيانِ المعنَى.

(1) السكاكي، مفتاح العلوم، ص 118.

تعريفُ التشبيهِ:

التشبيهُ: لغةً التمثيلُ، نقول: هذا شبهُ هذا ومثيلُه.

والتشبيهُ اصطلاحاً: هو مشاركة أمر لأمر في معنى بأدوات معلومة[1] أو هو عقدُ مماثلةٍ بينَ أمرينِ أو أكثرَ، قُصِدَ اشتراكهُما في صفةٍ أو أكثرَ، بأداةٍ، لغرضٍ يقصُدهُ المتكلِّمُ للعلمِ، كقول المَعَرِّيّ في المَديح:

أَنْتَ كالشَّمْسِ في الضِّياءِ وإِنْ جا وَزْتَ كيوانَ[2] فِي عُلُوِّ المكانِ

حيث عَرَفَ الشاعِرُ أَن مَمْدُوحَه وَضِيءُ الوجهِ مُتَلأْلئُ الطلعة، فأَراد أن يأْتيَ لـه بمَثِيل تَقْوَى فيه الصفةُ، وهي الضياءُ والإشراقُ، فلمْ يجدْ أَقوَى مِنَ الشَّمسِ، فضَاهَاهُ بِهَا، ولِبيَانِ المضاهاةِ أتَى بالكافِ.

وكقولِ الشاعرِ:

كأَنَّ أَخلاقَكَ فِي لُطْفِها ورقَّةٍ فِيها نَسِيمُ الصَّباحْ

فقد وجَدَ الشاعرُ أخلاقَ صَدِيقِه دمِثَةً لَطيفَةً تَرتاحُ لها النفسُ، فَعملَ على أنْ يأْتي لها بنظيرٍ تَتَجَلَّى فيه هذه الصِّفةُ وتَقْوَى، فرأى أنَّ نسيمَ الصباحِ كذلكَ، فَعَقَدَ المماثلة بينهما، وبيَّن هذه المماثلة بالحرف «كأنَّ».

ومِنْ هنَا نَرَى فِي كلِّ بيتٍ مِنَ البيتينِ السَّابقينِ أنَّ شيئاً جُعِلَ مَثِيلَ شيءٍ فِي صفةٍ مشتركةٍ بينهما، وأنَّ الَّذي دلّ عَلى هَذِه المُماثلةِ أداةٌ هِي الكافُ أو كأنَّ، وهَذا ما يُسَمَّى بـ«التشبيه»، فَقَد رأَيتَ أنْ لا بدَّ لهُ من أركانٍ أربعةٍ: الشيء الذي يُرادُ تشبيهُهُ ويسمَّى «المشبَّهَ»، والشيء الَّذي يُشَبَّه به ويُسمَّى «المشبَّه به»، والصفةُ المشتركة بَينَ الطَّرفين وتسمَّى «وجه الشَّبَه»، و«أداةُ التشبيهِ» وهي الكاف وكأن ونحوهما.

(1) التفتازاني، مختصر المعاني، ص 188، الناشر: دار الفكر، مطبعة قدس - قم 1411 هـ.

(2) كيوان: زحل، وهو أحد الكواكب المعروفة في المجموعة الشمسية.

أركانُ التشبيهِ:

1 - المُشبَّهُ: هو الأمرُ الذي يُرادُ إلحاقُهُ بغيرِه ، «وقد يكون المشبَّه محذوفاً للعلم بـه، ولكنَّه يُقَدَّرُ في الإعـراب، وهذا التقديرُ بمثابة وجـوده كَمَا إذا سُئلت «كيفَ عليٌّ»؟ فقلتَ: «كَالزهرَة الذابلة» فإنَّ «كالزهَرة» خبرٌ لمبتدأ محَذوف، والتقديرُ: «هو الزهرةُ الذابلةُ»[1].

2 - المُشبَّهُ بـه: هو الأمـرُ الذي يُلحَقُ بـِه المشبَّهُ، وهذانِ الركنـانِ يسميانِ طرفي التشبيه.

3 - وجـهُ الشبه: هو الوصـفُ المشترَكُ بينَ الطرفين، ويكـونُ في المشبَّه به أقـوَى منـهُ فَي المشبَّهِ، وقد يُذكـرُ وجهُ الشَّبهِ في الـكلامِ، وقد يُحذَفُ كما سيأتي توضيحُه[2].

4 - أداةُ التَّشبيه[3]: هي اللفظُ الذي يدلُ على التشبيه، ويربطُ المشبَّهَ بالمشبَّه به، وقد تُذكرُ الأداةُ في التشبيهِ، وقدْ تحذف.

(1) علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص 223.

(2) يأتي تفصيل ذلك في درس أقسام التشبيه.

(3) أداة التشبيه إمّا اسم، نحو شبه ومثل ومماثل وما رادفها، وإما فعل، يشبه ويماثل ويضارع ويحاكي ويشابه، وإما حرف، وهو الكاف وكان.

تعريفُ التشبيهِ:

التشبيهُ: لغةً التمثيلُ، نقول: هذا شبهُ هذا ومثيلُه.

والتشبيهُ اصطلاحاً: هو مشاركة أمر لأمر في معنى بأدوات معلومة[1] أو هو عقدُ مماثلةٍ بينَ أمرينِ أو أكثرَ، قُصِدَ اشتراكهُما في صفةٍ أو أكثرَ، بأداةٍ، لغرضٍ يقصُدهُ المتكلِّمُ للعلمِ، كقول المَعَرِّيّ في المَديح:

أَنْتَ كالشَّمْسِ في الضِّياءِ وإِنْ جا وَزْتَ كيوانَ[2] في عُلُوِّ المكانِ

حيث عَرَفَ الشاعِرُ أَن مَمْدُوحَه وَضِيءُ الوجهِ مُتَلألئُ الطلعة، فأَراد أن يأْتيَ له بمَثِيل تَقْوَى فيه الصفةُ، وهي الضياءُ والإشراقُ، فلمْ يجدْ أقوَى مِنَ الشَّمسِ، فضَاهَاهُ بِهَا، ولِبيَانِ المضاهاةِ أتَى بالكافِ.

وكقولِ الشاعرِ:

كأَنَّ أَخلاقَكَ في لُطْفِها ورقَّةٍ فِيها نَسِيمُ الصَّباحْ

فقد وجَدَ الشاعرُ أخلاقَ صَدِيقِه دمِثَةً لَطِيفَةً تَرتاحُ لها النفسُ، فَعملَ على أنْ يأتي لها بنظيرٍ تَتَجَلَّى فيه هذه الصِّفةُ وتَقْوَى، فرأى أنَّ نسيمَ الصباحِ كذلكَ، فَعَقَدَ المماثلة بينهما، وبيَّن هذه المماثلة بالحرف «**كأنَّ**».

ومِنْ هنَا نَرَى فِي كلِّ بيتٍ مِنَ البيتينِ السَّابقينِ أنَّ شيئاً جُعِلَ مَثِيلَ شيءٍ فِي صفةٍ مشتركةٍ بينهما، وأنَّ الَّذي دلَّ عَلى هَذِهِ المُماثلةِ أداةٌ هِي الكافُ أو كأنَّ، وهَذا ما يُسَمَّى بـ«**التشبيهِ**»، فَقَد رأيتَ أنْ لا بدَّ لهُ من أركانٍ أربعة: الشيء الذي يُرادُ تشبيهُهُ ويسمَّى «**المشبَّه**»، والشيء الَّذي يُشَبَّه به ويُسمَّى «**المشبَّه به**»، والصفةُ المشتركة بَينَ الطَّرفين وتسمَّى «**وجه الشَّبَه**»، و«**أداةُ التشبيهِ**» وهي الكاف وكأن ونحوهما.

---

(1) التفتازاني، مختصر المعاني، ص 188، الناشر: دار الفكر، مطبعة قدس - قم 1411 هـ.

(2) كيوان: زحل، وهو أحد الكواكب المعروفة في المجموعة الشمسية.

أركانُ التشبيهِ:

1 - المُشبَّهُ: هو الأمرُ الذي يُرادُ إلحاقُهُ بغيرِه، «وقد يكون المشبَّه محذوفاً للعلم بـه، ولكنَّه يُقَدَّرُ في الإعـراب، وهذا التقديرُ بمثابة وجـوده كَمَا إذا سُئلت «كيفَ عليٌّ»؟ فقلتَ: «كالزهرة الذابلة» فإنَّ «كالزهَرة» خبرٌ لمبتدأ محذوف، والتقديرُ: «هو الزهرةُ الذابلةُ»[1].

2 - المُشبَّهُ بـه: هو الأمـرُ الذي يُلحَقُ بـه المشبَّهُ، وهذانِ الركنـانِ يسميانِ طرفي التشبيه.

3 - وجـهُ الشـبه: هو الوصـفُ المشترَكُ بينَ الطرفين، ويكـونُ في المشبَّه به أقـوَى منـهُ في المشبَّه، وقد يُذكـرُ وجهُ الشَّبهِ في الـكلام، وقد يُحذَفُ كما سيأتي توضيحُه[2].

4 - أداةُ التَّشبيه[3]: هي اللفظُ الذي يدلُّ على التشبيه، ويربطُ المشبَّهَ بالمشبَّه به، وقد تُذكرُ الأداةُ في التشبيه، وقدْ تحذف.

(1) علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص 223.

(2) يأتي تفصيل ذلك في درس أقسام التشبيه.

(3) أداة التشبيه إمّا اسم، نحو شبه ومثل ومماثل وما رادفها، وإما فعل، يشبه ويماثل ويضارع ويحاكي ويشابه، وإما حرف، وهو الكاف وكأن.

البيانُ: أصولٌ وقواعدُ يُعرفُ بِهَا إيرادُ المَعنَى الواحد بطرقٍ مختلفةٍ.

البيـانُ فـي اللُغَة: مَعْنَاهُ الظُهُورُ والوضُوحُ والإفْصَاحُ، وَمَا تَبيَّنَ بِهِ الشَّيءُ مِنَ الدَّلاَلةِ وغيرِهَا؛ نَقُولُ بَانَ الشيءُ بياناً: اتَّضحَ، فهو بيّنٌ.

والبيـان: الفصاحـة واللَّسَــن، وكلام بيّن: فصيــحٌ، وفلانٌ أبْيَــنُ مِنْ فلانٍ: أفصحُ وأوْضَحُ كلاماً منْهُ.

ثمَّ أخذَتْ كلمةُ «البيان» دلالاَتها الاصطلاحيَةَ في مَا بَعدُ فأصبَحَ «البيانُ» أحدَ علومِ البَلاغَةِ الثلاثةِ المعروفةِ: «البيانُ والمعانِي والبَديعُ».

تَداخَلَ علمُ «البيانِ» باديَ الأمرِ مَعْ علمِ «المعانِي»، واستوعَبَ بَعضَ مَباحثِهِ لاحقاً، وشَمِلَ علومَ البَلاغةِ كلَّها بعضَ الأحيان

التَّشبيهُ: هو مشاركةُ أمرٍ لأمرٍ فِي مَعنًى بأدواتٍ معلومةٍ.

أركانُ التَّشبيهِ أربعةٌ: المُشَبَّهُ، والمشُبَّهُ بهِ، «ويُسَمَّيان طَرَفَي التَّشبيهِ»، وأداةُ التَّشْبيهِ، وَوَجْهُ الشَّبَهِ، وَيَجبُ أنْ يَكُونَ أقْوَى وَأظْهَرَ فِي المُشبَّهِ بهِ مِنْهُ فِي المُشَبَّهِ.

تمارين

1- عرّف علم البيان في اللغة والاصطلاح.

2- عرّف التشبيهَ لغةً واصطلاحاً وهاتِ مثالاً عليه.

3- عدّد أركانَ التشبيه مع التمثيل.

4- بَيِّنْ أركان التشبيه فيما يأتي:

أ- أَنْت كالبحْر في السَّماحةِ والشَّمْـ ـسِ عُلُوًّا والْبدْر في الإشراقِ

ب- العُمْرُ مِثْلُ الضَّيْفِ أَوْ كالطَيْفِ لِيْس لَهُ إقامةْ

ج- كلامُ فلانٍ كالشَّهْدِ في الحلاوة.

د- الناسُ كأَسْنان المُشْطِ في الاستواء.

5- اشرح بإيجاز قول المتنبي في المديح. وبيّن جمال ما فيه من التشبيه:

كالبَدْرِ من حَيثُ التَفَتَّ رَأَيْتَهُ يُهْدي إلى عَيْنَيْكَ نُوراً ثاقِبَا

كالبَحْرِ يَقذِفُ للقَريبِ جَواهِراً جُوداً ويَبْعَثُ للبَعيدِ سَحائِبَا

كالشّمسِ في كَبِدِ السّماءِ وضَوْؤها يَغْشَى البِلادَ مَشارِقاً ومَغارِبَا

مؤلّفات الشيعة في علم البلاغة

أوّل مـن وضعـه وألّف فيه المرزبانـي أبو عبد الله محمّد بـن عمران الكاتب الخراسانـي البغـدادي يـروي عنه السيـد المرتضى فـي أماليه كثيـراً قال ابن النديـم: آخر من رأينا من الأخباريين المصنّفين واسع المعرفة بالروايات كثير السمـاع وعدّ مـن مؤلّفاته كتاب المفصّل فـي البيان والفصاحـة نحو ثلاثمائة ورقـة وقال السيوطي في الأوائل: أوّل من صنّـف في المعاني والبيان الشيخ عبد القاهر الجرجاني، ولكن المرزبانـي توفّي 378. والشيخ عبد القاهر الجرجاني توفّـي 444 أو 471 فيكون المرزباني أقـدم. نصّ على تشيّعه اليافعي في تاريخه وابـن خَلّـكَان؛ فعن اليافعي أنّه أخذ عن ابن دريد وابـن الأنباري العلوم الأدبية. قال:وهو صاحب التصانيف المشهورة والمجاديع الغريبة ورواية الأدب وصاحب التأليفـات الكثيرة ثقة في الحديث قائل بمذهـب التشيّع. وقال ابن خَلّكَان: كان راويةً للأدب صاحب أخبار وتآليفه كثيرة وكان ثقة في الخديث ومائلاً إلى التشيّع فـي المذهب. وبعده الشيـخ ميثم بن علي ابن ميثم البحرانـي معاصر للسكّاكي صاحب المفتاح وأستاذ السيد الشريف الجرجاني، ينقل عنه الشريف في أوائل فنّ البيان من شرح المفتاح معبّراً عنه ببعض مشايخنا له كتاب تجريد البلاغة في المعاني والبيان ذكره في كشف الظنون. وللمقداد السيوريّ عليه شرح سمّاه تجريـد البراعة في شـرح تجريد البلاغة. والشيخ عمـاد الدِّين يحيى بن أحمد الكاشـي. له شرح المفتاح للسكّاكي ذكره في كشف الظنون وذكره بعض تلامذة الشيـخ علـيّ الكركي فـي رسالته في أسامـي علمائنا، وكذا عـن صاحب تذكرة المجتهدين من الإماميّة، وذكرا له الشرح المذكور، ولكن صاحب رياض العلماء ظـنّ أنّه من علمـاء أهل السنّة، ولم يستبعـد كونه بعينه حسام الدِّيـن المُؤَذِّني

المشهور شارح المفتاح للسكاكي مجهول العصر. وأبو جعفر قطب الدّين محمّد بن محمّد الرازي الدمشقيّ شارح الشمسيّة والمطالع له شرح المفتاح ذكره في أمل الآمل وتوفّي بصالحية دمشق 766.

علم البديع: أوّل من أكثر استعمال الأنواع البديعية في شعره إبراهيم بن عليّ بن هرمة الشاعر مادح أهل البيت وشاعرهم أواسط المائة الثانية. ثمّ جمع قدامة بن أعفر الكاتب البغدادي في كتابه نقد الشعر عشرين نوعاً من أنواع البديع قال صفي الدّين الحلّي في خطبة شرح بديعيته: وكان جملة ما جمع ابن المعتز منها سبعة عشر نوعاً ومعاصره قدامة بن جعفر الكاتب فجمع منها عشرين نوعاً توارد معه على سبعة منها وسلّم له ثلاثة عشر فتكامل لهما ثلاثون نوعاً ثمّ اقتدى بهما الناس في التأليف وقال ابن المعتز في صدر كتابه - على ما حُكِيَ - أنّه ما جمع قبلي فنون الأدب أحد ولا سبقني إلى تأليفه مؤلّف. وحيث أنّ قدامة معاصر له كما سمعت، فلا يُعلم أيّهما السابق. وكيف كان، فقدامة أوّل من ألّف فيه من الشيعة حوالي 310. وأوّل من جعل أنواع البديع في مدح النبيّ ﷺ على وزن قصيدة البُرْدَة وقافيتها صفي الدّين عبد العزيز بن سرايا الحلّي، فنظم بديعيّته وشرحها وطُبعت مع الشرح، واقتدى به ابن حجّة الحَمَويّ والمَوْصليّ ومحمّد بن جابر الأندلسيّ وغيرهم. والسيّد عليّ خان الشيرازي صاحب السُّلَافة نظم فيه بديعيته وشرحها وطبعت مع الشرح واسمه أنوار الربيع 1120 (1).

(1) السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج 1، ص 166، تحقيق حسن الأمين، الناشر دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لاط، لات.

الدرس الخامس

أقسام التشبيه

أهداف الدرس

1- أن يتعرّف الطالب إلى أقسام التشبيه.

2- أن يتذوّق بلاغة صور التشبيه المختلفة.

3- أن يملك القدرة على تمييز أقسام التشبيه في مواردها.

أقسامُ التشبيهِ

تعَرَفْنَـا فِي الدَّرسِ السَّابقِ عَلَى مَعنَى البَيَانِ، والتّشبيهِ، وأنَّ التَّشبيهَ لهُ أركانٌ أربعـةٌ، ونَريدُ فِي هَذَا الدَّرسِ أنْ نَتعرَّفَ عَلَـى أقسامِ التَّشبيهِ كَمَا ذكرَهَا علماءُ البَيَـانِ، ولأنَّ أركانَ التَّشبيـهِ ليسـتْ عَلَى درجـةٍ واحدةٍ مِنَ الأهميـةِ؛ فبعضُهَا ضـروريٌّ لَا يَقُومُ التَّشبيهُ إلَّا بـهِ[1]، وبعضُهَا يمكنُ حذفُـهُ والاستغناءُ عَنْ ذكرِهِ، كأداةِ التَّشبيـهِ ووجهِ الشَّبهِ، ولأنَّ أمثلَـةَ التَّشبيهِ جميعُهَا تَشتَرِكُ دائماً فِي وجودِ طَرفَـي التَّشبيهِ الَّلذين لا يمكنُ حذفُهما في بابِ التَّشبيـهِ؛ فسيكونُ التَمايزُ بَينَ أقسامِ التَّشبيهِ تَبعاً للأداةِ ووجهِ الشَّبهِ مِنْ ذكرٍ أو حذفٍ.

تقسِيمُ التَّشبيهِ باعتِبارِ أداتِهِ:

أولاً: نقرأُ قَوْلَه تَعالَى:

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[2].

فِـي هذهِ الآيةِ المباركةِ عدةُ تشبيهَـاتٍ نَأخُذُ منْهَا « مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا

(1) إن حذف أي من المشبّه والمشبّه به يخرجنا إلى باب آخر من أبواب البيان هو (الاستعارة) كما سيأتي.

(2) سورة النور، الآية: 35.

مِصْبَاحٌ ،فَنَرَى أنَّ الله - تَعَالَى- قَدْ شبَّهَ نورَه بالمشكاة، والمشكاةُ كوةٌ غيرُ نافذة، فيها يُوضَعُ المصباحُ، واستُعيرتْ لصَدرِ النبيِّ ﷺ، وشَبَّه اللطيفةَ القدسيةَ في صدرِه ﷺ بالمصباحِ، فقولُهُ: ،كمشكاة فيها مصباح» أيْ كمصبَاحٍ فِي زجاجَةٍ فِي مِشْكاة، وإذَا تَأمَّلنَا هَذَا التَّشبِيهَ، رأيْنَا أنَّ أداةَ التَّشبيهِ قَدْ أُرسِلَتْ فيه، وكلُّ تَشبيهٍ ذُكِرَتْ فيهِ الأداة سُمِّيَ «تشبيها مرسلاً».

ثانياً: نقرأُ قولَ الشاعرِ[1]:

أنْتَ نَجْمٌ في رِفْعةٍ وضِياءٍ ... تجْتَليك[3] العُيُونُ شَرْقاً وغَرْبا[4]

يُشبِّهُ الشاعرُ مَمْدوحَهُ بـ «النجمِ في الرفعةِ والضياء»، ولكنَّهُ لمْ يَذْكرْ أداةَ التَّشبيهِ، فكَانَ التَّشبيهُ أوجزَ، وَمَا ذَلِكَ إلَّا لِحذْفِ الأداةِ، وكانَ أيْضاً أبلغَ وأشدَّ وقْعاً فِي النَّفسِ، وَمَا ذَلِكَ إلَّا لإيهامِهِ بأنَّ المشبَّهَ عينُ المشبَّهِ بِهِ، وَمَا كانَ مِنَ التَّشبِيهِ خالياً مِنْ أداةِ التَّشبِيهِ يُطلقُ عَليهِ «التَّشبيه المؤكَّد»[4].

ثالثاً: قالَ اللهُ - تعَالَى-: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾[5] وَقَالَ: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾[6].

يشبِّه اللهُ - تَعَالَى- فِي الآيةِ الأُولَى كلاًّ مِنَ الرَّجُلِ والمرأةِ باللِّبَاسِ، أيْ المَسكنَ، أوْ مِنَ المُلابَسَةِ، وهِيَ الاختلاطُ والاجتِمَاعُ، ولمَّا كانَ الرجلُ والمرأةُ يَشتَمِلُ كلٌّ منْهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ، شُبِّهَ باللِّباسِ، فالرجُلُ لِباسُ المرأةِ، والمرأةُ

(1) لم اعثر له على قائل.
(2) تجتليك: تنظر اليك.
(3) جواهر البلاغة.
(4) ومن المؤكدِ ما أضيفَ فيه المشبَّهُ به إلى المشبَّه، كقول الشاعر:
وَالرِّيحُ تَعبَثُ بِالغُصُونِ، وقَدْ جَرَى... ذَهَبُ الأَصيلِ عَلى لُجَيْنِ المَاءِ
أي أصيلٌ كالذهبِ على ماءٍ كاللجَين.
(5) سورة البقرة، الآية: 187.
(6) سورة النبأ، الآية: 20.

لبَاسُـهُ. وفِي هَـذَا التَّشبِيهِ نَجِدُ أنَّ أداةَ التَّشبِيهِ لَا وجودَ لَهَا، وكَذَلكَ وجهَ الشَّبَه. وفِـي الآيةِ الثانيةِ يقولُ: إنَّ الجبالَ أُزيلتْ عَنْ أماكِنِهَا فَكَانَتْ كالسَّرَابِ يُظَنُّ أنَّها جبـالٌ ولَيْسَتْ كَذَلِـكَ، ولكنَّنَا لمْ نرَ أثراً ظَاهِراً للأداةِ ووجـهِ الشَّبه، بَلْ أُهملتِ الأداةُ الَّتـي تـدلُّ على أنَّ المشبَّـه أضعفُ في وجهِ الشَّبَهِ مِـنَ المشبَّهِ بِهِ، وأهملَ ذكرُ وجهِ الشّبهِ الَّذِي ينمُّ عَنْ اشتراكِ الطَرَفَينِ فِي صِفَةٍ أوْ صفاتٍ دونَ غيرِهَا. ويسمَّـى هَذَا النوعُ «التشبيهَ البليـغَ»، وهُوَ مظهرٌ من مظاهـرِ البَلاغَةِ، وميدانٌ فسيـحٌ لتسابُقِ المُجيدينَ مِنَ الشُّعـراءِ والكتَّابِ»[1]. وسَبَبُ هَذِهِ التسميةِ أنَّ ذكرَ الطرفينِ فقط، أي «المشبَّهَ والمشبَّهَ بِهِ»، يوهِـمُ اتحادَهما، وعدمَ تفاضلِهما، فيَعْلو المشبَّهُ إلَى مستَوى المشبَّهِ بهِ، وهَذِهِ هِيَ المبالغةُ في قوةِ التشبيهِ.

صورُ وقوعِ التشبيهِ البليغ:

يقعُ التشبيهُ البليغُ على الصورِ الآتيةِ:

1- أنَ يقعَ المشبَّهُ به خبراً، نحو: صدورُ الأحرارِ قبورُ الأسرارِ.

2- أنَ يقعَ مفعولاً ثانياً في بابِ علمتَ،نحو: علمتُ بذيءَ اللسانِ كلباً عقوراً.

3- أنَ يقـعَ مصدراً مبيِّناً للنوعِ، كقوله تعالـى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ..﴾[2].

4- أنْ يقعَ حالاً، نحوُ: كرَّ عليَّ أسداً.

5- أنْ يقعَ مبيِّناً للمشبَّه، كقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾[3].

6- أنَ يقعَ مضافاً إلى المشبَّه به، نحوُ: لبسَ فلان ثوبَ العافيةِ.

(1) علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص 25.
(2) سورة النمل، الآية: 88.
(3) سورة البقرة، الآية: 187.

فإنَّ «ثوبَ» مشبهٌ بهِ مضافٌ، و«العافيةَ» مشبهٌ مضافٌ إليه.

رابعاً: عَنْ رسولِ اللهِ ﷺ أنَّهُ قالَ: «أهلُ بيتِي كَسَفِينةِ نُوحٍ مَنْ رَكِبَهَا نَجَا، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ»[1].

فِي هَذَا الحديثِ تشبيهٌ واضحٌ، وهُوَ تشبيهُ أهلِ البيتِ عليهم السلام بسفينةِ نوحٍ، ولبَيَانِ هَذِهِ المماثلَةِ جَاءَ ﷺ بالكافِ، وبيَّن ايضاً أنَّ الصِّفَةَ المشتركةَ بَيْنَ الاثنينِ هِيَ النجاةُ فِي حَالِ الرُّكوبِ، والغرقُ فِي حالِ التَّخلُّفِ، يَعنِي أنَّ مَنْ رَكِبَ فِي سفينةِ أهلِ البيتِ عليهم السلام وَسَارَ عَلَى نَهجِهم أمِنَ مِنَ الغَرَقِ، وكُتِبَتْ لهُ النَّجَاةُ، كحَالِ الَّذينَ كانُوا فِي زمَنِ النبيِّ نوحٍ عليه السلام فَمَنْ رَكِبَ فِي سفينتِهِ أمِنَ، ومَنْ تخلَّفَ عنْهَا أدركَهُ الغَرقُ. وقَدْ رأيْنَا هَذَا التَّشبِيهَ قَدْ بُيِّنَ وفُصِّلَ، ومَا ذَلِكَ إلَّا لِذكْرِ وجهِ الشَّبَهِ فِيهِ، ولِذلكَ سُمِّيَ «التَّشبيهَ المُفصَّلَ».

فالتَّشبيهُ المُفصَّلُ مَا ذُكِرَ فيهِ وجهُ الشَّبهِ أوْ مَا كانَ لازماً وتَابِعاً لهُ.

والأولُ: (أيْ مَا ذُكرَ فِيهِ وجهُ الشَّبهِ)، كالمثالِ السَّابِقِ.

والثاني: أيْ (ما كانَ لازماً وتابعاً لهُ)، كقولِهِم للكلامِ الفَصِيحِ: «هو كالعسلِ فِي الحلاوةِ». فوجهُ الشَّبهِ ليسَ الحلاوةَ، لعدمِ اشتراكِهِ فِي الطَّرَفَيْنِ، بلْ تابعُهَا ولازمُها وهوَ ميلُ الطَّبعِ.

خامساً: يقولُ اللهُ - تَعَالَى -: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ﴾[2]، وقالَ أيضاً: ﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾[3]و[4].

فِي الآيةِ الأُولى يُشبِّهُ اللهُ - تَعَالَى - السفنَ فِي البَحْرِ بالجِبالِ الطِّوالِ فِي

(1) محمد بن الحسن، الحر العاملي: وسائل الشيعة، ج27، ص 34، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث، الناشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث بقم، دار مهر - قم، ط2، 1414 هـ، باب تحريم الحكم بغير الكتاب والسنة.

(2) الجوار: السفن. الأعلام: جمع علم وهو الجبل الطويل على الأرض. سورة الرحمن، الآية: 24.

(3) كأنهم أصول نخل نخرة.

(4) سورة الحاقة، الآية: 7.

البِـرِّ، ولكنَّهُ لمْ يَذكُـرْ وجْهَ الشَّبَهِ الَّذي هُوَ العظمةُ والارتفـاع، وفي الآيةِ الثَّانيةِ يُشبِّـهُ حـالَ قوم عادٍ بَعْدَ تَسخِيرِ الرِّياحِ العاتيةِ عَلَيهـم بأصولِ النَّخل الَّتي قُلِعتْ فَصَـارَتْ نَخِـرةً مُتآكِلَـةَ الأجوافِ، وهُنَا لـمْ يُذكَرْ أيضـاً وجهُ الشَّبـهِ الَّذي هُوَ الجفافُ واليَبَاسُ والبِلَى، ويُسَمَّى هَذَا النَّوعُ مِنَ التَّشبِيهِ، وهُوَ الَّذي لمْ يُذْكَرْ فِيهِ وجهُ الشَّبهِ تَشبِيهاً مُجْمَلاً.

تنبيـهٌ: بَعْـدَ أنْ رَأيْنَا أنَّ اسمَ كلِّ تَشبِيـهٍ إنَّمَا يُطلَقُ عَليهِ باعتِبَـارِ مَا يُذْكَرُ أوْ يُحـذَفُ، فإنَّنَـا نَجِـدُ أنَّ تشبيهاً واحداً يُحـذَفُ منهُ شيءٌ ويُذكَرُ فيـهِ شيءٌ، كمَا هُـوَ الحَالُ فِي الأمثلةِ السَّابقةِ، ولِذلكَ نُطلِـقُ عَلَى التَّشبِيهِ الواحدِ اسمينِ فِي آنٍ واحـد، فَنَقُولُ: مرسلٌ مفصَّلٌ، إذَا مَا ذُكِرتِ الأداةُ ووجهُ الشَّبهِ، ومرسلٌ مجملٌ، إذَا ذُكِرَتِ الأداةُ وحُذِفَ وجهُ الشَّبَهِ، ومُؤَكَّدٌ مفصَّلٌ، إذَا حُذِفَتْ الأداةُ وذُكِرَ وجهُ الشَّبَـهِ، ولَا نَقُولُ: مؤكَّـدٌ مجملٌ فِي التَّشبِيهِ الَّذي حُذِفَ منـهُ الأداةُ ووجهُ الشَّبهِ معاً، لأنَّه اصطُلِحَ عَلَى تسميتِهِ «بليغاً».

- التشبيهُ المُرْسَلُ ما ذُكرَتْ فيه الأداةُ.
- التشبيهُ المُؤَكَّد ما حُذفتْ منهُ الأَداةُ.
- التشبيهُ المُجْمل ما حُذف منه وجهُ الشبه وما يستلزمُه.
- التشبيهُ المُفَصَّلُ ما ذُكرَ فيه وجهُ الشبه أو ملزومُهُ.
- التشبيه البليغُ ما حُذفت منهُ الأَداةُ ووَجهُ الشبه.
- يُطلقُ عَلَى التَّشبيهِ أكثرُ مِنْ اسمٍ إلَّا فِي البليغِ.

تمارين

بيّن كلّ نوع من أنواع التشبيه فيما يأتي:

- قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾[1].

- يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وإنما أنتم كَرَكْبٍ وقوف لا يدرون متى يؤمرون بالسير».

يقول الشاعر:

- يا شبيهَ البدرِ حُسْناً — وضياءً ومنالا
- وشبيهَ الغُصنِ ليناً — وقواماً واعتدالا

ويقول أيضاً:

- إنما الدنيا بلاءٌ — ليس للدنيا ثبوتُ
- إنما الدنيا كبيتٍ — نسجتُه العنكبوتُ
- إنما يكفيك منها — أيها الراغبُ قوتُ

ويقول اخر:

- عزماتهُم قُضُبٌ، وفَيْضُ أكُفِّهِمْ — سُحُبٌ، وَبِيضٌ وجوهِهِمْ أقمارُ

(1) سورة إبراهيم، الآيات: 24-26.

دور علماء الشيعة في الأدب العربي واللغة العربية [1]

... أمّا في النثر والكتابة والخطابة وأدب الكاتب ونحو ذلك، فكفاهم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام إمام البلغاء وسيّد الكتّاب والخطباء في خُطَبه وكُتَبه وعهوده ووصاياه وكلماته القصيرة الّتي أعيت الفصحاء وأعجزت البلغاء أن تجاريها، وتعلّم منها كلّ كاتب وخطيب، وتلمّذ عليه فيها شيعته وأتباعه، واقتبسوا، وتعلّموا منها، وحذوا حذوها، ونهجوا نهجها، وارتضعوا من ثديها، وشربوا من منهلها، وإن لم يستطع أحد منهم ولا من غيرهم مباراتها ولا مجاراتها. ولا حاجة بنا إلى الإطناب في وصفها كما قال المتنبيّ:

وإذا استطال الشيء قام بنفسه   وصفاتُ ضوء الشمس تذهبُ باطلا

وقال بعض البلغاء: حفظت كذا وكذا من خطب الأصلع[2]، فغاضت، ثمّ فاضت(....) وزوجتُهُ الزهراء صاحبة الخُطَب الجليلة بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وآله، وابنُهُ الحسن عليه السلام الّذي به اقتدى، وله اقتفى، ومن خُطَبِهِ المشهورة خُطْبَتُه بالكوفة بمحضر معاويةَ بعد الصلح، وأخوه الحسين عليه السلام الّذي خطب يوم الطفّ، فلم يُسمع متكلّم قطّ قبله ولا بعده أبلغ في منطقٍ منه، حتّى قال فيه عدوُّه ابن سعد: كلّموه، فإنّه ابن أبيه، والله لو وقف فيكم هكذا يوماً جديداً لما انقطع ولما حُصِرَ. وخُطَبُ الحَسَنَيْنِ عليهما السلام ومواعظُهُمَا وكُتُبهما قد ملأ ذكرُها الأسفارَ واشْتَهرَت اشتهارَ الشمس في رائعةِ النهار. وابنتُهُ زينبُ بنتُ عليٍّ عليه السلام صاحبةُ الخُطَبِ الجليلةِ بالكوفة والشام. وزينُ العابدينَ صاحبُ الخطبِ المعروفة بالكوفة والشام والمدينة بعد قتلِ أبيه والأدعية المشهورة

(1) السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج 1، ص 184 - 185.

(2) كناية عن أمير المؤمنين عليه السلام، لأنه كان أنزع الشعر.

ببلاغتها وفصاحتها في الصحيفة الكاملة الّتي عُرفت بـ«قرآن آل محمّد» وغيرِها. وتلميذُهُ عبد الله بن عبّاس صاحبُ المقامات المشهودة في الخطابةِ والكتابةِ وخُطَبُهُ وكلامه وكتبه أشهرُ من أن تعرف، ومحاوراتُه مع ابن الزُّبَيْرِ وغيرهِ وكتابُه إلى يزيدَ بعد قتل الحسين عليه السلام أقوى شاهدٍ على تقدّمه في البلاغة والبراعة. ولمّا ذكر ابن النديم أسماء الخطباء عدّه فيهم. وغيرهم من خطباء بني هاشم وبلغائهم وغيرهم كالأحنف بن قيس وصعصعةَ بن صَوْحَانَ، عدّه ابن النديم في الخطباء، إلى غير ذلك ممّن يتعذّر استقصاؤهم. ثمّ إن جُلّ كُتّاب الدنيا من الشيعة كأبي الفضل ابن العميد الّذي قيل فيه بُدئت الكتابة بعبدِ الحميدِ وخُتِمَتْ بابن العميد [الذي] كتب كتاباً عن ركن الدولة إلى ابن بلكا لمّا عصى عليه، كان سببَ عَوْدِهِ إلى الطاعة، فناب كتابه ببلاغته وحسن أسلوبه وبيانه وما فيه من ترغيب وترهيب عن الكتائب. وكانت خزانة كتبه الّتي فيها كلُّ علم وكلُّ نوع من أنواع الأدب تحمل على مائة وقْر وزيادة. وابنُهُ أبو الفتح تلميذ أحمد بن فارس وخِرّيجُه. والصاحب بن عبّاد، وله كتاب «الكافي»، رسائل في فنون الكتابة، رتّبها على خمسة عشر باباً، وهي غير «ديوان رسائله» المرتّب على عشرين باباً. وأبو بكر الخوارزمي. وبديع الزمان الهمذاني أوّل من اخترع المقامات وسبق بها الحَرِيريَّ وغيرُهُمْ ممّن مرّ ذكرهم في كتاب الشيعة. وكانوا يَعُدُّون كُتّاب الدنيا في الصدر الأوّل أربعة: عبدَ الحميدِ وابنَ العميدِ والصاحبَ والصابِيَ ونصفُهُم من الشيعة. والصابي وإن لم يكن مسلماً إلّا أنّ الّذين فتحوا لهَاتِهِ بالأدب والكتابة إنّما هم ملوكُ الشيعة. وأبو بكر الصوليّ كان من مشاهيرِ الكُتّاب وله كتاب «أدب الكاتب» على الحقيقة، ذكره ابن النديم.

الدرس السادس

تَـشْـبيهُ التّـمثيل

أهداف الدرس

1- أن يتعرّف الطالب إلى تشبيه التمثيل.

2- أن يدرك نوعي تشبيه التمثيل.

3- أن يتمكّن من تطبيق وتمييز تشبيه التمثيل.

تشبيه التمثيل:

إذَا تَأَمَّلْنَـا وَجْهَ الشَّبَهِ فِـي كُلِّ تشبيهٍ مِنْ التشبيهاتِ الَّتي مـرَّتْ معنَا سَابقاً، رَأيْنَـا أنَّهُ صِفَةٌ أَو صِفَـاتٌ اشتَرَكَتْ بَيْنَ شَيْئَيْنِ لَيْسَ غير، ويُسَمَّى وجْهُ الشَّبَهِ إذَا كَانَ كَذَلِـكَ مُفْرَدًا، أمَّـا مَا نَحْنُ الآنَ بِصَدَدِهِ مِنْ أنْـوَاعِ التَشْبِيهِ فيَحْتَاجُ مِنَّا إلى إمْعَانٍ أكبـرَ لِنَتَلَمَّسَ طَرَفَيْهِ، ونَتَذَوَّقَ مَعْنَاهُ، ولِنَسْتَوْضِـحَ هَذَا النَّوعَ مِنَ التَشْبيهِ نَتَأَمَّلُ مَعَاً بتمهُّلٍ قولَ اللهِ - تَعَالَى-:

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

نتأمـلُ فِي الآيـةِ الكريمةِ، فنَجِـدُ أنَّ هناكَ تشبيهَـاً، ولكنْ أينَ وجـهُ الشَّبَهِ؟ وهـلْ أرادَ اللهُ أنْ يُشبِّـهَ الحيـاةَ الدنيا بماءٍ؟ كلَّا، أنَّه لمْ يـردْ ذلكَ، بل المرادُ هـو التشبيهُ بهيئـةٍ مخصوصةٍ، أيْ تشبيهُ حالِ الدنيا فِـي نَضَارَتِهَا وبَهْجَتِهَا وَمَا يَتَعَقبها مِنَ الهلاكِ والفناءِ بحالِ النباتِ الحاصِلِ مِنَ المَاءِ، يكونُ أخضرَ ناضراً شديـدَ الخضرةِ ثم ييبسُ فتطيِّرُهُ الرِّياحُ كأنْ لمْ يكنْ، فوجهُ الشَّبهِ هنَا صورةٌ لَا

(1) سورة يونس، الآية: 24.

مفــردٌ، وهذِهِ الصورةُ مأخوذةٌ او منتزعةٌ مِــنْ أشياءَ عدَّةٍ، والصورةُ المشتركةُ بَيْــنَ الطَّرفيــنِ هِيَ وجودُ شيءٍ مبهِج يبعثُ الأَمَلَ فِي النُّفوسِــ فِي أوَّلِ أمرِهِ ثمَّ لاَ يلبثُ أنْ يظهرَ فِي حالٍ تدعُو إلَى اليأسِ والقنوطِ.

ولتتضحَ الفكرةُ أكثرَ نتأملُ مثالاً آخرَ من شعرِ أبِي فِراسِ الحَمْدانيّ[1]:

وَالـــمـــاءُ يَـفـصِـلُ بَـيــنَ زَهـــ ـرِ الـرَوضِ فـي الشَطَّينِ[2] فَصلا
كَـبِـســاطِ وَشــيٍ جَـــرَّدَت أَيــدي القُيونِ[3] عَـلَـيـهِ نَصلا[4]

يشبِّــهُ أبو فِراس حــال ماء الجدول، وهــو يجري بين روضتيــن على شاطئيه حلَّاهمــا الزَّهْر ببدائع ألوانه مُنْبثًّا بين الخُضــرة الناضرة، بحال سيفٍ لماعٍ لا يــزال في بريقِ جدَّتــه، وقد جرّدَه القُيُونُ على بساطٍ من حريرٍ مُطَرَّز. فأينَ وجهُ الشبــهِ؟ أنظنُّ أَنَّ الشاعر يريد أنْ يَعْقِدَ تشبيهين: الأَولُ تشبيهُ الجدول بالسيفِ، والثاني تشبيهُ الروضة بالبِساط المُوَشّى؟ لا، إنّه لم يرد ذلك، إنما يريد أَنْ يشبّه صــورةً رآها بصورة تخيّلها، يريدُ أنْ يشبِّه حال الجدول، وهو بين الرياض بحالِ السيــف فوق البســاط الموشَّى، فوجهُ الشبه هنا صورةٌ لا مفــردٌ، وهذه الصورةُ مأخــوذةٌ أَو مُنْتَزَعَةٌ من أَشياءَ عدَّةٍ، والصورة المشتركةُ بين الطرفين هي وجود بياضٍ مستطيلٍ حوله اخضرار فيه أَلوان مختلفةٌ.

فهــذان التشبيهان اللذان مرّا بنــا واللذان رأينا أنَّ وجــهَ الشَّبهِ فيهما صورةٌ مكوَّنةٌ من أشياءَ عِدَّةٍ يسمَّى كلُّ تشبيهٍ فيهما تمثيلاً[5].

(1) أبــو فراس الحمدانــي (320 – 357 هـ) الحارث بن أبي العــلا سعيد بن حمدان بن حمدون الحمداني ابــن عم ناصر الدولة وسيف الدولة ابني حمدان قال الثعالبي في وصفه: كان فرد دهره وشمس عصره أدبا وفضلا وكرما ومجدا وبلاغة وبراعة وفراسة وشجاعة. وشعره مشهور بين الحسن والجودة والسهولة والجزالة والعذوبة والفخامة والحلاوة.. الخ.

(2) الشط: جانب النهر.

(3) القيون جمع بين وهون العبد وكانت العبيد تشتهر بصناعة السلاح.

(4) الوشــي: نــوع من الثياب المنقوشة.وجرد السيف: سله، والقيون: جمع قين وهو صانع الأسلحة، والنصل: حديدة ا لسيف أو السهم أو الرمح أو السكين.

(5) علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص 33.

تشبيهُ التمثيلِ نوعانِ:

الأولُ: ما كانَ ظاهرَ الأداةِ، نحو قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢا﴾[1]، فالمشبَّهُ: همُ الذين حُمّلوا التوراةَ ولم يعقلوا ما بها: والمشبَّهُ به (الحمارُ) الذي يحملُ الكتبَ النافعةَ، دونَ استفادتهِ منها، والأداةُ الكافُ، ووجهُ الشبَّهِ الهيئةُ الحاصلةُ منَ التعبِ في حملِ النافعِ دونَ فائدةٍ.

الثاني: ما كانَ خفيَّ الأداةِ: كقولكَ للذي يتردّدُ في الشيء بينَ أن يفعلَهُ، وألاّ يفعلَهُ (أراكَ تقدِّمُ رِجلاً وتُؤخِّرُ أخرى)، إذِ الأصلُ أراكَ في ترددكَ مثلَ مَنْ يقدِّمُ رُجلاً مرةً، ثم يؤخِّرُها مرةً أخرى، فالأداةُ محذوفةٌ، ووجهُ الشبهِ هيئةُ الإقدامِ والإحجامِ المصحوبينِ بالشَكِّ.

مواقعُ تشبيهِ التمثيلِ:

لتشبيهِ التمثيلِ موقعانِ:

الاول: أنْ يكونَ في مفتتحِ الكلامِ، فيكونَ قياساً موضِّحاً، وبرهانا مصاحِباً، وهو كثيرٌ جداًّ في القرآن، نحو قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[2].

الثاني: ما يجيءُ بعد تمامِ المعاني، لإيضاحِها وتقريرِها، فيُشبهُ البرهانَ الذي تثبتُ بهِ الدَّعوى، نحو قول الشاعر لبيد[3]:

---

(1) سورة الجمعة، الآية: 5.

(2) سورة البقرة، الآية: 261.

(3) أبو عقيل، لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كِلاب العامريّ، وكان يقال لأبيه: ربيعُ المقترينَ لسخائه، كان من شعراء الجاهليّة وفرسانهم، وأدرك الإسلام، وقدم على رسول الله ﷺ في وفد بني كِلاب، فأسلموا، ورجعوا إلى بلادهم، ثم قدم لبيد الكوفة، ومات بها، وهو ابن مائة وسبع وخمسين سنة وهو أحد أصحاب المُعَلّقات.

وما المالُ والأَهلُونَ إلاّ وَدائِعٌ ... ولا بدَّ يوماً أَنْ تُرَدَّ الوَدائِعُ

ونحو قول الشاعر[1]:

لا يَنزِلُ المَجدُ إلّا في مَنازِلنا ... وَمَنزل المَجد آل المُصطَفى وَعلِيْ
وَلَيسَ لِلمَجدِ مَأوى غَير ساحَتِهِم ... كَالنومِ لَيسَ لَه مَأوى سِوى المُقَلِ

فائدة:

التمثيلُ يُكْسِبُ القولَ قوةً، فإنْ كان في المدح كانَ أهزَّ للعِطفِ، وأنبلَ في النفسَ، وإنْ كان في الذمِّ كان وقعُه أشدَّ، وإنْ كان وعظاً كان أشفَى للصدرِ، وأبلغَ في التنبيهِ والزجرِ، وإنْ كان افتخاراً كان شأوهُ أبعدَ، كقولِ الأُزَرِيّ[2] يصفُ نُزُولَ أميرِ المؤمنينَ عليه السلام إلى عمروِ بنِ ودّ العامريّ فِي معركةِ الخندقِ:

ومشَى يطلبُ الصفوفَ كَمَا ... تَمْشِي خماصُ الحَشَا إلى مرعَاهَا
فانتضَى مشرفيَّهُ فتلقَّى ... ساقَ عمروٍ بضَربةٍ فبرَاها
وإلى الحشرِ رنَّةُ السيفِ منهُ ... يملأُ الخافقين رجعُ صدَاها
يا لها ضربةً حوتْ مكرماتٍ ... لَم يَزنْ ثقلَ أجرِها ثقلاهَا
هذِهِ مِن عُلَاهُ إحدَى المَعالَي ... وعلى هذَهَ فقسْ مَا سِواهَا[3]

(1) المفتي عبد اللطيف بن علي فتح الله، اديب من أهل بيروت تولى القضاء والافتاء

(2) الشيخ كاظم ابن الحاج محمد ابن الحاج مراد التميمي البغدادي، شاعر معروف وأديب فاضل، صاحب القصيدة الأزرية التي يزيد عدد ابياتها على خمسمائة بيت في مدح أمير المؤمنين عليه السلام ولد في بغداد سنة 1143 هـ / 1730 م وتوفي سنة 1212 هـ/ 1797 م.

(3) ديوان الأزري الكبير، ص 36.

القواعد الرئيسة

1- يُسمَّى التشبيهُ تمثيلاً إذا كان وجهُ الشَّبه فيه صورةٌ مُنْتَزَعَةٌ منْ متعدد، وغيْرَ تَمْثيل إذَا لم يَكُنْ وجْهُ الشَّبَه كذلك.

2- تَشبيهُ التَمْثِيلِ نَوْعَان: إمَّا ظَاهِرُ الأداةِ وإمَّا خَفيُّ الأداة.

3- لِتَشْبِيه التَمْثِيلِ مَوْقعَان: إمَّا فِي صَدْرِ الكلامِ وإمَّا بَعْدَ تَمَام المَعَانِي.

تمارين

1- بيِّن المشبَّهَ والمشبَّهَ به فيما يأتي:

أ - وَالشَّيبُ يَنهَضُ في السَوادِ كَأَنَّهُ ... لَيلٌ يَصيحُ بِجانِبَيهِ نَهارُ

ب - وَصَحِبتُ قَوماً لَستُ مِن نَظَرائِهِم ... فَكَأَنَّني في الطِّرسِ[1] سَطرٌ مُلحَقُ

ج - ما أنْسَ لا أنس خَبَّازًا مَرَرْتُ به ... يدْحُو الرُّقاقَة وشْكَ اللمْح بالبصر

ما بَيْنَ رُؤيتِهَا في كَفِّهِ كُرَةً ... وبَيْنَ رُؤيتِهَا قَوْراءَ كالقَمرِ

إلا بمقدَار ما تَنْدَاحُ دائِرةٌ ... في صفْحَةِ الماءِ تَرْمى فِيهِ بالحجر

د - وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾[1].

هـ - وقال تعالى: ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴾[2]

(1) سورة النور، الآية: 39.

(2) سورة الحديد، الآية: 20.

2- ميِّزْ تشبيهَ التمثيل من غيره فيما يأتي:

- قال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾[1].

- وقال تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾[2].

- وقال تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[3].

- فالعيْشُ نوْمٌ والمنيَّة يقظَةٌ   والمرْءُ بينهما خيالٌ سارِ
- والنفسُ كالطفلِ إن تهملهُ شَبَّ على   حُبِّ الرَّضاعِ وإنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِم

(1) سورة العنكبوت، الآية: 41.
(2) سورة المدثر، الآيات: 49-51.
(3) سورة البقرة، الآيات: 17-21.

دور الامامية في الأدب العربي واللغة العربية [1]

وأمّا في الشعر فقد كان منهم في صدر الإسلام من فحول الشعراء المُفْلِقِينَ الذائعي الصِّيتِ من خدم الأدب العربي واللغة العربية بمنظوماته المنتشرة في الأقطار أعظم خدمة مثل كعب بن زهير بن أبي سلمى صاحب: «بانت سعاد» الّتي شرحها كثير من علماء اللغة والأدب، وحُفظ بسببها قسم وافر من لغة العرب وطريقتهم في نظم الشعر، والنابغة الجعدي من مشاهير شعراء الصدر الأوّل أحد الرجلين الملقّبين بالنابغة في الشعراء لنبوغهما. وأبو دهبل الجُمَحِيّ من شعراء الحماسة، وشهرة شعره وجودته للغاية تُغني عن إطالة وصفه. والفَرَزْدَقُ الّذي اعترف له خصمه جَرِيرٌ بأنّ نَبْعَةَ[2] الشعر في يده، والّذي كان يكرمه ملوك بني أميّة مع تظاهره بالتشيّع للعلويّين وعداوته لهم، ويهابون لسانه. وكُثَيِّرُ عَزَّة أوّل من أطال المديح؛ قال ابن رشيق كان ابن أبي إسحاق - وهو عالم ناقد ومتقدّم مشهور - يقول: أشعرُ الجاهليّين مُرَقِّش، وأشعر الاسلاميين كُثَيِّر؛ قال ابن رشيق: وهذا غلوّ مفرط، غيرَ أنّهم مجمعون على أنّه أوّل من أطال المديح اهـ. وكان بنو أميّة يقدّمونه ويكرمونه مع علمهم بتشيّعه لمكان تقدّمه في الشعر. والكُمَيْت قال ابن عكرمة الضبّيّ: لولا شعر الكميت لم يكن للغة تَرْجُمَان، ولا للبيان لسان. وقال مُعاذ بن مسلم الهَرّاء لمّا سُئل عنه: ذاك أشعر الأوّلين والآخرين، وكفاه شهادة الفرزدق لمّا عَرَضَ عليه أوّلَ شعره واستشاره في إذاعته فقال: أذع يا ابن أخي ثمّ أذع. وأبو نواس وشهرته تُغني عن وصفه فليس في المولدين أشهر اسماً منه حتّى قال الشاعر:

(1) السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج 1، ص 185 - 186.

(2) النبعة: الشجرة.

إن تكن فارساً فكن كعليٍ أو تكن شاعراً فكن كابنِ هاني

وقال الشريف الرضي فيه وفي البحتري وهو يصف قصيدة:

كأنّ أبا عبادة شَقَّ فاها وقَبَّلَ ثغرها الحسنُ بنُ هاني

وأبو تمّام والبحتريُّ اللذان أخملا في زمانهما خمسمائة شاعر كلّهم مُجيد، كما في عمدة ابن رشيق. وأوّل من قيل فيه: «صَيْقَلُ المعاني» أبو تمّام، وأوّل من قيل في شعره: «سلاسل الذهب» البحتري. ودعبل الخزاعي. وديك الجن الحمصي الّذي شهد له دِعْبِل بأنّه أشعر الجنّ والأنس. وابن الرومي قال: ابن رشيق أكثر المُوَلّدين اختراعاً وتوليداً فيما يقول الحُذّاق: أبو تمّام وابن الرومي. والسيّد الحِمْيَرِيّ أقدر الناس على نظم الأخبار والأحاديث والقَصَصِ، ولم يُسمع بشاعر مكثر مطيل مجيد غيره. قال ابن المعتز في التذكرة: كان للسيّد أربع بناتٍ كلُّ واحدة منهن تحفظ أربعمائة قصيدة لأبيها. نظم كلما سمعه في فضل عليٍّ ومناقبه ما مثله في نظم الحديث وكلُّ قصائده طوال.

الدرس السابع

التَّشْبيهُ الضمنيُّ

أهداف الدرس

1- أن يتعرّف الطالب إلى التشبيه الضمني.

2- أن يدرك بلاغة التشبيه الضمني.

3- أن يملك القدرة على فهم التشبيه الضمني في النصوص الأدبية.

التَّشْبِيهُ الضمنيُّ[1]:

إنَّ كلَّ مَا مرَّ مَعَنَا مِن أنواعِ التَّشبيهِ كانَ تشبِيهاً صريحاً، أيْ أنَّ مُنشِئَ العِبارةِ التَّشبِيهيَّـةِ قَـد عَمَدَ إلـى التَّشبِيهِ فِي عباراتِـهِ بصراحةٍ ووضوحٍ، وجـاءَ بمشبَّهٍ ومشبَّـهٍ بـهِ ظاهرَيْنِ يُمْكِـنُ الإشَارةُ إليهِمَـا. ولكنه قدْ يَنْحو الكاتـبُ أو الشاعر منْحَى منَ البلاغةِ يُوحِي فِيهِ بالتَّشبيهِ مِنْ غيرِ أنْ يُصرِّحَ بهِ في صورةٍ من صورهِ المعروفـةِ[2]، يفعـلُ ذلك نُزوعـاً إلى الابتـكارِ، وإقامةً للدليلِ علَـى الحكمِ الَّذي أسنـدهُ إلـى المشبَّه، ورغبةً في إخفاءِ التشبيـهِ؛ لأنَّ التشبيه كلمَّا دقَّ وخَفيَ كانَ أبلغَ وأفعلَ فِي النَّفسِ، ولمعرفَةِ مَا فِي هذَا النَّوعِ مِنَ التَّشبيهاتِ مِنْ جَمَالٍ وروعةٍ لَا بدَّ مِنْ ذِكرِ بعضِ الأمثلةِ الَّتي جرتْ عَلَى ألسنةِ الشُّعراءِ والأدباءِ.

(1) علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص 41.

(2) صور التشبيه المعروفة هي ما يأتي:
ما ذكرت فيه الأداة نحو الماء كاللُّجَيْنِ. أوحذفت والمشبه به خبر نحو: الماء لجين وكان الماء لجيناً. أو حال نحو سال الماء لجيناً. أومصدر مبيّن للنوع مضاف نحو: صفا الماء صفاء اللجين. أو مضاف إلى المشبه نحو: سال لجين الماء. أو مفعول به ثان لفعل من أفعال اليقين والرجحان نحو: علمت الماء لجيناً. أوصفة على التأويل بالمشتق نحو: سال ماء لجين. أو أضيف المشبه إلى المشبه به بحيث يكون الثاني بياناً للأول نحو: ماء اللجين. أي: ماء هو اللجين. أو بُيِّنَ المشبهُ بالمشبه به نحو: جرى ماء من لجين.

يقولُ أبو الطيِّب المتنبِّي[1]:

مَــن يَـهُــن يَـسـهُـلِ الـهَــوانُ عَلَـيـهِ   مــا لِـــجُـرحٍ بِــمَـيِّـتٍ إيــلامُ[2]

يعني أنَّ الذي اعتادَ الهوانَ يسهلُ عليه تحمُّلهُ ولا يتألَمُ لهُ، وليسَ هذَا الادعاءُ باطـلًا؛ لأَنَّ المَيْتَ إذا جُرحَ لا يتألَمُ، هلْ تجدُ فِي هَذَا البيتِ مِنَ الشِّعرِ تشبيهًا؟ إذا وجدتَـهُ فَمَا هُوَ؟ وهَلْ يُمكنُـكَ أنْ تشيرَ إليهِ بالإصبعِ؟ الجوابُ هو لا؛ لأنَّه لمْ يوضـعْ فِي صُـورةٍ مِنْ صورِ التَّشبيهِ المعروفةِ، ولمْ يـأتِ المتنبِّي بتشبيهٍ صريحٍ، فهُوَ لمْ يقلْ:إنَّ الشخصَ الَّذي اعتادَ الهَوَانَ والذُّلَ وصَارَ لَا يَشعُرُ بقسوةِ الإهانةِ، كالمَيْـتِ الَّذي لَا يتألمُ حتَّى وإنْ أصابتْهُ الجراحُ، ولكنّنا نَرَى أنَّه يشبِّه ضمناً مَنْ هانَـتْ عليهِ نفسُه، فهُـوَ لَا يتأثَّرُ، كالمَيْتِ فاقدِ الشعـورِ والإحساسِ، وأتَى بجملةٍ ضمَّنَها هَذَا المَعْنَى فِي صورةِ البرهَانِ.

وإلَــى المِعْنِى نفســه وبالكيفيّةِ ذاتِها مِنَ التَّشبيهِ يشيــرُ المتنبِّي فِي بيتٍ آخَرَ إلَــى حالِ الواقِعِ فِــي أسرِ الذّلِ مع سعةِ رزقِهِ ويُسرِ حالِهِ وحُسنِ مظهرِهِ، كالميِّتِ لَا يفرحُ بِمَا يُلفُّ به مِنَ الأكفانِ الحِسَانِ:

لا يُـعْـجِـبَـنَّ مَـضـيـمـاً حُـسْــنُ بِـزّتِـهِ   وهَــلْ تَــرُوقُ دَفـيـنـاً جُــودَةُ الكفَنِ[3]

وقالَ البُحتريُّ[4] فِي وصفِ أخلاقِ ممدوحِهِ:

(1) أبو الطيب المتنبي (303 - 354 هـ = 915 - 965 م) أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجُعْفِيّ الكوفيّ الكنديّ، أبو الطيب المتنبـي: الشاعر الحكيم، وأحد مفاخر الأدب العربي. لـه الأمثال السائرة والحكم البالغة والمعاني المبتكرة. وفي علماء الأدب من يعـدّه أشعـر الاسلاميين. ولد بالكوفة في محلـة تسمى (كِنْدَة) واليها نِسْبَتُـه. ونشأ بالشام، ثم تنقل في الباديـة يطلب الأدب وعِلْمَ العربية وأيّامَ الناس.

(2) ديوان المتنبي.

(3) ديوان المتنبي.

(4) البحتري (206 - 284 هـ - 821 - 898 م) الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي، أبو عبادة البحتريّ: شاعر كبير، يقال لشعره «سلاسل الذهـب». وهـو أحد الثلاثة الذيـن كانوا أشعر أبناء عصرهم: المتنبـي، وأبو تمام، والبحتري. قيل لأبي العـلاء المعري: أي الثلاثة أشعـر؟ فقـال: المتنبـيّ وأبو تمّام حكيمـان، وإنما الشاعـر البحتريّ. ولد بمنبج (بيـن حلب والفرات) ورحل إلـى العراق، فاتصل بجماعة من الخلفاء أولهم المتوكل العباسي، ثم عاد إلى الشام، وتوفي بمنبج. له ديوان شعر وكتاب «الحماسـة» على مثال حماسة أبي تمّام.

وَقَدْ زَادَهَا إفْرَاطَ حُسْنٍ جِوَارُهَا خَلاَئقَ أصْفَارٍ[1] مِنَ المَجْدِ، خُيَّبِ
وَحُسنُ دَرَارِيِّ الكَوَاكِبِ[2] أنْ تُرَى طَوَالِعَ في دَاجٍ مِنَ اللَّيلِ، غَيهَبِ[3]

شبَّهَ البُحتُريّ أخلاقَ ممدوحِهِ التي تزدادُ حسناً وتألُّقاً لوجودِهَا فِي جوارِ أخلاقٍ وضيعةٍ لأقوامٍ لَا فضلَ فيهِم ولَا مجدَ لهُم، بحالِ الكواكبِ العظامِ تزدادُ تلألُؤاً في اللَّيلِ البَهيمِ، وقَد رأيْنَا أنَّه لمْ يصرِّح بالتَّشبيهِ، ولمْ يأتِ بطرفَيهِ عَلَى صورةٍ من صورِهِ المعروفةِ، فَلَا مشبَّهَ ولَا مشَبَّهَ بِهِ ظاهرانِ صريحانِ، وإنَّما لمَّحَ إليهما، وضَمّنَهُما فِي الكلامِ، ورأينَا كذلكَ كيف أنَّه ضَمَّنَ التَّشبِيهَ برهاناً عَلَى أنَّ الحكمَ الَّذي أسندهُ إلَى المشبَّهِ - وهُوَ ظُهُورُ الأخلاقِ الحَسَنَةِ وازديادُ جمالِها لوجودِهَا إلَى جانِبِ قومٍ لَا أخلاقَ فِيهِم- ممكن، والدَّليلُ عَلَى ذَلكَ أنَّ الكواكبَ المضيئَةَ يحسن منظرها ويزيدُ اشعاعها وتألقها إذا كانَ الَّليلُ شديدَ الظُّلمةِ.

إذاً، فَفِي الأمثلةِ نجدُ أركانَ التَّشبيهِ ونلمحُهَا، ولكنَّنَا لَا نجدُها في صورةٍ مِنْ صورِهِ الَّتي عرفنَاهَا، وهَذَا يُسمَّى «التشبيه الضمني».

بلاغةُ التشبيهِ الضمنيِّ:

1- أنه دعوى مع البيِّنةِ والبرهانِ.

2- أنه إبرازٌ لما يبدو غريباً ومستحيلاً.

3- أنه جمعٌ بين أمرينِ متباعدينِ،وجنسينِ غيرِ متقاربينِ.

4- أنهُ دلالةٌ على التشبيهِ بالإشارةِ، لا بالوضوحِ والصراحةِ.

(1) الصفر مثلثة الصاد: الخالي.
(2) الدراري: النجوم العظام.
(3) الغيهب: المظلم.

استنتاج: بناءً على ما تقدّم نستنتجُ أنّ التشبيهَ الضمنيّ تشبيه يفهم من المشبّه والمشبّه به ضمناً من خلال السياق اللغوي. فهو يُفهم من سياق الكلام، ولا يأتي في صورة من صور التشبيه المعروفة. بل يُلمح من الكلام لمحاً من خلال السياق. ليفيد أنّ الحكم الذي أُسند للمشبّه ممكن.

القواعد الرئيسة

التشبيهُ الضمنيُّ: تشبيهٌ لا يُوضعُ فيه المُشَبَّهُ والمشبَّهُ بهِ في صورةٍ من صُورِ التشبيهِ المعروفةِ.بَلْ يُلْمَحانِ فِي التركيبِ. وهذا النوع يُؤتَى به لِيُفيدَ أنَّ الحُكم الذي أُسْنِدَ إلَى المشَبَّهِ مُمكنٌ[1].

يفهم التشبيه الضمني من سياق الكلام. ولا يأتي في صور التشبيه المعروفة.

إنَّ مُنشِئَ العبارةِ التَّشبيهيَّةِ تارةً يعمَدَ إلـى التَّشبيهِ في عباراتِهِ بصراحةٍ ووضوحٍ. ويأتي بمشبهٍ ومشبهٍ بهِ ظاهرَيْنِ يُمكنُ الإشارةُ إليهِمَا .وتارةً يَنْحو الكاتبُ أو الشاعر منْحَى منَ البلاغةِ يُوحِي فيهِ بالتَّشبيهِ مِنْ غيرِ أنْ يُصرِّحَ بهِ فـي صورةٍ من صورِهِ المعروفةِ . يفعلُ ذلك نُزوعاً إلى الابتكارِ، وإقامةً للدليلِ علَى الحكمِ الّذي أسندهُ إلى المشبَّه. ورغبةً في إخفاءِ التشبيهِ. وهذا الثاني هو التشبيهُ الضِّمنيُّ. وذلك لأنَّ التشبيه كلمَّا دقَّ وخَفيَ كانَ أبلغَ وأفعلَ فِي النَّفسِ.

(1) علي الجارم ومصطفى أمين. البلاغة الواضحة. ص 43.

تمارين

1- بيّنِ المشبَّهَ والمشبَّهَ به ونوعَ التشبيه فيما يأتي مع ذكر السببِ:

أ - ومِنَ الخَيرِ بُطْءُ سَيْبِكَ عني أسرَعُ السُّحْبِ في المَسيرِ الجَهامُ

ب - وما أنا مِنْهُمُ بالعَيشِ فيهم ولكنْ مَعدِنُ الذّهَبِ الرَّغامُ

ج - سَيَذْكُرُني قَوْمي إذا جَدّ جدّهُمْ وفي الليلةِ الظلماءِ، يُفتقدُ البدرُ

د - تَرْجو النَّجاةَ ولَمْ تَسلكْ مسالِكَها إنَّ السَّفينَةَ لا تجْري على اليَبَس

هـ فإنْ تَفُقِ الأنامَ وأنْتَ مِنهُمْ فإنّ المسكَ بَعضُ دَمِ الغزالِ

و - كأنّ مُثارَ النَّقعِ فوقَ رُؤوسنا وأسيافَنا ليلٌ تهاوَى كواكبُه

2- بيّنِ التشبيهَ الصَّريحَ ونوعَه والتشبيهَ الضمنيَّ فيما يأتي:

أ - حِبْرُ أبي حفصٍ لعابُ الليلِ كأنهُ ألوانُ دُهْمِ الخيلِ

يجري إلى الإخوانِ جَريَ السَّيلِ بغيرِ وزنٍ وبغيرِ كيلِ

ب- ونَلاهُ إنْ نَظَرتْ وإن هِيَ أعْرضتْ وقْعُ السّهام ونَزْعُهُنَّ أليم

ج- ليسَ الحِجابُ بِمُقْضٍ عنكَ لي أملاً إنَّ السماءَ تُرَجّى حينَ تحتَجبُ

د - واللّيْلُ تجري الدَّراري في مجرَّته كالرَّوضِ تطفو على نهرٍ أزاهرُهُ

3- حول التشبيهات الضمنية الآتية إلى تشبيهات صريحة:

أ - قال أبو تمام:

اصبر على مضض الحسود فإنّ صبرك قاتلُهْ

النار تأكل بعضها إنْ لم تجدْ ما تأكلُهُ

ب - قال المتنبي:

فإن تَفقِ الأنام وأنت منهم فإنّ المسْكَ بعضُ دَمِ الغَزالِ

من شعرائنا: السيّد حيدر الحلّي[1]

ولد بالحلّة في شعبان سنة 1240 أو 42 أو 46 هـ،وتوفّي فيها تاسع ربيع الثاني سنة 1304، وحُمل إلى النجف، فدفن في الصحن الشريف أمام الرأس الشريف. كان شاعراً مُجيداً من أشهر شعراء العراق أديباً ناثراً جيّد الخطّ، نظم فأكثر، ولا سيّما في رثاء الحسين عليه السلام ومدائح أهل البيت عليهم السلام ومراثيهم.

فاق شعراء عصره في رثاء الحسين عليه السلام (...) كان شاعراً بارعاً غير منازع، وله إلمام بالعربية، مصنّفاً تقيّاً ناسكاً ويتقرّب إلى الله - تعالى - من مدح أهل البيت عليهم السلام بالسبب الأقوى.

بعض ما يُحكى عنه: أخبرني السيّد حسن بن السيّد هادي الكاظمي قال: أخبرني السيّد حيدر الحلّي قال: رأيت في المنام فاطمة الزهراء عليها السلام فأتيت إليها مسلّماً عليها مقبّلاً يديها فالتفتتْ إليّ وقالتْ:

أَنَاعيَ قتلى الطفِّ لا زلتَ ناعيا تهيجُ على طول الليالي البواكيا

فجعلتُ أبكي وانتبهتُ وأنا أُردّد هذا البيت فجعلت أتمشّى وأنا أبكي وأريد التتميم ففتح الله عليّ أن قلت:

أعد ذكرهم في كربلا إنّ ذكرهم طوى جزعاً طيّ السِّجلِّ فؤاديا

إلى آخر القصيدة. قال: ثمّ أوصى أن تُكتب وتوضع معه في كفنه. وقيل إنّه لمّا نظم قصيدته العينية في رثاء الحسين عليه السلام الّتي أوّلها:

قد عهِدنا الربوعَ وهي ربيعُ أينَ لا أينَ أُنسها المجموعُ

أنشدها بعض أدباء الحلّة فلمّا وصل فيها إلى قوله:

---

(1) السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج 6، ص 266 - 267.

سبق الدمعُ حين قلت سقتها فتركتُ السما وقلت الدموعُ

قال له ذلك الأديب لو قلت الحيا بدل السما لكان أنسب فقال له إذاً أكون مِثْلَكَ فأخجله.

مؤلّفاته: -1 ديوان شعره كبير مطبوع -2 العقد المفصّل في قبيلة المجد المؤثل يعني آل كبّة وهو كتاب أدبي ألّفه باسم الحاج محمّد حسن ابن الحاج محمّد صالح.

من شعره قوله:

إن لم أقف حيثُ جيش الموت يزدحمُ فلا مشتْ بِيَ في طُرُقِ العلا قدمُ
لا بدَّ أن أتداوى بالقنا فلقد صبرتُ حتَّى فؤادي كُلُّه ألمُ
عندي من العزمِ سِرٌّ لا أبوحُ به حتَّى تبوحَ به الهِنْدِيّة الخُذُمُ
لا أرضعتْ لِيَ العلا ابناً صفو درَّتِها إنْ هكذا ظلَّ رُمحي وهو مُنفَطِمُ
إليةً بضبا قومي الّتي حَمِدت قدماً مواقعَها الهيجاءُ لا القِمَمُ
لأحلِبنَّ ثديَ الحربِ وَهْيَ قناً لِبانُها من صدور الشوسِ وَهْوَ دمُ
مالي أُسالم قوماً عندهم تِرَتي[1] لا سالمتني يدُ الأيَّام إن سَلِموا
مَن حامِلٌ لوليّ الأمرِ مألكةً تُطوى على نفثاتٍ كلّها ضَرم
يا بن الأُلى يُقعِدون الموتَ إن نهضت بهم لدى الروعِ في وجه الظُبا الهِممُ
الخيلُ عندك ملَّتها مرابطها والبِيضُ منها عَرى أغمادَها السأمُ
هذي الخدور ألا عدَّاءَ هاتكةً وذي الجباه ألا مشحوذةً تسمُ
لا تطهرُ الأرضُ من رجسِ العدى أبداً ما لم يَسِل فوقها سيل الدمِ العَرِمُ
بحيثُ موضعُ كلٌّ منهُمُ لكَ في دماه تغسِله الصمصامةُ الخذَمُ
أُعيذ سيفَكَ أن تصدا حديدتهُ ولم تكن فيه تُجْلَى هذه الغُممُ

(1) التيرة الوِتر: اي انا موتور منهم وعندهم ثاري.

الدرس الثامن

أغراضُ التشبيهِ

أهداف الدرس

1- أن يتعرّف الطالب إلى أغراض التشبيه.

2- أن يستخدم التشبيه في أغراضه المختلفة.

أغراضُ التشبيهِ[1]:

الأغراضُ جمْعُ غرَضٍ والمرادُ به الأمرُ الباعثُ للمتكلّمِ في استعمالِ التشبيهِ، حيثُ إنَّ لكلِّ تشبيهٍ مرَّ مَعَنَا هَدَفاً يُريدُ المتكلمُ الوصولَ إليهِ وغَرَضاً يُريدُ بيانَهُ، وقَـدْ قُسِّمَتْ أَغراضُ التَّشبيهِ إلَـى قِسمَينِ: أحدُهما أنْ يكـونَ غَرَضاً عائداً إلى المُشبَّـهِ، والثاني يكونُ عائداً إلى المُشبَّهِ بهِ[2]، وسنذكرُ - هنَا - أهمَّ الأغراضِ الَّتي تَعُودُ إلَى المشبَّهِ[3]:

أوَّلاً: بيانُ إمكانِ المشبَّهِ، وذلكَ حينَ يسنَدُ إليهِ أمرٌ مستغربٌ لا تزولُ غرابتُه إلَّا بذكرِ شبيهٍ لهُ، معروفٍ واضحٍ مسلَّمٍ بِهِ، ليثبتَ في ذهنِ السامعِ ويُقَرَّرَ، كقولِ اللهِ - عـزَّ وجـلَّ-: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[4] حيثُ اعترضَ قومٌ عَلَى النبيِّ ﷺ في شأنِ ولادةِ عيسى عليه السلام، وقالـوا: كيفَ يمكنُ أنْ يَكونَ ولدٌ ولَا يكونُ له والدٌ؟! فجاءتِ الآيةُ الكريمةُ لتقولَ مـن خلالِ هَـذَا التَّشبيهِ: إنَّ هَذَا الأمرَ ممكنٌ، حيـثُ لَا ينكرُ أحدٌ أنَّ آدمَ عليه السلام مخلـوقٌ مِن غيـرِ أبٍ، ومَنْ كانَ قادراً عَلَى أنْ يَخلُـقَ آدمَ مِن غيرِ أبٍ وأمٍّ، قادرٌ عَلَـى خَلْقِ المَسِيـحِ مِن غيرِ أبٍ، فشبَّـهَ شَأنَ عيسى وحالَتَهُ العجيبـةَ بشأنِ آدمَ

(1) وقد تسمى فوائد التشبيه، السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 238.

(2) وهو ما يكون في التشبيه المقلوب.

(3) أغراض التشبيه في الغالب تعود الى المشبه.

(4) سورة آل عمران، الآية: 59.

الَّـذي يَعتَقِدُ الجميعُ أنَّه خُلِقَ مِن غَيرِ أبٍ ولا أمّ، فكانَ الغرضُ مِنَ التَّشبِيهِ بيانَ إمكانيـةِ المشبَّهِ بتشبيهـه بما هو مماثل من جهة، وأبعـد منه في التحقق - مع التسليم بحصوله - من جهة أخرى.

ثانيـاً: بيانُ حالِ المشبَّهِ: حيثُ يكونُ المشبَّه مبهماً غيرَ معروفِ الصفةِ الّتي يُرادُ إثباتُها لـهُ قبلَ التشبيهِ، ويكونُ المشبَّهُ بِهِ معلوماً عندَ السَّامعِ بتلكَ الصِّفةِ الَّتي يُقصَدُ اشتراكُ الطرفيـنِ فيها، فيفيدُه التشبيهُ الوصفَ، ويوضِّحُه المشبَّهُ بِـهِ، كمَا فِي قولِ النَّبِيِّ ﷺ: «**مثلُ المؤمنين في توادِّهِم وتراحُمِهِم وتعاطُفِهِم مثلُ الجَسَدِ، إذَا اشتَكَى منهُ عضوٌ تداعَى لهُ سائرُ الجسدِ بالسَّهرِ والحُمَّى**»[1]، حيـث أرادَ أَنْ يُبَيِّنَ حالَ المؤمِنِينَ فـي مودّة بعضهم لبعض وتراحمهم، وهُوَ أمْرٌ مُبْهَـمٌ لا يعرفُـهُ المُخاطَبُونَ آنَذاكَ، فجـاءَ بمشبَّه بِهِ معلـومٍ لديهِم وهُوَ الجسدُ الَّذي يَتَأَلَّمُ جميعُهُ بِتَأَلُّمِ بعضِهِ، وهَذَا هُوَ الغَرَضُ مِنَ التَّشبِيهِ.

ثالثاً: بيانُ مقدارِ حالِ المشبَّهِ في القوةِ والضعفِ، والزيادةِ والنقصانِ، وذَلِكَ إذَا كانَ المشبَّـهُ معلومـاً معروفَ الصفةِ الّتي يرادُ إثباتُهـا لهُ معرفةً إجماليةً قبلَ التَّشبيهِ، بحيثُ يرادُ مِنْ ذَلِكَ التَّشبيهِ بيانُ مقدارِ نصيبِ المشبَّهِ من هذه الصفةِ، وذلك بأنْ يعمدَ المتكلِّمُ إلى بيانِ ما يعنيهِ من هذا المقدارِ، كقولِهِ - تَعَالَى -: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[2]، فشبَّـهَ قلوبَهم بالحجارةِ فِـي الصَّلابَةِ والقَسوةِ، فَلو لمْ يـرِدِ اللهُ تعالى أنْ يبيِّنَ مقدارَ قساوةِ قلوبِهِم لقالَ: «**قلوبُهم قاسيـةٌ**»، ولكنَّـه أرادَ تَبْيينَ مقدارِ هَذِهِ القَسوةِ وبيانِ شدتِّهَا، فَجَاءَ بِهَذا التَّشبيهِ لأجلِ ذَلِكَ، ومثلُ ذَلِكَ قولُ المتنبي[3] فِي وصْفِ أسدٍ:

(1) الريشهري، ميزان الحكمة، ج4، ص2837.
(2) سورة البقرة، الآية: 74.
(3) شرح ديوان المتنبي، ج 1، ص 116.
(4) الدجى: جمع دجية وهي الظلمة، والفريق: الجماعة، وحلولا: أي مقيمين وهو حال من الفريق.

مــا قُــوبِـلَــتْ عَـيْـنــاهُ إلاّ ظُـنّـتَــا   تَـحْـتَ الـدُّجَـى نــارَ الـفَـريـقِ حُلُولا[1]

فإنَّه «يصفُ عَيْنَي الأسدِ في الظلام بشدةِ الاحمرار والتوقّدِ، حتى إنَّ من يراهما من بُعْدٍ يظنُّهما ناراً لقومٍ حُلول مقيمين، فلو لم يعْمدِ المتنبي إلى التشبيه لقال: إنَّ عَيْنَي الأسدِ محمرّتانِ، ولكنه اضطُرَّ إلى التشبيه ليُبَيِّنَ مقدارَ هذا الاحمرار وعِظَمه، وهذا منْ أغراض التشبيه أيضاً»[1].

رابعـاً: تقريــرُ حالهِ وتقويةُ شأنِها، و تمكينُه فـي ذهن السامعِ، بإبرازِها فيما هـي فيه أظهرُ، كما إذا كان ما أسنِدَ إلــى المشبَّهِ يحتاجُ إلى التثبيتِ والإيضاحِ، ويأتـي هـذا الغرضُ حينمـا يكـون المشبَّهُ أمـرًا معنويًـا؛ لأنَّ النفسَ لا تجزم بالمعنويـاتِ جزمَهـا بالحسيَّات، فهي في حاجـةٍ إلى الإقناعِ، فتأتـي بمشبَّهٍ به حسـيٍّ قريبِ التصـوُّرِ، يزيدُ معنى المشبَّــهِ إيضاحاً لما في المشبَّــهِ به من قوةِ الظهورِ والتمامِ،كقولِهِ - تَعَالَى-:

﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾[2].

تتحـدث الآيـة «فـي شـأن مَـنْ يعْبـدونَ الأوثـانَ، وأنَّهـم إذا دَعَـوْا آلهتَهم لا يستجيبونَ لهُم، ولا يرجِعُ إليهِم هَذَا الدعاءُ بفائدةٍ، وقدْ أرادَ الله - جل شأنه- أنْ يُقـرِّر هـذه الحالَ ويُثَبِّتَها في الأذهانِ، فشـبَّهَ هؤلاءِ الوثنيِّينِ بمن يبسُـط كفَّيـهِ إلى الماء ليشـربَ فلا يصـلُ المـاءُ إلى فمـهِ بالبداهةِ؛ لأنَّـه يَخْرُجُ من خـلالِ أصـابِعِهِ مَا دامـتْ كفَّاهُ مبسـوطتينِ ولأنهما مبسـوطتان فلا تجمعان ماء، وينزلق الماء عنهما. فالغرضُ منْ هذا التشبيه تقريرُ حالِ المشبَّهِ»[3].

(1) علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص 48.
(2) سورة الرعد، الآية: 14.
(3) علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص 49.

خامساً: مدحهُ وتحسينُ حالهِ، ترغيباً فيــه، أو تعظيماً له، بتصويرهِ بصورةٍ تهيِّــجُ في النفسِ قــوى الاستحسانِ، بأنْ يعمدَ المتكلِّمُ إلى ذكر مشبَّهٍ بهِ مُعجِبٍ، قــد استقــرَّ في النفسِ حُسنُه و حبُّه، فيصوِّرُ المشبَّــهَ بصُورتِه، كقولِهِ - تَعَالَى- فِي وَصْفِ الحُورِ العِينِ:

﴿وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾[1].

وَأَكْثَــرُ مَــا يَكُونُ هَذَا النَّوْعُ فِي المَدِيــحِ والرِّثَاء والفَخْرِ وَوَصْــفِ مَا تَمِيلُ إليهِ النُّفُوسُ، وأمثلتُهُ فِي الشِّعرِ العربيِّ كثيــرةٌ، منهَا مَا قالَه أحمدُ شوقي[2] في مدحِ رسولِ الله ﷺ:

تَــجَـلّـى مَــولِــدُ الــهــادي وَعَــمَّــت ... بَــشــائِــرُهُ الــبَــوادي وَالــقِــصَــابا
وَأَســـــدَتْ لِــلــبَــرِيَّــةِ بِــنــتُ وَهْــبٍ ... يَـــداً بَــيــضــاءَ طَــوَّقَــتِ الــرِقــابا
لَــقَــد وَضَــعَــتــهُ وَهّــاجــاً مُــنــيــراً ... كَــمـا تَــلِــدُ الــسَــمــاواتُ الــشِّــهَــابا
فَــقــامَ عَــلــى سَــمــاءِ الــبَــيــتِ نــوراً ... يُــضــيءُ جِــبــالَ مَــكَّــةَ وَالنِّقَابا[4]

سادساً: تشويهُ المشبَّهِ وتقبيحُه، تنفيراً منه أو تحقيراً له، بأنْ نصوِّرَه بصورةٍ تَمَجُّهــا النفسُ، ويشمئزُّ منها الطبعُ، كقولِ الله - تَبَارَكَ وتَعَالَى-: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝١٧٥ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[4] ضَرَبَ اللهُ مثلَ اللَّاهِثِ وراءَ

(1) سورة الواقعة، الآيتان: 22-23.

(2) أحمد بن علي بن أحمد شوقي. 1285 - 1351 هـ / 1868 - 1932 م أشهر شعراء العصر الأخير، يلقب بأمير الشعراء، مولده ووفاته بالقاهرة. عالج أكثر فنون الشعر: مديحاً، وغزلاً، ورثاءً، ووصفاً، ثم ارتفع محلقاً فتناول الأحداث الاجتماعية والسياسية في مصر والشرق والعالم الإسلامي وهو أول من جود القصص الشعري التمثيلي بالعربية وقد حاوله قبله أفراد، فتبذهم وتفرد. وأراد أن يجمع بين عنصري البيان: الشعر والنثر، فكتب نثراً مسموعاً على نمط المقامات فلم يلق نجاحاً فعاد إلى الشعر.

(3) الشاهد في البيتين الاخيرين.

(4) سورة الأعراف، الآيتان: 175-176.

الدُّنيا، العادل عن آياتِ اللهِ وهُوَ عارفٌ بِهَا، بأخسّ مثلٍ فِي أخسّ أحوالِهِ، فشبَّهَهُ بالكلبِ؛ لأنَّ كلَّ شيءٍ يلهثُ فإنما يلهثُ فِي حالِ الإعياءِ والتعبِ إلَّا الكلب، فإنَّه يلهثُ في حالِ الرَّاحةِ وحال التَّعبِ، وحالِ الصّحّةِ وحالِ المرضِ. وحالِ الرّيّ وحالِ العطشِ، وفي جميعِ الأحوالِ، فقالَ تَعالَى: إنْ وعظتَهُ، فهُوَ ضالّ، وإنْ لمْ تعظْهُ، فهُو ضالّ، كالكلبِ، إنْ طردتَه وزجرتَه، فإنّه يلهثُ، وإنْ تركتَه، يلهثُ. والغرضُ مِنْ هَذَا التَّشبيهِ التقبيحُ، وأكثرُ ما يكونُ في الهجاءِ ووصفِ ما تنفرُ منه النفسُ. وهذا الغرضُ أيضاً لهُ أمثلةٌ كثيرةٌ مشهورةٌ في كلامِ العربِ.

أَغْرَاضُ التشبيهِ كثيرةٌ منها ما يأْتي:

1- بيــانُ إِمْكان المشبَّه: وذلك حِينَ يُسْنَدُ إِليْه أمْــرٌ مُسْتغْرَبٌ لا تزول غرابتُه إلا بذكر شبيه له.

2- بيــانُ حالــه: وذلك حينما يكــونُ المشبَّهُ غيــرَ معروف الصفة قَبْــلَ التشبيه، فَيُفيدُهُ التَشَبيهُ الوصفَ.

3- بيــانُ مقدار حاله: وذلك إذا كان المشبَّهُ معروفَ الصفة قَبْلَ التشبيه مَعْرِفَةً إِجْماليَّةً، وكان التَشَبيه يُبَيِّنُ مقدارَ هذه الصفة.

4- تَقْريــرُ حالِه: كما إذا كانَ ما أُسْنِدَ إلــى المشبَّه يحتاج إِلى التثبيت والإِيضاح بالمثال.

5- تَزْيينُ المُشَبَّه.

6- تَقْبيحُ المشبه.

تمارين

بيِّنِ الغرضَ منْ كلِّ تشبيهٍ فيما يأتي:

أ- دَنَوْتَ تَوَاضُعاً، وَبَعدتَ قَدراً ... فشَأناكَ انْحِدارٌ، وارْتِفَاعُ
كذاكَ الشَّمسُ تَبعَدُ إنْ تَسامى ... وَيَدْنُو الضَّوْءُ مِنْهَا، والشُّعاعُ

ب- أُحِبكِ يا لَوْنَ الشَّبابِ لأنني ... رأيْتُكما في القلْبِ والعينِ تَوْأما
سَكَنْتِ سوادَ القَلْب إذ كنْتِ شِبهَهُ ... فلمْ أدر منْ عِزٍّ من القَلْبُ منْكما

ج- وَإذا أشَارَ مُحَدِّثاً فَكَأنّهُ ... قِرْدٌ يُقَهْقِهُ أوْ عَجوزٌ تَلْطِمُ

د- لي منزلٌ كَوِجارِ الضَّبِّ أَنزِلُه ... ضَنْكٌ تَقارَبَ قُطراهُ فقد ضاقَا
أراه قَالَبَ جسمي حينَ أَدخُلُه ... فما أَمُدُّ به رجلاًو لا سَاقا

هـ- وأَنا ابْنُ سوْداءِ الجبين كأنّها ... ضَبُعٌ تَرغرَع في رُسومِ المنْزل
الساق منها مثلُ ساق نعامةٍ ... والشَّعرُ منها مثلُ حَبِّ الفُلْفُل

من شعرائنا: الشيخ البهائي[1]

الشيخ بهاء الدِّين محمَّد بن الحسين بن عبد الصمد بن محمَّد بن عليّ بن الحسين بن صالح الحارثيّ الهَمْدَانيّ العامليّ الجبعيّ نزيل أصفهان: نسبتُهُ الحارثيّ الهمدانيّ نسبة إلى الحارث الهَمْداني صاحب أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، والهَمْدَانيّ نسبةٌ إلى هَمْدان القبيلة العربية المشهورة، وهم حيّ من اليمن. والحارث الهمداني هو الّذي قال له أمير المؤمنين عليه السلام شعراً له:

يا حار هَمْدَان من يمت يَرَني ‏ ‏ ‏ ‏ من مؤمن أو منافق قبلا

ولد بـ[بَعلبك] يوم الخميس لثلاث عشرة بقين من المحرّم سنة 953. وقال أبو المعالي الطالوي: إنّه ولد بقزوين، والله أعلم. وتوفّي بأصفهان 12 شوال سنة 1030هـ. على ما ذكره تلميذه السيد حسين ابن السيّد حيدر الحسيني الكركي العاملي والمجلسي الأوّل الّذي حضر وفاته والصلاة عليه، فهما أعرف بتاريخ وفاته. ثمّ نُقل قبل الدفن إلى مشهد الرضا عليه السلام، ودفن هناك في داره بجانب الحضرة المقدّسة الرَّضَويّة، وقبره هناك مشهور مزور إلى اليوم. حاله في الفقه، والعلم، والفضل، والتحقيق، والتدقيق، وجلالة القدر، وعظم الشأن، وحسن التصنيف، ورشاقة العبارة، وجمع المحاسن أظهر من أن يُذكر، وفضائله أكثر من أن تُحصر. وكان ماهراً متبحراً، جامعاً، كاملاً، شاعراً، أديباً، منشئاً، عديم النظير في زمانه في الفقه، والحديث، والمعاني، والبيان، وغيرها.

له شعر كثير بالعربيّة والفارسيّة؛ فمن شعره قصيدته الّتي يمدح بها صاحب الزمان وسمّاها: «وسيلة الفوز والأمان في مدح صاحب الزمان»، كما في شرح

(1) السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج 9، ص 234.

المنيني عليها، وبعضهم يقول اسمها: «روح الجنان» كما في ديوان الشيخ جعفر الخطّي، وهي الّتي شرحها الشيخ أحمد بن عليّ المنيني الدمشقي بطلب السيّد محمّد هاشم قاضي دمشق الشام، وطبعت مع شرحها في آخر الكشكول وأوّلها:

سرى البرق من نجد فهيّج تذكاري   عهوداً بحزوى والعَذِيبِ وَذي قَارِ
وهيّج من أشواقنا كلَّ كامنٍ   وأجّج في أحشائنا لاعجَ النارِ

ومن شعره في الوعظ:

ألا يا خائضاً بحرَ الأماني   هداك الله ما هذا التواني
أضعتَ العمر عصياناً وجهلا   فمهلاً أيّها المغرورُ مهلا
مضى عصرُ الشباب وأنت غافلٌ   وفي ثوب العمى والغيّ رافلْ
إلى كم كالبهائم أنت هائمْ   وفي وقت الغنائم أنت نائمْ
وطرفك لا يرى إلّا طموحا   ونفسك لم تزل أبداً جموحا
وقلبك لا يفيق عن المعاصي   فويلك يوم يؤخذ بالنواصي
بِلالُ الشيب نادى في المفارقْ   بِحَيَّ على الذهابِ وأنتَ غارقْ

الدرس التاسع

التشبيهُ المقلوبُ

أهداف الدرس

1- أن يتعرّف الطالب إلى التشبيه المقلوب.

2- أن يدرك بلاغة التشبيه المقلوب.

التشبيهُ المقلوبُ[1]:

الأصـلُ فـي التشبيهِ أنْ يكـونَ وجهُ الشبهِ فـي المشبهِ بهِ أتـمَّ وأظهر، كما هوَ الحـالُ في الأمثلةِ التي مـرَّتْ علينا سابقاً، فكانَ المشبهُ بـهِ هوَ الاصلَ، والمشبهُ هـوَ الفـرعَ، ولكنْ قَدْ يُجْعَلُ مَا كانَ الأصلُ فيهِ أنْ يكونَ مشبهاً بهِ مشبهاً، ومَا كَانَ الأصلُ[2] أنْ يكونَ مشبَهَاً مشبَهَاً بِهِ قَصْداً إلى إيهَامِ أنَّ مَا صَارَ مشبَهَاً بِهِ أتمُّ في وجهِ الشبَهِ مِنَ الذي صَارَ مشبَهَاً، حَتَّى صَارَ هوَ الأصلَ، و الآخرُ الفرعَ. ومِنْ أمْثِلَةِ ذَلِـكَ فِي القرآنِ الكَرِيم قولُهُ - تَعَالَى- حِكَايةً عَنِ الكُفَّارِ: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ..﴾[3]، فـي مقـامِ دعوى أنَّ الرِّبا مثلُ البيعِ؛ وإنَّما عَكَسُـوا ذَلِكَ لإيهـامِ أنَّ الرِّبا عندهمْ أحلُّ من البيـعِ، لأنَّ الغرضَ هو الربحُ،وهو أثبتُ وجوداً في الرّبا منه في البيعِ، فيكونُ أحقَّ بالحلِّ على حدِّ زعمِهم.

وقَد جَـرَتْ ألسنةُ الشُّعـراءِ والأُدَبَـاءِ والمُتكلِّمينَ بكثيرٍ مِـنَ التَّشبيهاتِ الَّتي جَـرَتْ عَلَى غيرِ العَادَةِ فِي التَّشبيهِ، ومنهم الشَّاعرُ محمَّدُ بنُ وهيبِ الحِمْيَرِيّ[4]، حيثُ يقولُ:

(1) علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص 53.
(2) أطلق عليه ابن الاثير في كنز البلاغة اسم: «غلبة الفروع على الأصول».
(3) سورة البقرة، الآية: 275.
(4) محمد بن وهيب الحميري، أبو جعفر 225 هـ - 840 م، شاعر مطبوع مكثر، من شعراء الدولة العبّاسيّة، أصله من البصرة، عاش في بغداد وكان يتكسب بالمديح، ويتشيّع، وله مراث في أهل البيت، وعهد إليه بتأديب الفتح بن خاقان، واختصّ بالحسن بن سهل، ومدح المأمون والمعتصم، وكان تيّاهاً شديد الزهو بنفسه، عاصرِ دعبلاً الخزاعيّ وأبا تمّام.

وبَـدا الـصـبـاحُ كـأن غُـرَّتـهُ وَجـهُ الخليفة حيـنَ يُـمْـتَـدحُ

اعتدْنَا فِيمَا مَضَى أنْ نَقرأ أو نُحلِّل تَشبِيهاً يكـونُ فِيه وجهُ الشَّبهِ فِي المشبَّه بِهِ أجلَى وأظهرَ مِنهُ فِي المشبَّهِ، فيُشَبَّهُ الوجْهُ المشرقُ بغرَّةِ الصَّباحِ، والوضاءُ بالشَّمسِ، والمنيرُ بالبدرِ، لأنَّ وجهَ الشَّبَهِ فِي هَذِهِ أقوَى، أمَّا فِي هَذَا البيتِ الَّذي يقولُ فِيهِ الحِمْيَرِيّ: «إنَّ تباشيرَ الصَّباحِ تُشبِهُ فِي التلألؤِ وجهَ الخليفة عندَ سَمَاعِه المديحَ، فإنَّنا نَرى هنَا أنَّ هذا التَّشبيهَ خَرَجَ عمَّا كانَ مستقرًا فِي نفوسِنَا مِنْ أنَّ الشيءَ يُشَبَّه دائماً بِمَا هُو أقوَى منه في وجهِ الشَّبهِ، إذ المألوفُ أنْ يقالَ إنَّ الخليفةَ يُشبهُ الصَّباحَ، ولكنَّهُ عَكَسَ وقَلَبَ للمبالغَةِ والإغراقِ، بادعاءِ أنَّ وجهَ الشبهِ أقوَى في المشبَّهِ، وهذا التشبيهُ مظهرٌ من مظاهرِ الافتنانِ والإبداعِ»[1].

وللبُحْتُريّ[2] أيضاً يدٌ فِي إبداعِ هَذَا النَّوعِ مِنَ التَّشبيهاتِ، فيقولُ فِي تشبيهِ بركةٍ:

كأنَّهَا حِينَ لَجّتْ فِي تَدَفّقِهَا يَدُ الخَليفَةِ لَمّا سَالَ وَادِيهَا

فقد شبَّهَ الشُّعَراءُ اليَدَ بالجَدولِ أو النَّهرِ والينبُوعِ فِي كثرةِ التَّدفُّقِ، فاليدُ الَّتي تتدفَّقُ بالإحسانِ والعطاءِ والخيرِ، كالجدولِ يتدفَّقُ بالماءِ الَّذي هُوَ حياةُ النُّفوسِ، إلَّا أنَّ للبُحتُريّ رأياً فِي أنَّ يَقلِبَ التَّشبيهَ، حيثُ شَبَّهَ البركةَ وتدفقَهَا بيدِ الخليفةِ، مدَّعِياً أنَّ تدفُّقَ العطاءِ فِي يدِ الممدوحِ أقوَى مِن تدفُّقِ الماءِ فِي البركةِ، وهَذَا أيضاً مظهرٌ مِن مظاهرِ الإبداعِ، ومَا جَاءَ عَلَى هَذِهِ الشَّاكلةِ مِنَ التَّشبيهِ هُوَ مَا يُسمَّى بـ«التَّشبيهِ المقلوبِ».

(1) علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص 53.
(2) مرّت ترجمته.

التشبيـهُ المقلوبُ هو جعل المشبَّهِ مشبَّهاً بـه بادِّعاءِ أنَّ وجه الشبه فيه أقوَى وأظهرُ.

جَـرَتْ ألسنةُ الشُّعـراءِ والأُدَبَاءِ والمُتكلِّمينَ بكثير مـنَ التَّشبيهاتِ الَّتي جَرَتْ عَلَـى غيرِ العَادَةِ فِـي التَّشبيهِ، ومنهم الشَّاعرُ محمَّدُ بنُ وهيـبِ الحِمْيَرِيّ، حيثُ يقولُ:

وبَـــدا الـصــبــاحُ كــأن غُـرَّتــهُ وَجـــهُ الـخـلـيـفـة حـيـنَ يُـمْـتَـدحُ

فالملاحـظ فِـي هَذَا البيتِ الَّذي يقـولُ فيهِ الحِمْيَرِيّ: «إنَّ تباشيـرَ الصَّباحِ تُشبهُ فِـي التلألـؤِ وجهَ الخليفـة عندَ سَمَاعه المديحَ، فإنَّنا نَـرَى هنَا أنَّ هذا التَّشبيهَ خَرَجَ عَمَّا كانَ مستقرًا في نفوسـنَا منْ أنَّ الشـيءَ يُشَبَّه دائماً بمَا هُو أقـوَى منـه في وجـهِ الشَّـبه، إذ المألـوفُ أنْ يقال إنَّ الخليفةَ يُشبهُ الصَّباحَ، ولكنَّهُ عَكَسَ وقَلَبَ للمبالغَةِ والإغراقِ، بادعاءِ أنَّ وجهَ الشبه أقوَى في المشبَّهِ، وهذا التشبيهُ مظهرٌ من مظاهرِ الافتنانِ والإبداعِ».

تمارين

ميِّزِ التشبيهَ المقلوبَ منْ غيرِ المقلوبِ فيما يأتي وبيّنِ الغرضَ منْ كلِّ تشبيهٍ:

- كأنَّ سوادَ الليلِ شعرٌ فاحمٌ.
- يَزُورُ الأعادي في سَمَاءِ عَجَاجَةٍ   أسِنّتُهُ في جانِبَيْها الكَواكِبُ
- كأَنَّ النَّبْلَ كلامُه، وكأنَّ الوَبْل نوالُه.

كلماتي قلائدُ الأعناقِ   سَوْفَ تَفنى الدُّهُورُ وَهْيَ بَواقِ
قَدْ بَعَثْنَا بِجَوَادٍ   مِثْلُهُ لَيْسَ يُرامُ
فَرَسٌ يُزْهَى بِهِ لِلْـ   ـحُسْنِ سَرْجٌ ولِجامُ
وجْهُهُ صُبْحٌ ولكنْ   سائرُ الجِسْمِ ظَلامُ
والذي يَصْلحِ لِلمَوْ   لَى على العَبْدِ حرامُ
والصُّبحُ في طُرَّةِ لَيْلٍ مُسْفِرٍ   كأنَّهُ غُرَّةُ مُهْرٍ أشقَرِ
في حُمرَةِ الوَرْدِ شَكْلٌ من تَلَهّبِها   وللقَضِيبِ نَصِيبٌ مِنْ تَثَنّيهَا

بلاغةُ التشبيهِ وبعضُ ما أُثِرَ منه عن العرب والمُحْدَثين[1]

تنْشأُ بلاغةُ التشبيه مِنْ أنّه ينتقل بكَ مِنَ الشيء نفسِه إلى شيءٍ طريفٍ يشبهه، أو صورةٍ بارعة تمثّله. وكلّما كان هذا الانتقالُ بعيدًا قليلَ الخطورة بالبال، أو ممتزجاً بقليل أو كثيرٍ من الخيال، كان التشبيهُ أروعَ للنفس وأدعَى إلى إعجابها واهتزازها.

فإذا قلتَ: فلانٌ يُشبه فلاناً في الطول، أو إنَّ الأرضَ تشبهُ الكرة في الشكل، أو إنَّ الجزرَ البريطانية تشبهُ بلادَ اليابان، لم يكنْ لهذه التشبيهاتِ أثرٌ في البلاغةِ؛ لظهورِ المشابهةِ وعدمِ احتياج العثور عليها إلى براعةٍ وجهْدٍ أدبيٍّ، ولخلوّها منَ الخيال.

وهذا الضربُ مِنَ التشبيه يُقصَدُ به البيانُ والإيضاح وتقريبُ الشيء إلى الأفهام، وأكثر ما يستعمل في العلوم والفنون.

ولكنّكَ تأخذكَ رَوْعةُ التشبيه حينما تسمعُ قول المعرّيّ يَصِف نجماً:

يُسرِعُ اللّمح في احمرارٍ كما تُس   رِعُ في اللّمحِ مُقلةُ الغَضبانِ

فإنَّ تشبيهَ لمحات النجم وتألّقِه مع احمرارِ ضوئه بسرعةِ لمحةِ الغضبان من التشبيهاتِ النادرة الّتي لا تنقادُ إلّا لأديب. ومنْ ذلك قولُ الشاعر:

وكأنَّ النُّجُومَ بينَ دُجاها   سُنَنٌ لاحَ بينهُنَّ ابتداعُ

فإنَّ جمال هذا التشبيه جاء من شعورك ببراعة الشاعر وحذقه في عقد المشابهة بين حالتين ما كان يخطر بالبال تشابههما، وهما حالةُ النجوم في

(1) علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص58 – 59.

رُقْعـةِ الليل بحال السُّننِ الدينيـة الصحيحة متفرّقةً بين البـدعِ الباطلةِ. ولهذا التشبيـه روْعـةٌ أخرى جاءَت منْ أَنَّ الشاعر تخيّـل أنَّ السنن مضيئةٌ لمَّاعةٌ، وأَنَّ البدعَ مظلمةٌ قاتمةٌ.

ومنِ أبدع التشبيهاتِ قولُ المتنبيّ:

بَليتُ بِلى الأطْـلالِ إنْ لـم أقِـفْ بها   وُقوفَ شَحيحٍ ضاعَ في التُّرْبِ خَاتَمُهْ

يدعـو علـى نفسه بالبِلى والفنـاءِ إذا هو لـم يقفْ بالأَطلال ليذكـرَ عهد مَن كانـوا بها، ثمّ أَراد أَنْ يصوِّرَ لك هيئـةَ وقوفه، فقال:كما يقفُ شحيحٌ فقد خاتَمُهُ في التـراب، مَنْ كان يُوفَّقُ إلى تصوير حال الذاهـلِ المتحيّر المحزون المُطْرِقِ برأسـه المنتقل منْ مكان إلى مكان في اضطـراب ودهشة بحال شحيحٍ فقد في التراب خاتمًا ثميناً؟ ولو أردنا أن نورد لك أمثلة منْ هذا النوع لطالَ الكلامُ.

الدرس العاشر

الحقيقةُ والمجازُ - المجاز اللغوي

أهداف الدرس

1- أن يتعـرّف الطالب إلى معنى الحقيقـة في الاستعمال اللغوي.

2- أن يتعـرّف الطالـب إلـى معنـى المجـاز وهدفـه في الاستعمال اللغوي.

3- أن يتقن استخدام الحقيقة والمجاز.

تعريفُ الحقيقةِ و المجازِ اللغوي[1]:

الحقيقةُ فِي الأصلِ: (فعيل) بمعنى فاعل من حقَّ الشيءُ إذا ثَبتَ، أو بمعنَى (مفعول) من قولِهم: حَقَّقْتُ الشَّيء، إذا أثبتّهُ.

و فِي الاصطلاحِ: «استعمالُ الَّلفظ فيمَا وُضِعَ لهُ، فِي اصطلاحِ التَّخاطُبِ»[2].

و المجاز في الأصل: (مفعل) من جاز المكان يجوزه، إذا تعدّاه، نقل الى الكلمة الجائزة - المتعدية - معناه الأصلي، أو المجوز بها عن معناها الأصلي، فعلى الأول هي اسم فاعل، و على الثاني اسم مفعول.

و في الاصطلاحِ: «استعمالُ الَّلفظ فِي غيرِ مَا وُضِعَ لَهُ، فِي اصطلاحِ التَّخاطُبِ، عَلَى وجَهٍ يصحُ، مَعْ قرينةٍ[3] مَانِعةٍ مِن إرادةِ مَا وضعَ لَهُ»[4].

(1) في مقابل المجاز العقلي.

(2) فاللفظ قبل الاستعمال، وبعد الوضع لا يتصف بالحقيقة والمجاز. وقولنا «فيما وضع له» مخرج للمجاز والغلط، وقولنا: «في اصطلاح التخاطب» مخرج لمثل الصلاة إذا استعملت عند أهل الشرع في الدعاء فإنها مجاز في الاصطلاح الذي وقع به التخاطب، وإن كانت حقيقة باصطلاح تخاطب أهل اللغة.

(3) القرينة الحالية تعرف من الأحوال المتعلقة بمقام الكلام، ولا تعرف من اللفظ المتكلّم به. أما القرينة اللفظية فلا تعرف إلا من اللفظ نفسه.

(4) يفهم من هذا التعريف أن المجاز يتقوم بأمور ثلاثة:

أ- استعمال اللفظ في غير ما وضع له.

ب- وجود علاقة ومناسبة بين المعنى الموضوع له اللفظ، والمعنى المستعمل فيه. وفهم ذلك من قولنا: «على وجه يصح»، وبهذا الأمر يخرج الغلط عن كونه مجازا؛ لأنه استعمال في غير ما وضع له، بلا وجه يصح.

ج- القرينة الدالة على إرادة غير ما وضع له، والمانعة من إرادة ما وضع له.

والمجـازُ مِنْ أحسـنِ الوَسَائِـلِ البيانيَّةِ الَّتي تَهـدِي إليهَا الطبيعـةُ، لإيضاحِ المَعْنَى، إذْ بِهِ يَخْرُجُ المَعْنَى متصِّفاً بصفةٍ حسّيَّةٍ تكادُ تعرضُهُ عَلَى عيانِ السَّامِعِ لِهَـذَا شغفـتِ العَرَبُ بالمَجَازِ، وآثرتْـهُ عَلَى الحقيقةِ فِي الاستعمـالِ؛ لمَيْلِهَا إلَى الاتِّسـاعِ فِي الكلامِ، وإلَى الدَّلالةِ عَلَى كَثْـرةِ معاني الألفاظِ، ولِمَا فِيهِ مِنَ الدِّقَةِ فِي التَّعبيرِ، فيحصلُ للنَّفسِ بِهِ سرورٌ وأريحيَّةٌ[1].

ثمّ إنّ المجازَ على قسمينِ:

لغـويٌّ: وهو استعمالُ اللفظِ فِي غيرِ مَا وُضعَ لهُ لعلاقةٍ، لمناسبةٍ بين المَعْنَى الحقيقـيِّ والمعنى المجازيِّ - مع وجود قرينة مانعةٍ من إرادةِ المعنى الحقيقيِّ، وهـي قد تكون لفظيّـةً، وقد تكون حاليّةً، وكلّما أُطلقَ المجـازُ، انصرفَ إلى هذا المجازِ، وهو المجازُ اللغويُّ. والمجازُ المرسلُ.

عقلـيٌّ: وهـو يجري في الإسنادِ، بمعنى أن يكـونَ الإسنادُ إلى غير من هوَ لهُ، نحو: ليل العابد قائم ونهاره صائم، إسناد الوصف وهو اسم الفاعل قائم وصائم الـى فاعلهما المستتر مجـاز عقلي بعلاته الزمانية، والقرينـة واضحة فالليل لا يقوم والنهار لا يصوم.

وفـي هذا الدرسِ سنتعرضُ للمجازِ بِمَا هُوَ مجـازٌ بغضِّ النَّظر عَنْ تقسيماتِهِ باعتبارِ العلاقةِ الَّتي تكونُ إمَّا علاقةَ مشابهةٍ[2] أو غيرَ مشابهةٍ[3].

يقولُ ابنُ العميدِ[4]:

قَـامَـتْ تُـظَـلِّـلُـنِـي مِـنَ الـشَّـمْـسِ   نَـفْـسٌ أَعَـــزُّ عَـلَـيَّ مِـنْ نَـفْـسِـي

(1) الصور البيانية، ص 222 .

(2) وهو ما يسمى بالاستعارة.

(3) وهو ما يسمى بالمجاز المرسل.

(4) هـو الوزيـر أبو الفضل محمد بن العميد نبغ في الأدب وعلوم الفلسفة والنجوم، وقد برز في الكتابة على أهل زمانه حتى قيل: «بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد»، توفى سنة 360هـ.

قامَتْ تُظَلِّلُنِي ومِنْ عجَبٍ   شَمْسٌ تُظَلِّلُنِي مِنَ الشَّمْسِ

مَا الَّذي نلاحظُهُ فِي هَذَينِ البيتينِ مِنَ الشِّعرِ؟ نلاحظُ أنَّ كلمةَ الشَّمسِ قد استُعملَتْ فِي معنيين: أحدُهما المعنَى الحقيقيّ للشَّمسِ الَّتي نَعرفُهَا، وهِيَ الَّتي تظهرُ فِي المشرقِ صبْحاً وتختفِي عندَ الغروبِ مساءً، والثانِي إنسانٌ وَضّاءُ الوجهِ يشبِهُ الشَّمسَ في التلألؤِ، وهَذَا المَعنَى غيرُ حقيقيّ. وإذَا تأمَّلنَا رأيْنَا صِلَةً وعلاقةً بين المعنَى الأصليّ للشَّمسِ والمعنَى العارضِ الَّذي اسْتُعْمِلَتْ فيه. وهذه العلاقة هي المشابهةُ؛ لأنَّ الشخصَ وضيءَ الوجهِ يُشْبِهُ الشَّمسَ فِي الإشراقِ، ولا يمكنُ أنْ يلتبسَ علينا الأمرُ فنَفْهَم منْ «شمس تظللني» المعنى الحقيقيّ للشَّمسِ؛ لأنَّ الشمسَ الحقيقيّة لا تُظَلِّل، فكلمة «تظللني» - إذن - تمنعُ مِنْ إرادةِ المَعنَى الحقيقيّ؛ ولِهَذَا تسمَّى قرينةً دالةً على أنَّ المعنى المقصودَ هو المعنى الجديدُ العارضُ.

وقالَ أبو تمّام(1):

وما ماتَ حتّى ماتَ مَضْرِبُ سَيْفِهِ   مِن الضَّرْبِ واعْتَلَّتْ عليه القَنا السُّمْرُ(2)(3)

المـوتُ مِنْ شأنِ الأحياءِ، فلا يمـوتُ إلّا مَنْ كانَ حياً. وهَذا حقيقيّ فِي لفظة

(1) حبيب بن أوس بن الحارث الطائي188 - 231 هـ / 803 - 845 م. أحد أمراء البيان، ولد بجاسم (من قرى حوران بسورية)، ورحل إلى مصر، واستقدمه المعتصم إلى بغداد، فأجازه وقدّمه على شعراء وقته، فأقام في العراق، ثم ولي بريد الموصل، فلم يتم سنتين حتى توفي بها. اختُلِفَ في التفضيل بينه وبين المتنبي والبحتريّ، له تصانيف، منها فحول الشعراء، وديوان الحماسة، ومختار أشعار القبائل...

(2) مضرب السيف: حدّه، والقنا: الرماح، والسمر: الرماح أيضاً، أي لم يمت في ساحة الحرب حتى تثلّم سيفه وضعفت الرماح عن المقاومة.

(3) يقول ابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة: سمعت النقيب أبا زيد يحيى بن زيد العلويّ البصريّ، يقول: كأن أبيات أبي تمّام في محمد بن حميد الطائي ما قيلت إلا في الحسين عليه السلام:

وقد كان فوتُ الموت سهلاً فردّه   إليه الحِفَاظُ المُرُّ والخُلُقُ الوَعْرُ
ونفسٌ تعافُ الضيمَ حتى كأنه   هو الكفرُ يوم الرَّوْعِ أو دونه الكفرُ
فأثبتَ في مستنقعِ الموت رِجله   وقال لها: من تحت أخمصك الحشر
تَرَدّى ثياب الموت حمراً فما أتى   لها الليلُ إلا وهي من سُنْدسٍ خُضْرِ

«مات» الأولى ولكنَّ الشَّاعر يقولُ: إنَّ مضربَ السَّيفِ قَد مَاتَ، ومضربُ السَّيفِ جمادٌ لَا حياةَ فيهِ، فكيفَ يصيرُ ميتاً؟ ألَا نَرَى أنَّ استعمالَ لفظةِ «مات» الثانية فِي السَّيفِ هُوَ استعمالٌ فِي غيرِ مَا وضعَ لهُ لوجودِ علاقةٍ هِيَ المشابهةُ بَينَ اللفظتينِ حيثُ إنَّ مَا قصدَه الشَّاعرُ بموتِ السَّيفِ هُوَ انكسارُهُ وعدمُ النَّفعِ منهُ فَهُو كالميِّت، ولكنْ كيفَ عرفْنَا أنَّ اللفظَةَ استُعمِلَتْ فِي غيرِ معناهَا الحقيقيِّ ومَا الَّذي دلَّنَا عَلَى ذَلكَ؟ إنَّها كلمةُ «مضربُ سيفه» فهي قرينةٌ تدلُّ على أنَّ المعنَى المرادَ في «مات» الثانيةِ ليسَ المعنَى الحقيقيَ للموتِ وتُسمَّى هَذهِ القرينةُ لفظيةً.

يقولُ المتنبِّي حينَمَا رَأى مطراً يهطلُ على سيفِ الدولةِ[1]:

لِعَيني كُلَّ يَومٍ مِنكَ حَظٌّ ... تَحَيَّرُ مِنهُ في أَمرٍ عُجابِ[2]

حِمالَةُ ذا الحُسامِ عَلى حُسامٍ ... وَمَوقِعُ ذا السَحابِ عَلى سَحابِ[3]

نستطيعُ بعدَ الأمثلةِ الَّتي ذكرنَاهَا أنْ ندركَ في البيتِ الثانِي للمتنبِّي أنَّ كلمةَ «حسام» الثانيةَ استُعملتْ في غيرِ معناهَا الحقيقيِّ لعلاقةِ المشابهةِ بينَ سيفِ الدولةِ والحسامِ فِي تَحمُّلِ الأخطارِ. إلَّا أنَّ الفارقَ أنَّه في الأمثلةِ السابقةِ كانتْ القرينةُ الدالَّةُ على عدمِ إرادةِ المَعنَى الحقيقيِّ لفظيةً إلَّا أنَّ القرينةَ هنا تُفهمُ مِنَ المقامِ، فهي حالِيَّةٌ، وكذلكَ الحالُ في كلمةِ «سحاب» الأخيرة فإنَّها استُعملتْ لتدلَّ على سيفِ الدولةِ لعلاقةِ المشابهةِ بينه وبينَ السَّحابِ في الكرمِ، والقرينةُ حالِيَّةٌ أيضاً[4].

(1) علي بن عبد الله بن حَمْدان التغلبيّ الربعيّ، أبو الحسن، سيف الدولة الأمير، صاحب المتنبي وممدوحه. 303 - 356 هـ / 915 - 967 م، يقال: لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع بباب سيف الدولة من شيوخ العلم ونجوم الدهر! ولد في ميافارقين (بديار بكر)، ونشأ شجاعاً مهذباً عالي الهمة. وملك واسطاً وما جاورها، ومال إلى الشام فامتلك دمشق، وعاد إلى حلب فملكها سنة 333هـ، وتوفي فيها، ودفن في ميافارقين.

(2) تَحَيَّرَ: أصلها تتحير حذفت منها إحدى التاءين. يقول كل يوم ترى عيني منك شيئاً عجيباً تتحير منه.

(3) الحِمَالة التي يحمل بها السيف وهي المحمل - أيضاً - يقول سيف حمل سيفا وسحاب يمطر على سحاب هذا هو العجاب.

(4) علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص (بتصرّف)

ومما ذكرنا يتَّضحُ أنَّ الكلماتِ: شمسٌ، وماتَ، وحُسامٌ، وسحابٌ، استُعملت في غير معناها الحقيقيّ لعلاقةٍ وارتباطٍ بين المعنى الحقيقيّ والمعنى العارضِ. وتسمَّى كلُّ كلمة من هذه مجازاً لغويًّا.

القواعد الرئيسة

المَجَازُ اللغَويُّ: هُوَ اللفظُ المُستَعْمَلُ في غير ما وُضِعَ لَه لِعَلاقة مع قَرينةٍ مانِعةٍ مِنْ إرادَةِ المعْنَى الحقيقي. والعَلاقةُ بَيْنَ المَعْنَى الحقيقي والمعنى المجازيّ قدْ تكونُ المُشَابَهةَ، وقد تكونُ غيرَها، والقَرينَةُ قد تكونُ لفظيةً وقد تكونُ حَالِيَّةً.

تمارين

في الأبيات الآتيات كلمات متكررة أو مثنّاة أو مجموعة بعضها أو بعض أفرادها مجاز وبعضها حقيقية؛ بيِّنِ المجاز مع ذكر العلاقةِ والقرينةِ لفظيةً أو حاليَّةً.

- قال أبو الطيب حين مرض بالحمَّى بمصر:

فإنْ أمرَضْ فما مَرِضَ اصْطِباري   وَإنْ أُحْمَمْ فَمَا حُمَّ اعتزَامي

وقال حينما أنْذر السحابُ بالمطر وكان مع ممدوحه:

تَعَرّضَ لي السّحابُ وقد قَفَلْنا   فقُلتُ إليكَ إنّ مَعي السّحابَا

- وقال آخر:

بِــلادي وإنْ جــارتْ علــى عــزِيــزةٌ   وقــومــي وإنْ ضَــنُّــوا عــلــيَّ كِــرامُ

- قال المتنبي في المديح:

فيَوْماً بخَيْلٍ تَطْرُدُ الرّومَ عنهُمُ   وَيَوْماً بجُودٍ تطرُدُ الفقرَ وَالجَدْبَا

- وقال أيضاً:

فَلا زَالَتِ الشّمسُ التي في سَمَائِهِ   مُطالِعَةَ الشّمسِ التي في لِثَامِهِ

- وقال أيضاً:

عَيْبٌ عَلَيكَ تُرَى بسَيفٍ في الوَغى   مَا يَصْنَعُ الصّمْصَامُ بالصّمصَامِ

- وقال أيضاً:

إذا اعتلَّ سيفُ الدوْلةِ اعتلّتِ الأرْضُ   وَمَنْ فوْقَها والبأسُ وَالكرَمُ المَحضُ

- وقال يَرثي أخت سيف الدولة:

فَلَيْتَ طالِعَةَ الشّمْسَينِ غَائِبَةٌ   وَلَيتَ غائِبَةَ الشّمْسَينِ لم تَغِبِ

- قال الشاعر:

وَقدْ نَظَرتْ بدْرُ الدُّجَى ورأَيْتُهَا   فَكان كِلانا ناظِرًا وَحْدَه بَدْرَا

- قال المتنبي:

نَشَرَتْ ثَلاثَ ذَوائِبٍ من شَعْرِها   في لَيْلَةٍ فَأرَتْ لَيَاليَ أرْبَعَا

- قال المتنبي:

واستَقْبَلَتْ قَمَرَ السّماءِ بوَجْهِها   فأرَتْنيَ القَمَرَينِ في وقْتٍ مَعَا

من شعرائنا: الشيخ محمد نجيب مروة [1]

الشيـخ محمّد نجيب مروة ابن الشيخ باقر ابـن الشيخ محمّد حسين الشهير بالحافـظ. ولـد في قرية الزراريـة حوالي سنة 1299 وتوفي سنـة 1376 هـ. في قريـة عيثا الـزط (الجبل) من جبـل عامل ودفن فيهـا. نشأ وترعـرع في قرية سلعـا العامليّة، فما دخل مدرسة ولا قرأ عند معلّم، غير أنّ والدته علّمته مبادئ القـراءة والكتابة، أمّـا والده فكان مشغولاً عنه بأسفاره الكثيـرة، ولمّا شبّ تتبّع الكتب والشيوخ، فأتقـن اللغة وقواعدها، وسلك طريق الشعر الفُكَاهِيَ حتّى غدا علمـاً فيه. ولقد كان محدّثاً طلق اللســان وراوية مُتْقِناً يحفظ الكثير من الأخبار والنـوادر، ويرويها بأسلوب شيّق ما جعل الناس على اختلاف طبقاتهم يتشوّقون إلـى مجالسته ويتسابقون إلى الاستمتاع بأحاديثـه وأشعاره، على أنّه في مواقف الجـدّ يكون في شعره جادّاً صارماً كما سـترى في قصيدته الفلسطينية الميميّة الآتيـة، وفي هــذه الأبيات الّتي نظمها إبان اشتـداد المظالم التركية في الحرب العامّة الأولى مخاطباً العرب:

ألا فليُفِقْ بعد الـرُّقَـادِ وينثني ... إلـى الحرب من غلمانِكَمْ كلّ نائمِ
فحتّى متى هـذا القعودُ وقد سقت ... بنو الترك من أَوْدَاجِكُم كلّ صَارِمِ

وله أيضاً:

لعمري لو جلست مكان شوقي ... لفاض الشعر من تحتي وفوقي
ولكنَّ النوائب فوق طوقي ... تكلّفني فتسلبني الشعورا

(1) السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج 9، ص 214.

ومن طرائفه قوله[1]:

رُبَّ شيخ قد غدا مُفْتَتِناً   بفتاةٍ عقلُهُ منها انبَهَرْ
قد حكتْ سُمْرَ القنا قامَتُهَا   صاحَ لكنْ عقلُهَا يشكو القِصَرْ
وإذا أبصرْتَهَا يوماً ترى   جسمَهَا أشبَهُ شيءٍ بالبقرْ
قد رَمَتْهُ بسهام اللحْظِ من   مقلةٍ حَوْلَا كميزانِ الجَزَرْ
ليتَ شِعرِيْ ما الّذي قد شاقَهُ   عندها حتّى رآها كالقَمَرْ
سألتْهَا البعضُ من جاراتِهَا   أتحبّينَ «عَلِيْ» قالت: «فَشَرْ»

(1) «فشر»: لغة عامية، ومعناها «خابَ».

الدرس الحادي عشر

الاستعارةُ التصريحيةُ والْمَكنيَّةُ

أهداف الدرس

1- أن يتعرّف الطالب إلى الاستعارة بقسميها.

2- أن يميّز بين الاستعارة التصريحية والمكنية.

3- أن يتعرّف إلى بلاغة الاستعارة المكنية وجمالها.

الاستعارةُ التصريحيةُ والمَكنيَّةُ:

تعريفُهَا: الاستعارةُ لغةً: مِن قولهِم، استعارَ المالَ: إذا طلبَه عاريةً.

واصطلاحاً: هي استعمالُ اللفظِ في غيرِ مَا وُضِعَ لَهُ لعلاقةِ المشابهةِ بَينَ المَعنَى الحقيقي والمعنى المستعملِ فيهِ، مع قرينةٍ صارفةٍ عن إرادةِ المعنَى الأصليّ.

ومعنى تصريحية أي مصرح فيها بلفظ المشبه به الذي استعمل في المشبه وأريد به المشبه، ومعنى مكنية أي مخفي فيها لفظ المشبه به استغناء بذكر شيء من لوازمه، فلم يذكر فيها من أركان التشبيه سوى المشبه.

وقد سبقَ أنَّ التشبيهَ أولُ طريقةٍ دلتْ عليها الطبيعةُ، لإيضاحِ أمرٍ يجهلُه المخاطَبُ، بذكرِ شيءٍ آخر، معروفٍ عندَه، ليقيسَه عليه، وقد نتجَ من هذه الطريقة، طريقة أخرى في تراكيبِ الكلامِ، تَرى فِيهَا ذكرَ المشبَّهِ به أو المشبَّهِ فقط[1] وترى الاستعارة تشبيهاً حذف أحد طرفيه.

وتُسمَّى هذه بـ «الاستعارةِ»، وقد جاءتْ هذه التراكيبُ المشتملةُ عَلَى الاستعارةِ

(1) فالاستعارةُ ليست إلا تشبيهاً مختصراً، لكنها أبلغُ منهُ كقولك: رأيتُ أسداً في المدرسةِ، فأصلُ هذه الاستعارةِ «رأيتُ رجلاً شجاعاً كالأسدِ في المدرسةِ، فحذفتَ المشبهُ «لفظُ رجلٍ، وحذفتَ الأداةَ ـ الكاف - وحذفتَ وجهَ الشبهِ «الشجاعةَ، وألحقتَهُ بقرينةِ «المدرسةِ، لتدلَّ على أنكَ تريدُ بالأسدِ شجاعاً.

الاستعارةُ التصريحيةُ والمَكنيّةُ:

تعريفُهَا: الاستعارةُ لغةً: مِن قولِهم، استعارَ المالَ: إذا طلبَه عاريةً.

واصطلاحاً: هي استعمالُ اللفظُ في غيرِ مَا وُضِعَ لَـهُ لعلاقةِ المشابهةِ بَينَ المَعنَى الحقيقي والمعنى المستعملِ فيـهِ، مع قرينةٍ صارفةٍ عن إرادةِ المعنَى الأصليّ.

ومعنى تصريحية أي مصرح فيها بلفظ المشبه به الذي استعمل في المشبه وأريد به المشبه، ومعنى مكنية أي مخفي فيها لفظ المشبه به استغناء بذكر شيء من لوازمه، فلم يذكر فيها من أركان التشبيه سوى المشبه.

وقد سبقَ أنَّ التشبيهَ أولُ طريقةٍ دلتْ عليها الطبيعةُ، لإيضاحِ أمرٍ يجهلُه المخاطَبُ، بذكرِ شيءٍ آخر، معروفٍ عندَه، ليقيسَه عليه، وقد نتجَ من هذه الطريقة، طريقة أخرى في تراكيبِ الكلامِ، تَرى فِيهَا ذكرَ المشبَّهِ به أو المشبَّهِ فقط[1] وترى الاستعارة تشبيهاً حذف أحد طرفيه.

وتُسمَّى هذه بـ «**الاستعارةِ**»، وقد جاءتْ هذه التراكيبُ المشتملةُ عَلَى الاستعارةِ

(1) فالاستعارةُ ليست إلا تشبيهاً مختصراً، لكنها أبلغُ منهُ كقولك: رأيتُ أسداً في المدرسةِ، فأصلُ هذه الاستعارةِ «رأيتُ رجلاً شجاعاً كالأسدِ في المدرسةِ، فحذفتَ المشبهُ ، لفظُ رجلٍ، وحذفتَ الأداةَ ـ الكاف - وحذفتَ وجهَ الشبهِ «الشجاعةَ، وألحقتهُ بقرينةِ «المدرسةِ، لتدلَّ على أنكَ تريدُ بالأسدِ شجاعاً.

أبلغَ مِن تراكيبِ التشبيهِ، وأشدَّ وقعاً في نفسِ المخاطَبِ؛ لأنَّه كلَّمَا كانَتْ داعيةً إلَى التحليقِ في سماءِ الخَيَالِ، كانَ وقعُها في النفسِ أشدَّ، ومنزلتُها في البلاغةِ أعلَى.

وما يبتكرُهُ أُمراءُ الكلامِ من أنواعِ صورِ الاستعارةِ البديعةِ، الّتي تأخذُ بمجامعِ الأفئدةِ، وتملكُ على القارئِ والسامعِ لبَّهما وعواطفهُما هو سرُّ بلاغةِ الاستعارةِ.

فمِنَ الصورِ المجملةِ الّتي عليها طابعُ الابتكار وروعةُ الجمالِ قولُ أمير المؤمنين عليه السلام:

«أَيُّهَا النَّاسُ: لَا تَسْتَوْحِشُوا فِي طَرِيقِ الْهُدَى لِقِلَّةِ أَهْلِه، فَإِنَّ النَّاسَ قَدِ اجْتَمَعُوا عَلَى مَائِدَةٍ شِبَعُهَا قَصِيرٌ، وَ جُوعُهَا طَوِيلٌ. أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرِّضَا وَ السُّخْطُ، وَ إِنَّمَا عَقَرَ نَاقَةَ ثَمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ، فَعَمَّهُمُ اللَّه بِالْعَذَابِ لَمَّا عَمُّوه بِالرِّضَا، فَقَالَ - سُبْحَانَهُ-: «فَعَقَرُوها فَأَصْبَحُوا نادِمِينَ..»[1].

نَأخُذُ مِنْ كلامِ أميرِ المؤمنينَ عليه السلام استعمالَه لفظَةَ المائِدةِ استعمالاً مجازياً، فإنَّ المرادَ مِنَ المَائِدَةِ «الدنيا»، والعلاقَةُ بينهُمَا هِيَ المشابهَةُ والقَرِينَةُ لفظيةٌ[2]. وإذَا تأمَّلْنَا هَذَا المَجَازَ، رَأَيْنَا أنَّه تضمَّن تشبيهاً حُذِف منْهُ لفظُ المشبَّهِ «الدنيا»، واستُعيرَ له لَفْظُ المشبَّهِ بهِ «المائدة» ليقومَ مقامَه بادِّعاءِ أنَّ المشبَّهَ بِهِ هُوَ عَينُ المشبَّهِ، وهَذَا أبعدُ مدىً فِي البَلاغَةِ، وأدخَلُ في المُبالَغَةِ، ويُسمَّى هَذَا المجازُ «استعارةً»، ولمَّا كانَ المشبَّهُ بِهِ مصرّحاً بِهِ فِي هَذَا المَجَازِ سمّيَ استعارةً تصريحيةً.

ومِن كلام لأمير المؤمنين عليه السلام «..**فَاتَّعِظُوا - عِبَادَ الله - بِالْعِبَرِ النَّوَافِعِ، وَاعْتَبِرُوا بِالآيِ السَّوَاطِعِ، وَ ازْدَجِرُوا بِالنُّذُرِ الْبَوَالِغِ، وَ انْتَفِعُوا بِالذِّكْرِ**

(1) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام ج2، ص181.

(2) مر معنى ذلك في درس المجاز.

وَالْمَوَاعِظِ، فَكَأَنْ قَدْ عَلِقَتْكُمْ مَخَالِبُ الْمَنِيَّةِ..»[1].

حيثُ إنَّ المَنِيّةَ لَا مَخَالِبَ لَهَا، فيَعنِي أنَّ هَذَا اللَّفظَ استُعمِلَ فِي غيرِ معنَاه الحقيقيّ لعلاقةٍ هِي المشابهةُ كذلكَ، وبقرينةٍ لفظيَّةٍ، اذاً فَهُوَ مَجَازٌ، وقَدْ شُبِّهتْ فيهِ المنيةُ بالمفترِسِ بجامعِ القَتلِ، فإنَّ الَّذي يُفهَمُ منهُ أَنْ يشبِّه المنيةَ بالوحشِ المفترِسِ، فأَصلُ الكلامِ قَد علقتْكُم المنيَّةُ كالوحشِ ينهشُكُم بمخالِبِهِ، ثمَّ حُذِفَ المشبّهُ بِهِ فصَارَ «قَدْ عَلِقَتْكُمْ مَخَالِبُ الْمَنِيَّةِ»، على تخيُّلِ أنَّ المنيةَ قَد تمثَّلتْ فِي صورةِ وحشٍ قاتِلٍ ذي مخالبَ، ورُمزَ للمشبَّهِ بهِ المحذوفِ بشيءٍ مِنْ لَوازِمِهِ وهُوَ «مخالبُها»، ولمَّا كانَ المشبَّهُ بِهِ فِي هَذِهِ الاستعارةِ محْتجَباً سُمِّيت «استعارة مَكنيةَ»، ومثلُ ذَلكَ يُقَالُ فِي هَذَا البيتِ مِنَ الشِّعرِ:

وَإِذا المَنِيَّةُ أَنشَبَت أَظفارَها ... أَلفَيتَ كُلَّ تَميمَةٍ لا تَنفَعُ[2]

فقد شبَّهَ المنيةَ، بالسَّبُعِ، بجامعِ الاغتيالِ في كلٍّ، واستعارَ السَّبُعَ للمنيةِ وحذفَه، ورمزَ إليه بشيءٍ من لوازمِهِ، وهو الأظفارُ على طريق الاستعارةِ المكنيةِ.

(1) نهج البلاغة،خطب الامام علي عليه السلام ج1، ص 148.

(2) أبو ذُؤَيب الهذلي 27 هـ / 648 م خُوَيلد بن خالد بن محرِّث أبو ذُؤيب من بني هُذَيل بن مُدْرِكَةَ المُضَرِيّ. شاعر فحل، مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، وسكن المدينة واشترك في الغزو والفتوح، وعاش إلى أيام عثمان فخرج في جند عبد الله بن سعد بن أبي السرح إلى إفريقية سنة (26 هـ) غازياً.
فشهد فتح إفريقية وعاد مع عبد الله بن الزبير وجماعة يحملون بشرى الفتح إلى عثمان، فلما كانوا بمصر مات أبو ذؤيب فيها. وقيل مات بإفريقية.
أشهر شعره عينية رثى بها خمسة أبناء له أصيبوا بالطاعون في عام واحد مطلعها:
«أَمِنَ المَنُونِ ورَيْبِهِ تتوجَعُ».
قال البغدادي: هو أشعر هذيل من غير مدافعة. وفد على النبي ﷺ ليلة وفاته، فأدركه وهو مسجّى وشهد دفنه.
له (ديوان أبي ذؤيب).

الاسْتِعـارَةُ مِنَ المجـاز اللّغَويِّ، وهـيَ تَشْبيهٌ حُـذِفَ أحَدُ طَرفَيْـهِ، فَعلاقتها المشابهةُ دائماً، وهي قسمانِ:

1- تَصْريحيّةٌ، وهي ما صُرِّحَ فيها بلَفظِ المشبَّه به.

2- مَكنِيَّةٌ، وهي ما حُذِفَ فيها المشَبَّهُ بِهِ ورُمِزَ لهُ بشيءٍ مِنْ لوازمه.

تمارين

1- عيِّن التصريحيةَ والمكنيةَ من الاستعارات الآتية مع بيان السبب:

قال دعبِل الخُزَاعِيُّ:

لا تَعجَبي يا سَلْمُ مِنْ رَجُلٍ   ضحكَ المشيبُ برأسِهِ فبكى

قال الشاعر:

وإذا السعادةُ لاحظتْك عيونُها   نَمْ فالمخاوِفُ كلُّهُنَّ أَمانُ

قال المتنبي يَصِفُ دخول رسولِ الرّوم على سيف الدولة:

وَأَقْبَلَ يَمشِي في البِساطِ فَما درَى   إلى البَحرِ يَسعَى أَمْ إلى البَدْرِ يرْتَقي

وقال تعالى على لسان زكريا عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾(1).

وقال البحتري:

فَمَا قَاتَلَتْ عَنْهُ المَنَايَا جُنُودُهُ   وَلاَ دَافَعَتْ أمْلاَكُهُ وَذَخَائِرُهُ

2- ضع الأسماء الآتية في جمل بحيث يكون كلٌّ منها استعارة تصريحية مرة، ومكنية أخرى:

الشمس - البلبل - البحر - الأزهار - البرق.

(1) سورة مريم، الآية:4.

بلاغةُ الاستعارةِ[1]:

سبق لك أَنَّ بلاغة التشبيه آتيةٌ من ناحيتين: الأُولى تأْليف أَلفاظه، والثانية ابتكار مشبَّه به بعيد عن الأَذهان، لا يجولُ إلّا في نفس أديبٍ وهب الله له استعدادًا سليماً في تعرُّف وجوه الشَّبه الدقيقة بين الأَشياء، وأودعه قدْرةً على ربْطِ المعاني وتوليدِ بعضها من بعض إلى مدىً بعيدٍ لا يكاد ينتهي.

وسرُّ بلاغة الاستعارة لا يتعدَّى هاتين الناحيتين، فبلاغتها من ناحية اللفظ، أَنَّ تركيبها يدلّ على تناسي التشبيه، ويحمُلُكَ عمدًا على تخيُّل صورة جديدة تُنْسيك رَوْعَتُها ما تضمَّنه الكلام من تشبيه خفيٍّ مستور.

انظر إلى قول البُحْتُرِيِّ في الفتح بن خاقان:

يَسمُو بكَفٍّ، على العافينَ، حانيَةٍ تَهمي، وَطَرْفٍ إلى العَلياءِ طَمّاحِ

ألستَ ترى كفَّه وقد تمثَّلتْ في صورة سحابةٍ هتَّانةٍ تصُبُّ وَبْلَهَا على العافينَ السائلين، وأنَّ هذه الصورة قد تملّكتْ عليك مشاعرك، فأذْهلتْكَ عمّا اختبأ في الكلام من تشبيه؟

وأمَّا بلاغةُ الاستعارة من حيثُ الابتكارُ ورَوْعَة الخيال، وما تحدثه من أثرٍ في نفوس سامعيها، فمجالٌ فسيحٌ للإبداع، وميدانٌ لتسابق المُجِيدين من فُرسان الكلام.

انظر إلى قوله – عزَّ شأْنه – في وصف النار: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾[2]، ترتسمُ أمامك النار في صورة مخلوقٍ

(1) علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص 95 – 98.

(2) سورة الملك، الآية: 8.

ضَخْمٍ بطَّاشٍ مُكْفَهِرٌ الوجه عابسٍ يغلي صدرُه حقدًا وغيظاً.

ثمّ انظر إلى قول أبي العتاهية في تهنئةِ المهديِّ بالخلافة:

أتـتْـهُ الـخِـلاَفَـةُ مُـنْـقـادَةً ... إلَـيْـهِ تُـجَـرِّرُ أذْيـالَـهـا

تجدُ أنَّ الخِلافة غادةٌ هيفاءُ مُدَلَّلَة مَلُولٌ فُتِنَ الناس بها جميعاً، وهي تأبى عليهم وتصدُّ إعراضاً، ولكنها تأتي للمهدي طائعة في دلال وجمال تجرُّ أذيالها ذلاً وخفرًا.

هذه صورة لا شكّ رائعة أبْدع أبو العتاهية في تصويرها، وستبقى حُلوة في الأسماع حبيبةً إلى النفوس ما بقي الزمان».

وانظر إلى قول الشريف الرَّضِيِّ في الودَاع:

نَسرِقُ الدّمعَ في الجُيوبِ حَياءً ... وَبِنَا مَا بِنَا مِنَ الأشـواقِ

هو يسرق الدمع حتّى لا يُوصمَ بالضعف والخَور ساعةَ الوداع، وقد كان يستطيع أن يقول: «نَستُر الدمع في الجيوب حياءً»؛ ولكنّه يريد أن يسمو إلى نهاية المُرْتقَى في سحر البيان، فإنَّ الكلمة «نسْرِقُ» ترسُم في خيالك صورةً لشدّة خوفه أنْ يظهر فيه أثرٌ للضعف، ولمهارته وسرعته في إخفاء الدمع عن عيون الرقباء.

الدرس الثاني عشر

الاستعارة التمثيلية

أهداف الدرس

1- أن يتعرّف الطالب إلى الاستعارة التمثيلية.

2- أن يُحسن استخدام الاستعارة التمثيلية.

الاستعارة التمثيلية:

يقسّم البلاغيون الإستعارة من جهة الإفراد والتركيب إلى قسمين: مفردة، ومركبة.

الاستعارة المفردة: وهي ما كان المستعار فيها لفظاً مفرداً، كما هو الحال في الإستعارة التصريحية والمكنيّة، وقد سبقت الإشارة إليهما.

الاستعارة (المركبة) التمثيلية: وهي ما كان المستعار فيها مثلاً، أو تركيباً، استعمل في غير ما وضع له مع وجود علاقة مشابهة بين المستعار منه والمستعار له. وهذا النوع من الاستعارة فيه روائع التعبير الفني يستخدمه الأديب عن طريق قول مأثور، أو حكمة، أو مثل مضروب.

تأمّل الأمثلة التالية:

قال الله تعالى: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾[1].

قال المتنبي:

إذا رأيتَ نيُوب الليث بارزةً   فلا تظنَّنَّ أنّ الليثَ يبتسمُ

(1) سورة الحشر، الآية: 2.

قال الشاعر:

أُعلّمه الرِّماية كلَّ يومٍ فلما اشتدَّ ساعدُه رماني

روي عن النبيّ ﷺ: «لا يلدغ المؤمن من جُحرٍ مرتين»[1].

جاء في المثل: «لكلِّ جواد كبوة، ولكل صارم نبوة».

بالتأمّل بالأمثلة السابقة، تجد أنّ كلّاً منها يتّصل بمناسبة خاصة بعينها، يرتبط بها ارتباطاً وثيقاً، بحيث يصبح كل مقال ومناسبته، كطرفي التشبيه، لا تتم المشابهة إلا بهما.

وليس من الضروري أن تعرف المناسبة التي يرتبط بها المثال، فمعناه يفرض عليك المناسبة التي يمكنك أن تربطه بها.

ففي الآية الكريمة، في المثال الأول ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ﴾، هؤلاء هم اليهود، الذين أمرهم النبيﷺ بالجلاء عن المدينة، فصاروا يخربون بيوتهم قبل الخروج منها، ولكن هذا التعبير يمكن أن يطلق على كلّ حالة تشبه الحالة التي قيل فيها لأوّل مرة، فمثلاً، ربُّ الأُسرة، الذي يبذّر أمواله فيما لا نفع فيه لأسرته، ويترك ما فيه تربيتهم وسعادتهم؛ تقول عنه ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ﴾، والطالب الذي يهمل دروسه ويشغل نفسه باللّعب، ويهمل القيام بواجباته، تقول عنه: «يخربون بيوتهم بأيديهم» كأنّما صارت العبارة مثلاً يطلق على كل حالة تشبه الحالة التي قيل فيها من قبل، فالتعبير يشبّه حالاً بحال، حال من يهمل دروسه، أو من يترك تدبير شؤون أُسرته، بحال من يخرب بيته بيده، فالتعبير إذاً مجازي، وقد نقل التركيب الدال على المشبّه به للمشبّه على سبيل الاستعارة، والعلاقة بين الطرفين هي المشابهة، ولكنّ أحد الحالين محذوف دائماً، ولأنّها

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج110، ص10.

تمثل حالاً بحالـة سمّيت (الاستعارة تمثيلية)، مع قرينة حالية تفهم من السياق مانعة من إرادة المعنى الأصلي.

وفي المثال الثاني: يقول المتنبي: إذا رأيت الأسد، فاغر الفم، بارز الأنياب، فلا تظنَّ أنه يبتسم لك، فلو ظننت ذلك، فأنت مقضيٌّ عليك، وهذا المعنى تُشبّه بـه حال من يخدعك مظهره عن حقيقة أمـره، وعندئذٍ يكون استعمال اللّيث في مثـل هـذه الحال مجازاً، وقد نقـل التركيب الدال على المشبّه بـه، للمشبّه على سبيـل الاستعارة التمثيلية، والعلاقة بين الطرفين المشابهة، وهي ظهور الأنياب لغير الضحك، والقرينة حالية.

وفـي المثـال الثالـث: يقـول الشاعر: إنّه يعلّـم الرماية بالسهـام لمن يتوقع معاونته والوقوف إلى جانبه، ولكن ما إنْ أتْقَنَ هذا التلميذ الجاحد الرماية حتى وجـه سهامه إلى معلمه، ويقال هذا المعنى حينمـا يريد أن يشبّه حال مَن يأخذ بيـد إنسان ويعلمه ويدرّبه علـى أمور تنفعه في حياته، فلا يلبـث أن ينقلب عليه مستخدمـاً ما تعلّمه فـي الكيد لأُستاذه وولي نعمتـه. والعلاقة بين الطرفين هي المشابهة كما هو واضح.

وانظـر في المثال الرابع: الحديـث الشريف، تجده سار مسار الأمثال، فقد شبهـت به حال من يخطـئ مرة، ويستفيد من هذا الخطأ، فـلا يعود ثانية إليه، بحـال المؤمـن الذي لدغ مرة من ثعبـان مختبئ في حجره فلـم يَعُد يقترب من الجحر أو من غيره ثانية، فتقول لهذا الإنسان: لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين. والحديث لا يريد هذا المعنى بل قصد المعنى المجازي الذي بيّناه.

ولاحظ المثلين المشهورين في المثال الخامس (لكلّ جواد كبوة، ولكلّ صارم نبـوة) يضربان لتصوير حال من يصدر منـه الخطأ بالرغم منه في مجال غير معـروف عنه الخطأ فيه، فهو كالجواد الأصيل الـذي تعوّد الجري والسبق وربما

أتـى عليه يـوم فتعثَّر، أو هو كالسيف القاطع ربما يأتـي عليه يوم فينبو ويكلّ عن القطع.

فـكلٌ مثلٍ هو (استعارة تمثيلية). وذلك لاستعارة الصورة المركبة للمشبّه به ونقلها إلى المشبّه. والقرينة الحالية تمنعك من أنْ تظنَّ أنّ التعبير يعني حقيقةً أنّ الحصان كبا أو أنّ السيف نبا. وتدرك أنّه مثلٌ فقط للحال الذي تشاهده.

القاعدة:

1- الاستعارة التمثيلية: تركيب لغوي من قول مأثور، أو حكمة، أو مثل استعمل في غير ما وضع له، مع وجود علاقة مشابهة بين المستعار منه والمستعار له.

2- لا بـدّ في الاستعارات بأنواعها من وجـود قرينة (حالية أو مقالية) مانعة من إرادة المعنى الحقيقي.

3- ملاحظـة: هنـاك أنواع أُخرى من الاستعـارة أعرضنا عنها؛ لغرض التركيز على أشهرها، وأكثرها نفعاً واستخداماً.

القواعد الرئيسة

1- الاستعــارة التمثيليــة هي ما كان المستعار فيهما مثــلاً، أو تركيباً استعمل في غير ما وضع له مع وجود علاقة مشابهة.

2- لا بــدّ في الاستعارة التمثيلية من وجود قرينة حالية أو مقالية مانعة من إرادة المعنى الحقيقي.

تمـــاريـــن

افرض حالاً، تجْعَلُها مشـبهاً لكُل مـن التراكيب الآتية، ثم أجرِ الاسـتعارة في ثلاثة تراكيب.

1- إنَّك لا تَجْني من الشَّوْكِ العنبَ.

2- يبتغي الصَّيْدَ في عرِّيسَة الأسد[1].

3- أخذ القوْسَ باريها.

4- استسمنت ذا ورم.

5- أنت تضرب في حديد بارد.

6- هو يبني قصوراً بغير أساس.

7- المورد العذب كثير الزحام.

8- اعقلها وتوكل[2].

(1) العريسة: مأوى الأسد.

(2) الضمير في اعقلها يعود على الناقة: أي قيدها ثم توكل على الله، أمّا أنْ تتركها بلا عقال ثم تتوكل على الله في حفظها فلا يجوز.

9- أنت تحصد ا زرعت.

10- ألق دلوك في الدّلاء

بيّن نوع كلّ إستعارة من الإستعارات الآتية وأجرها:

قال المتنبي:

غاض الوفاء فما تلقاهُ في عِدّةٍ   وأَعْوز الصّدقُ في الأخبار والقسمِ[2]

قال البحتري:

إذا ما الجرحُ رُمَّ على فَسادٍ   تبيّن فيه إهمال الطّبيبِ[3]

وقال الشاعر:

متى يبلغُ البنيانُ يوماً تمامَهُ   إذا كنت تبنيهِ وغيرُكَ يهدمُ

وقال تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴾[4].

وَمَنْ مَلك البلاد بغير حرْبٍ   يهونُ علَيْه تسليمُ البلاد

(1) غاض الماء: قل ونقص، والعدة: الوعد. وأعوز: عز وقل.
(2) رم الجرح: أصلح وعولج.
(3) سورة الفاتحة، الآية: 6.
(4) سورة الكهف، الآية: 99.

من شعرائنا: الشاعر العبدي الكوفي

وهو أبو محمَّد سفيان بن مصعب العبدي الكوفي. من شعراء أهل البيت الطاهرين، المتزلِّفين إليهم بولائه وشعره، المقبولين عندهم لصدق نيَّته وانقطاعِهِ إليهم، وقد تضمّن شعره غير يسيرٍ من مناقب مولانا أمير المؤمنين الشَّهيرة، وأكثَرَ من مدحِه ومدحِ ذريَّته الأطيبين وأطاب، وتفجَّع على مصائبهم ورثاهم على ما انتابهم من المحن، ولم نجدْ في غير آلِ الله له شعراً. استنشده الإمام الصادق صلوات الله عليه شعره كما في رواية ثقة الإسلام الشيخ الكليني، بإسناده عن أبي داود المسترقّ عنه قال: «**دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال: قولوا لأم فروة: تجيءُ فتسمع ما صنع بجدها. قال: فجاءت فقعدت خلف الستر ثم قال: فأنشدنا. قال: فقلت: فر وجودي بدمعك المسكوب.**

قال: فصاحت وصحن النساء.

عده شيخ الطايفة في رجاله من أصحاب الإمام الصادق ولم يك صحبته مجرد ألفة معه، أو محض اختلاف إليه، أو أن عصرا واحدا يجمعهما لكنه حظي بزلفة عنده منبعثة عن صميم الود وخالص الولاء، وإيمان لا يشوبه أي شائبة حتى أمر الإمام عليه السلام شيعته بتعليم شعره أولادهم وقال: إنه على دين الله. كما رواه الكشي في رجاله بإسناده عن سماعة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا معشر الشيعة علموا أولادكم شعر العبدي فإنه على دين الله.

وينم عن صدق لهجته، واستقامة طريقته في شعره، وسلامة معانيه عن أي مغمز، أمر الإمام عليه السلام إياه بنظم ما تنوح به النساء في المأتم كما رواه الكشي في رجاله (ص 254). وكان يأخذ الحديث عن الصادق عليه السلام في مناقب العترة

الطاهــرة فينظمه في الحال ثم يعرضه عليه كما رواه ابن عياش في «**مقتضب الأثــر**» عــن أحمد بن زيــاد الهمداني قــال: حدثني علي بن إبراهيــم بن هاشم قــال: حدثنــي أبي عــن الحسن بن علي سجــاده عن أبان بن عمــر ختن آل ميثم قــال: كنت عند أبــي عبد الله عليه السلام فدخل عليه سفيان بن مصعب العبدي قال: جعلنــي الله فداك ما تقــول في قوله تعالى ذكره: وعلــى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم؟! قال: هم الأوصياء من آل محمد الإثني عشر لا يعرف الله إلا من عرفهم وعرفوه. قال: فما الأعراف جعلت فداك ؟ ! قال: كتائب من مسك عليها رســول الله والأوصيــاء يعرفون كلا بسيماهم. فقال سفيــان: أفلا أقول في ذلك شيئا ؟ ! فقال من قصيدة:

أيا ربعهم هل فيك لي اليوم مَربعُ؟! وهلْ لليالٍ كُنَّ لي فيكَ مرجعُ؟!

يقول فيها:

وأنتم ولاةُ الحشرِ والنشرِ والجزاءِ وأنــتـمْ لـيـومِ الـمـفـزعِ الـهـولِ مـفـزعُ
وأنــتـم عـلـى الأعــراف وهــي كتائب مــن الـمـسـك ريّــاهــا بـكـم يـتـضـوّعُ
ثـمـانـيـةٌ بـالـعـرش إذ يـحـمـلونه ومن بعدهم في الأرض هــادون أربعُ

إن الواقـف علــى شعر شاعرنــا (العبدي) وما فيــه من الجــودة. والجزالة. والسهولة. والعذوبــة. والفخامة. والحلاوة. والمتانة. يشهــد بنبوغه في الشعر، وتضلعه في فنونه، ويعترف له بالتقدم والبروز[1].

(1) الشيخ الأميني، الغدير، ج2، ص 294، الناشر دار الكتاب العربي - بيروت، لاد، 1977م، ترجمة العبدي الكوفي.

الدرس الثالث عشر

المجاز المرسل

أهداف الدرس

1- أن يتعرّف الطالب إلى المجاز المرسل.

2- أن يدرك علاقات المجاز المرسل.

3- أن يحسن استخدام المجاز المرسل.

المجازُ المرسلُ:

عرفْنَا فيما مضَى أنَّ المجازَ اللّغويّ، إمّا أن تكون علاقته المشابهة فهو الاستعارة، وإمّا أن تكون علاقته غير المشابهة فهو المجاز:

يقولُ المتنبّي:

لَـهُ أيادٍ إلَيَّ سابِقَةٌ   أُعَدُّ مِنها وَلا أُعَدِّدُها

انظرْ إلى الكلمةِ «أياد» فِي قولِ المتنبّي، أتَظُنُّ أنَّه أرادَ بها الأياديَ الحقيقيّةَ؟ لَا. إنَّه يُريدُ بِهَا النِّعَمَ، فكَلِمَةُ أياد هنَا مجازٌ، ولكنْ هلْ تَرَى بَينَ الأيدي والنِّعَمِ مشابهةً؟ لَا. فَمَا العلاقَةُ إذاً، بَعدَ أنْ عَرَفْتَ فِيمَا سَبَقَ مِنَ الدُّروسِ أنَّ لكلِّ مجازٍ علاقةً، وأنَّ العربيَّ لا يُرسل كلمةً في غيرِ معنَاهَا إلَّا بَعْدَ وجودِ صلةٍ وعلاقةٍ بَينَ المعنيينِ؟ تأمَّلْ تجدْ أنَّ اليَدَ الحقيقيّةَ هِيَ الَّتي تَمنحُ النِّعَمَ، فهيَ سببٌ فِيهَا، فالعلاقة – إذاً– السببيةُ، وهَذَا كَثيرٌ شائِعٌ فِي لُغَةِ العَرَبِ[1].

1- يقولُ اللهُ – تَعَالَى-: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴾[2].

مَا الَّذي يُنزِّلُهُ – تَعَالَى– مِنَ السَّماءِ عَلَى عِبَادِهِ حقيقةً؟ الرزقُ أمِ الغيثُ؟ ومَا

(1) علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص 97.

(2) سورة غافر، الآية: 13.

العَلَاقَةُ بَيْنَ لَفْظِ «رزقاً» المذكورِ فِي الآيةِ والغيث؟ نحنُ نَعْلمُ أنَّ السَّماءَ لَا تُمطرُ ذهبـاً ولَا فضَّةً، ولَا تُمطِـرُ طَعَاماً، ونعلمُ بأنَّ اللّهَ يُكرِمُ عبـادَهُ بإنزالِ الغيثِ مِنَ السَّمــاءِ، فالمقصُودُ -إذن- مِنْ لفظِ «رزقاً» هُوَ المَاءُ المنهمِرُ مِنَ السَّماءِ. ولمَّا كانَ الـرِّزقُ مسبَّباً عنِ الغيـثِ، بِمعنَى أنَّ الغَيثَ سببٌ فِي الـرزقِ، كانتِ العلاقةُ بينهُمَـا علاقةَ المسبَّـبِ بالسَّببِ، والمجازُ الَّـذي يُذكَرُ فيهِ المسبَّـبُ ليدلَّ عَلَى السَّبَبِ هوَ مَجَازٌ مُرسَلٌ علاقتُهُ المسَبَّبِيَّةُ.

2- يقولُ - تَعَالَى-: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾[1].

إنَّ كلمَةَ «رقبة» فِي الآيةِ يُرادُ بِهَا الإنسَانُ، ومِنَ السَّهل أنْ نَفهَمَ أنَّ استعمالَهَا فِي الآيةِ مجازيٌّ، فإنَّه لَا يمكنُ أنْ يكونَ المقصودُ تحريرَ جزءٍ مِنَ الإنسانِ وتركَ الباقِـي، وليسَ بينَهَا وبَيْنَ الإنسانِ أيُّ مشابَهَةٍ، فلَا بـدَّ مِنْ وجُودِ علاقةٍ أخرَى، فَمَـا هِيَ؟ إنَّ الرَّقبةَ جـزءٌ مِنْ جَسَدِ الإنسانِ ولَهَا شأنٌ كبيـرٌ فيهِ، فأُطلقَ الجزءُ وأُرِيدَ الكلُّ، ولِذَلكَ يُقَالُ: إنَّ العلاقةَ هنَا الجزئيَّةُ.

ومثـلُ الآيـةِ الكريمةِ فِي الدَّلالةِ عَلَـى العلاقَةِ الجزئيَّة بَيْـنَ المَعنَى الحقيقيِّ والمَعنَـى المجازيِّ قولُ الشاعرِ[2] يَتَحدَّثُ عَـنْ شَخصٍ أسْدَى لهُ الشَّاعرُ معروفاً فقابَلَ معروفَهُ بالجحودِ والعدَاءِ:

أُعَـلِّـمُـه الـرمـايَـةَ كُـلَّ يَـوم ... فَـلَـمّـا اشـتـدَّ سـاعِـدهُ رَماني[3]
وَكَـــمْ عـلّـمـتُـه نـظـمَ الـقـوافـيْ ... فَـلـمـا قـــالَ قـافـيــةً هـجـانـي

---

(1) سورة النساء، الآية: 92.

(2) مالـك بـن فهـم الأزدي، 480 ق. هـ - 157 شاعر، أول من مُلِّكَ على العرب بأرض الحيرة، أصله من قحطـان، هاجر من اليمن بعد سيل العَرِم في جماعة من قومه، فنزل بالعراق وابتنى بستاناً في موقع الحيرة وامتدت أيدي رجاله بحكم تلك الأنحاء فلم يكن عليها سلطـان غيـر سلطانه. وعاش فيهـا نحو عشرين سنة. قتله ابنه سليمة بن مالك غِيلة، و قيل خطأً (وكان مالكا أراد اختبار يقظة ابنه فـي أثناء الحراسة ومقدار احتـرازه في الظلام، في ليلة نوبته، فرماه سليمة خطأ، وهو يظنه عدوّاً، فخاف أن يقتله أخوه ممن جزاء مـا فعل، فرحل إلى فارس.) ومن أولاده جَذِيمة الوَضَّاح (نحو 366 ق. هـ، 268م) المعروف بالأبرش ثالث ملوك الدولة التنوخية في العراق، وعمرو بن مالك بن فهم، وعوف بن مالك بن فهم، وهناءة بن مالك بن فهم.

(3) استد الشيء: أي استقام.

وكمَا نَعلـمُ أنَّ القافِيَةَ تُطْلقُ عَلَى الجزءِ الأخيرِ مِنَ بيتِ الشِّعرِ، ومِنَ البَديهيّ أنَّ الشَّاعِرَ لمْ يُرِدْ هَذَا المَعنَى لِلَفظةِ القَافِيَةِ، إذ إنَّ نَظْمَ الشِّعرِ ومَا يُعبِّرُ عَنهُ مِن هِجَـاءِ أو غيرِهِ، لَا يكونُ بالقافيةِ وحدَهَا، بل بالبيتِ أو أكثرَ مِنَ الشِّعرِ، فالشَّاعرُ أَرَادَ هنَـا بلفظةِ «قافيةَ» بيتاً أو أكثرَ مِـنَ الشَّعرِ، معْ أنَّ لفظةَ «قافيةَ» لَا تَدُلُّ إلَّا عَلَـى الجزءِ الأخيرِ مِنْهُ، إذاً، فإنَّ العَلاَقَةَ بيْـنَ اللَّفظِ المذكورِ «قافيةَ» والمَعنَى المرادِ «الشِّعْر» هِيَ علاقةُ الجـزءِ بالكلِّ، والمجازُ الَّذي يُذكَرُ فيهِ الجزءُ ليدلَّنَا عَلَى الكلِّ هُوَ مَجَازٌ مرسلٌ علاقَتُهُ الجزئيّةُ.

3- يقـولُ - تَعَالَـى-: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا﴾[1].

نَنْظُـرُ فِي قولِهِ - تَعَالَى-، فَهَل مَـا يُوضَعُ فِي الأذُنِ ليَسُدَّهَا هُوَ الإصبعُ كلُّهَا؟ لا؛ لأنَّ الإنسَـانَ لَا يَستطيـعُ أنْ يَضَـعَ إصبعَهُ كلَّهَا فِي أُذنِهِ، بَـلْ بعضاً منهَا وهِيَ الأَنَامِـلُ، ولِهَـذَا نقـولُ: إنَّ الأصابعَ فِـي الآيةِ الكريمـةِ أُطلقتْ وأُريـدَ أطرافُهَا، والأطرافُ جزءٌ والأصابِعُ كلٌّ، والمَجَازُ الَّذي يُذكَرُ فيهِ الكلُّ ليدلَّ عَلَى الجزءِ هوَ مجـازٌ مرسـلٌ عَلاقتُهُ الكليَّة. ومثلُ الآيةِ الكريمةِ آياتٌ أخـرَى نَذْكُرُ منْهَا قولَه - تَعَالَـى-: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾[2] حيثُ أَطلقَ الكُلَّ «**الأيدي**» وَأَرَادَ الجزءَ «**الأكفَّ**»[3].

4- قـالَ اللهُ - تَعَالَـى-: ﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾[4].

(1) سورة نوح، الآية: 7.

(2) سورة المائدة، الآية: 38.

(3) ولهذه العلاقة شواهد في الشعر العربي كقول احمد شوقي في قصيدة بعنوان (نكبة دمشق) يتحدث فيها عن الكفاح ضد المستعمرين:

بـلادٌ مـاتَ فِتْيَتُهـا لِتَحْيـى وزالـوا دونَ قومِهِـم ليبقـوا

فمن المؤكد أن الشاعر لم يرد أن الموت قد اصاب الفتية كلّهم، وانما عمّم الموت عليهم ليصور مبالغتهم في طلب الموت دفعا للاستعمار، فذكر «الفتية» كلهم قاصدا بذلك بعضهم بقرينة معنوية هي استحالة موت الفتية جميعهم، فالعلاقة بين اللفظ المذكور «فتيتها» وبين ما أراده الشاعر «بعضهم» هو علاقة الكل بالجزء. والمجاز الذي يذكر فيه الكل ليدل على الجزء هو مجاز مرسل علاقته الكلية.

(4) سورة النساء، الآية: 2.

اليَتَامَى هُمُ الَّذينَ مَاتَ آباؤهُم وهُم صغَارٌ، وقدِ اختصَّ هَذَا الاسمُ بمَنْ لمْ يبلغْ منْهُم مبلغَ الرِّجالِ، فهلْ يُعقلُ أنَّ اللهَ يأمُرُ أنْ يُعطَى هؤلاءِ أموالَ آبائِهِم وهُمْ مَا زَالُوا بحاجةٍ إلَى كَافِلٍ يكفلُهم وقيِّم يقومُ بأمورِهم؟، أبداً، فالآيةُ تأمُرُ بإعطاءِ الأموالِ إلى مَنْ وصَلوا سِنَّ البلوغ والرُّشدِ منهُم بَعدَ أنْ كانُوا يَتامَى، فكلمةُ «اليتامى» هنَا مجازٌ؛ لأنَّها استُعمِلتْ فِي البالغينَ الرَّاشِدينَ، والعَلاقةُ «اعتبار ما كانَ» وهِيَ إحدَى علاقاتِ المجازِ المرسلِ.

5- قالَ - تَعالَى - عَنْ لسَانِ نوحٍ عليه السلام: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾(1).

فَهَلْ قَصَدَ نوحٌ عليه السلام أنَّ أطفالَ قومِهِ يولدُونَ فجَّاراً وكفَّاراً منذُ السَّاعةِ الأُولى مِنْ ولادتِهِم، أم أنَّ فجورَهُم سيكونُ بعدَ بلوغِهم سنَّ الرُّشدِ؟ ومَا الاعتبارُ الَّذي أُقيمتْ بِهِ العلاقةُ بَينَ الفاجرِ الكافرِ و المولودِ؟ يولدُ المَولودُ عَلَى الفطرةِ بريئاً لا ذنبَ لَهُ ولَا إثْمَ عليهِ، ولكنَّ مَنْ يحيطونَ بِهِ يأخذونَهُ نَحوَ الإيمانِ أو يدفعونَهُ نَحوَ الكفرِ، ولمَّا كانَ الفجَّارُ والكفَّارُ هُم أكثرُ المحيطين بمواليدِ قومِ نوحٍ، عَرَفَ نُوحٌ عليه السلام أنَّ هؤلاءِ الأطفالَ سيكونونَ بَعدَ بلوغِهِم سنَّ الرُّشدِ صورةً لِمَن يحيطونَ بِهِم، فدَعَا نوحٌ عليهِم جميعاً. وقَدْ ذَكَرَ اللهُ -عزَّ وجلَّ- عَلَى لسَانِ نوحٍ لفظَي «فاجرًا كفَّارا» قاصِداً بِهِمَا المولودَ باعتبارِ مَا سَيَكونُ عليهِ، وهَذَا مجازٌ مرسلٌ علاقتُهُ «اعتبارُ مَا سَيَكُونُ».

6- قال الله تعالى: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾(2).

(1) سورة نوح، الآيتان: 26-27.

(2) سورة العلق، الآيات: 15-17.

هَـذَا وعيدٌ مِـنَ اللهِ - تَعَالَى -، أيْ فليدعُ أهلَ نادِيـهِ ومجلسِهِ، يَعنِي عشيرتَهُ، فلينتصِـرْ بِهِـم إذَا حلَّ عقابُ اللهِ بِـهِ، والأمرُ - هنَا - للسُّخريَـةِ والاستخفافِ، فإنَّنَا نَعرِفُ أنَّ مَعنَى النادِي مكانُ الاجتماعِ، ولكنَّ المقصودَ بِهِ فِي الآيةِ الكريمةِ مَـنْ فِي هَـذَا المكانِ مِنْ عشيرتِـهِ ونُصرائِهِ، فهُوَ مجازٌ أُطلقَ فيـهِ المحلُّ وأُريدَ الحالُّ، فالعلاقةُ «المحلِّيَّةُ»، وهِيَ إحدَى عَلاقاتِ المَجَازِ المُرسَلِ.

7- يقـول الله عـزَّ وجـلَّ: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[1].

بِخِـلافِ العَلاقَةِ فِـي الحَالَةِ السَّابِقَةِ تَأتِي هَذِهِ الآيَـةُ الكريمَةُ، فالرَّحمَةُ أمرٌ معنـويٌّ ومَعنَى مِنَ المعانِي لَا يُحَلُّ فيهِ، وإنَّمَا يُحَلُّ فِي مَكَانِهِ، فاستعمالُهُ - هُنَا - هُـوَ استعمالٌ مجازيٌّ، قَدْ أُطلقَ فيهِ الحالُّ وأُرِيدَ المَحَـلُّ، وإذَا ذُكِرَ الحالُّ وأُرِيدَ المَحَلُّ، فالعلاقَةُ «حالّيَة»، وهِيَ كَذَلِكَ إِحْدَى هَذِهِ العَلاقَاتِ.

استنتاج: مِـنْ خِلالِ الأمثلَـةِ السَّابِقَةِ رأيْنَـا أنَّ كلَّ مَجَازٍ مِمَّا سَبَـقَ كانَت لَهُ علاقـةٌ غيرُ المشابهةِ مَـع قرينةٍ مانعةٍ مِنْ إرادةِ المَعنَى الأصليِّ، وَهَذَا النَّوعُ مِنَ المَجَازِ اللُّغَـوِيّ يُسمَّى «المجازُ المرسلُ». وقَد ذَكَرنَا بَعْضَ العَلاقَاتِ وأعرَضنَا عَن ذِكرِ بعضِهَا الآخَرِ الذي يُمكنُ إرجَاعُه إلَى مَا مَرَّ ذِكرُهُ.

(1) سورة آل عمران، الآية: 107.

القواعد الرئيسة

1- المجازُ المُرسَلُ: كلمةٌ استُعْمِلَتْ في غَيْرِ مَعناها الأَصْليِّ لعلاقةٍ غيرِ المشابهةِ مَعَ قرينةٍ مانعةٍ من إرادةِ المعنَى الأصْليِّ.

2- مِنْ عَلاقات المجاز المُرْسَل: السَّببيَّةُ - المسَبَّبيَّةُ - الجُزئيةُ - الكليَّةُ - اعْتبَارُ ما كانَ - اعتبارُ ما يكونُ - المَحَليَّةُ - الحاليَّةُ.

تمارين

بيِّنْ كلَّ مجازٍ مرسَلٍ وعلاقتَه فيما يأتي:

قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾(1).

قال تعالى في شأن موسى عليه السلام: ﴿.. فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ..﴾(2).

وقال تعالى: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾(3).

وقال تعالى عن المنافقين: ﴿.. يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ..﴾(4).

قال تعالى: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ..﴾(5).

قال تعالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾(6).

(1) سورة آل عمران، الآية: 107.
(2) سورة طه، الآية: 40.
(3) سورة الصافات، الآية: 101.
(4) سورة آل عمران، الآية: 167.
(5) سورة يوسف، الآية: 36.
(6) سورة يوسف، الآية: 82.

قال ابن الزَّيات في رثاءِ زوْجه:

أَلاَ مـنْ رأى الـطِّـفْـلَ الـمُـفـارقَ أمَّـه　　بَـعِـيـدَ الـكَـرى عَـيْـنَـاهُ رويـت

ويُنسبُ إلى السموأل:

تسِيلُ على حدِّ السُّيوفِ نُفوسُنَا　　وَلَيْسَ على غَيْر السُّيُوف تَسيلُ

وقال الشاعر:

أَلِـمَّـا علـى مَـعْـنٍ وَقـولاَ لِـقـبـرهِ　　سَقتْك الـغـواديَ مـربعاً ثُـمَّ مَرْبعا

وقال الشاعر:

لا أركـبُ الـبـحـرَ أخـشـى　　عـلـيَّ مـنـهُ الـمـعـاطـبْ
طـيـنٌ أنـا وَهْـوَ مـاءٌ　　والـطـيـنُ فـي الـمـاء ذائـبْ

وقال آخر:

ومـا مِـنْ يـدٍ إلا يَـدُ اللهِ فَـوْقَـهـا　　ولاَ ظَـالـم إلاَّ سـيُبْلى بـأَظْـلَـمِ

وقال المتنبي في ذم كافور:

إنِّـي نَـزَلْـتُ بـكَـذَّابِـيـنَ، ضَـيْـفُـهُـمُ　　عَـنِ الـقِـرَى وَعَـنِ الـتـرْحـالِ مـحْـدُودُ

وقال أيضاً:

رَأيتُكَ محْضَ الحِلْمِ في محْضِ قُدرَةٍ　　وَلَوْ شئتَ كانَ الحِلمُ منكَ المُهنَّدَا

الشاعر العبدي الكوفي

الشريف وهو أبو محمَّد سفيان بن مصعب العبدي الكوفي. من شعراء أهل البيت الطاهرين عليهم السلام، المتزلِّفين إليهم بولائه وشعره، المقبولين عندهم لصدق نيَّته وانقطاعِهِ إليهم، وقد تضمّن شعره غير يسيرٍ من مناقب مولانا أمير المؤمنين عليه السلام الشَّهيرة، وأكثرَ من مدحِه ومدحِ ذريَّته الأطيبين وأطاب، وتفجَّع على مصائبهم ورثاهم على ما انتابهم من المحن، ولم نجدْ في غير آلِ الله له شعراً.

عدّه شيخ الطائفة في رجاله من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام ولم يك صحبته مجرّد ألفة معه، أو محض اختلاف إليه، أو أن عصراً واحداً يجمعهما لكنه حظي بزلفة عنده منبعثة عن صميم الود وخالص الولاء، وإيمان لا يشوبه أي شائبة حتى أمر الإمام عليه السلام شيعته بتعليم شعره أولادهم وقال: إنّه على دين الله. كما رواه الكشي في رجاله بإسناده عن سماعة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا معشر الشيعة علّموا أولادكم شعر العبدي فإنّه على دين الله.

وينم عن صدق لهجته، واستقامة طريقته في شعره، وسلامة معانيه عن أي مغمز، أمر الإمام عليه السلام إياه بنظم ما تنوح به النساء في المأتم كما رواه الكشي في رجاله (ص 254). وكان يأخذ الحديث عن الصادق عليه السلام في مناقب العترة الطاهرة فينظمه في الحال ثم يعرضه عليه كما رواه ابن عياش في «مقتضب الأثر» عن أحمد بن زياد الهمداني قال: حدثني علي بن إبراهيم بن هاشم قال: حدثني أبي عن الحسن بن علي سجاده عن أبان بن عمر ختن آل ميثم قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فدخل عليه سفيان بن مصعب العبدي قال:

جعلنـي الله فداك ما تقـول في قوله تعالى ذكره: وعلـى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم؟! قال: هم الأوصياء من آل محمد الإثني عشر لا يعرف الله إلا من عرفهم وعرفوه. قال: فما الأعراف جعلت فداك ؟! قال: كتائب من مسك عليها رسـول الله والأوصيـاء يعرفون كلا بسيماهم. فقال سفيـان: أفلا أقول في ذلك شيئا ؟! فقال من قصيدة:

أيا ربعهم هل فيك لي اليوم مَربعُ؟! وهـلْ لليـالٍ كُـنَّ لـي فيـكَ مـرجـعُ؟!

يقول فيها:

وأنتم ولاةُ الحشرِ والنشرِ والجزاءِ وأنـتـمْ لـيـومِ الـمـفـزعِ الـهـولِ مفـزعُ
وأنـتـم علـى الأعــراف وهـي كثائب مـن الـمـسـك ريّـاهـا بكـم يتـضـوّعُ
ثـمـانـيـةً بـالـعـرش إذ يـحـمـلـونـه ومن بعدهم في الأرض هـادون أربعُ

إن الواقـف علـى شعر شاعرنـا (العبدي) وما فيـه من الجـودة. والجزالة. والسهولـة. والعذوبة. والفخامة. والحلاوة. والمتانة. يشهد بنبوغه في الشعر، و تضلعه في فنونه، ويعترف له بالتقدم والبروز[1].

(1) الغدير، الأميني، ج2، ص300-301.

الدرس الرابع عشر

المجازُ العقليّ

أهداف الدرس

1- أن يتعرّف الطالب إلى المجاز العقلي.

2- أن يدرك علاقات المجاز العقلي.

3- أن يكتسب مهارة استخدام المجاز العقلي.

المجاز العقليّ[1]:

المجـازُ العَقلـيُّ أسلُوبٌ مِنْ أَسَاليبِ اللُّغَةِ العَرَبيَّةِ، يُعَبِّـرُ عَنْ سَعَةِ هَذِهِ اللُّغَةِ، وقُدرتِهَا عَلَى تَجَاوزِ حدودِ الحقيقةِ إِلَى الخَيَالِ. وقَـدْ قَالَ فِيهِ عبدُ القاهِرِ الجرجانـيّ[2]: «هَـذَا الضَّـربُ مِنَ المَجَـازِ عَلَى حدَّتِـه، كَنْزٌ مِنْ كنُـوزِ البَلاغَة، ومـادةُ الشَّـاعرِ المفلـقِ، والكاتـبِ البَليـغِ فِي الإبداعِ والإحسَـانِ والاتّسـاعِ فِي طَريقِ البَيَانِ»[3].

والمَجَازُ العقليُّ غير اللغويّ، لأن الأخير يُستعمل فيه اللفظ في غير ما وُضع لـه ويـراد غير ما وُضع له، بينما يُستعمل اللفظ فـي المجاز العقليّ فيما وُضع له.

فلـو قلنـا «بنى وزيـر التعليم العالـي جامعـةً» استعملنا فعل بنـى في معناه، وكذلـك كلمة الوزيـر، وأردنا منهـا دلالتهمـا الموضوعة، ولكننـا سلكنا مسلك مجـاز آخر هو الموسوم بالمجاز العقلي والذي يكون فيه المجاز في إسناد وبناء

(1) ويسمّيه بعض البلاغيين بالمجاز الحُكْمي او الاسناد المجازي.
(2) عبـد القاهـر بن عبـد الرحمن بن محمد الجرجاني، أبو بكر. 471 هـ - 1078 م واضع أصول البلاغة، كان مـن أئمة اللغة، من أهل جرجان (بين طبرستان وخراسان) له شعر رقيق. من كتبه (أسرار البلاغة- ط)، و(دلائل الإعجاز- ط)، و(الجمل- خ) في النحو، و(التتمـة- خ) نحـو، و(المغني) في شرح الإيضاح، ثلاثون جزءاً، اختصره في شـرح آخر سماه (المقتصد- خ) الجزء الثاني منه، و(إعجاز القرآن- ط)، و(العمدة) في تصريف الأفعال، و(العوامل المائة- ط).
(3) دلائل الاعجاز ص 228

الجامعة إلى الوزير، أي أنّنا ادّعينا في العقل أنّه الوزير؛ لأنّه الآمر بالبناء مسبِّبُهُ هو الباني مع أنه ليس الباني حقيقة. وهذا يختلف عما لو استعملنا لفظ السبب في المُسَبّب وأردنا منه المُسَبِّب كما في المجاز اللغوي المرسل، حيث لا يعود الوزير مستعملاً في الموضوع له.

والعقل هو القرينة على هذا المجاز العقلي وهذا الادعاء والتنزيل، وهذا المجاز في الإسناد؛ لأن الوزير يستحيل في العادة أن يبنيَ جامعةً وحده، بل هو لا يشارك في بنائها في العادة إلا رمزياً بوضع حجر الأساس، بل رجاله من مهندسين وعُمال هم الذين قاموا بهذا العمل، وإسناد البناء إليه مجاز عقليّ وإسناد للفعل إلى غير صاحبه. ولِهَذَا النَّوعِ مِنَ المَجَازِ علاقاتٌ مختلفةٌ باختلافِ الإسنادِ سنوضِّحُهَا مِنْ خِلَالِ الأمثِلَةِ الآتيةِ:

1- علاقة السببية: يقولُ اللهُ سبحانَهُ حِكَايَةً عَنْ فِرعَونَ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ﴾[1].

فِي هَذِهِ الآيةِ نجدُ يُشبه في تحليله المثل السابق؛ فالفعلُ «ابنِ» أسنِدَ إلَى غيرِ فاعِلِهِ الحقيقيّ، فإنَّ هَامَانَ - وهُوَ الوزيرُ والمستشارُ - لَا يَقومُ بِفعلِ البِنَاءِ بنفسِهِ، وإنَّمَا مَنْ يَقُومُ بالفعلِ هُمُ العمَّالُ والبنَّاؤونَ، وهُوَ مَنْ يُعطِي الأَمرَ، ولكنْ لمَّا كانَ هَذَا الوزيرُ سَبَباً فِي بِنَاءِ الصَّرحِ، أُسنِدَ الفعلُ إليهِ، فعلاقَةُ هَامَانَ بالبِنَاءِ علاقَةٌ سَبَبِيَّةٌ، ولأنَّ الفِعلَ -هنَا- أُسنِدَ إِلَى سَبَبِهِ، وَهَذَا الإِسنَادُ غيرُ حقيقيّ؛ لأنَّ الإسنَادَ الحقيقيّ هُوَ إسنَادُ الفِعْلِ إلَى فَاعِلِهِ الحقيقيّ؛ فالإسنادُ هَذَا مَجَازِيٌّ، ويُسَمَّى بـ «**المجاز العقلي**».

(1) سورة غافر، الآية: 36.

2- علاقة الفاعلية: يقولُ الشَّاعِرُ[1]:

سَتُبدي لَكَ الأَيّامُ ما كُنتَ جاهِلاً ... وَيَأتيكَ بِالأَخبارِ مَن لَم تُزَوِّدِ

فِي هَذَا البيتِ إسنادُ الإبداءِ إلَى الأيَّامِ، ونَحنُ نَعلمُ أنَّه لَا يُمكنُ للأيَّامِ أنْ تُبدِيَ وتُظهِرَ، وإنَّمَا هِيَ زمانٌ لِحُصولِ الإبْدَاءِ، وقَد أرادَ الشَّاعرُ حقيقةً أنْ يقولَ لمُخَاطَبِهِ: إنَّ حَوادِثَ الأيَّامِ ستُبدِي لَكَ، فإسنادُهُ الإبْدَاءَ إلَى الأيَّامِ، مجازٌ عقليٌّ، وبِمَا أنَّ الأيَّامَ جزءٌ مِنَ الزَّمَانِ، ومَحَلٌّ لِوقُوعِ الإبداءِ، تكونُ العلاقَةُ علاقَةً «زمانيّة».

ومثلُ هَذَا لَو قُلنَا: «نهارُ الزَّاهد صائمٌ وليلُهُ قائمٌ»، فإنَّ الصَّومَ أُسنِدَ إلَى النَّهارِ، والنّهارُ لَا يصومُ، وإنَّمَا هُوَ زمانٌ للصِّيامِ، وأُسنِدَ القِيَامُ إلَى اللَّيلِ، واللَّيلُ لَا يَقُومُ، وإنما يقامُ فِيهِ، ونُلاحِظُ فِي هَذَا المثالِ أنَّه لَا يُوجَدُ فعلٌ يُسنَدُ إليهِ وإنَّمَا اسمُ فاعلٍ، وهَذَا جائزٌ؛ لأنَّ اسمَ الفاعِلِ شبيهُ الفِعلِ فِي قُوّتِهِ وَكَذَلِكَ اسمُ المفعولِ والمَصْدَرِ.

3- علاقة المكانية: يقولُ الحَيصَ بِيص[2]:

مَلَكنا فكانَ العَفوُ منّا سَجِيَّةً ... فلمَّا مَلَكتُمْ سالَ بالدَّمِ أبْطَحُ[3]

لَقَدْ أُسْنِدَ سَيَلانُ الدم إلَى أبطحَ، أيْ إلَى غيرِ فَاعِلِهِ لأنَّ الأبطَحَ مكانُ سَيَلانِ الدَّمِ وهُوَ لَا يَسِيلُ، وإنَّمَا يَسِيلُ مَا فيهِ وهُوَ الدَّمُ، ولمَّا كانَ الإسنادُ إلَى مَكانِ جَرَيانِ الدَّمِ صَارَ الإسنادُ مجَازِيًّا عَلاقَتَه «المكانية».

(1) طَرَفَةَ بن العبد بن سفيان بن سعد، أبو عمرو، البكري الوائلي. 86 - 60 ق. هـ/ 539 - 564 م شاعرٌ جاهليٌّ من الطبقة الأولى، كان هجاءً غير فاحش القول، تفيض الحكمة على لسانه في أكثر شعره، ولد في بادية البحرين وتنقّل في بقاع نجد. اتصل بالملك عمرو بن هند فجعله في ندمائه، ثم أرسله بكتاب إلى المكعبر عامله على البحرين وعُمان يأمره فيه بقتله، لأبيات بلغ الملك أن طرفة هجاه بها، فقتله المكعبر شاباً.

(2) سعد بن محمد بن سعد بن الصيفي التميمي أبو الفوارس. 492 - 574 هـ / 1098 - 1178 م شاعر مشهور من أهل بغداد كان يلقب بأبي الفوارس نشأ فقيهاً وغلب عليه الأدب والشعر وكان يلبس زي أمراء البادية ويتقلد سيفاً ولا ينطق بغير العربية الفصحى. وتوفي ببغداد عن 82عاماً. له (ديوان شعر -ط) الجزء الأول منه ببغداد ورسائل أورد ابن أبي أصيبعة نتفاً منه.

(3) الابطح: مسيل واسع فيه دقاق الحصى.

4- علاقة المصدرية: يقولُ أبُو فِراسٍ الحَمْدَانِيُّ:

سَيَذكُرُني قَومي إِذا جَدَّ جِدُّهُم وَفي اللَيلَةِ الظَلماءِ يُفتَقَدُ البَدرُ

فقد أسندَ الجِدَّ إلى الجِدّ، أي الاجتهادِ، وهو ليسَ بفاعلٍ له، بل فاعلُه الجادُّ - فأصله جدَّ الجادُّ جدًّا، أي اجتهدَ اجتهاداً، فحذفَ الفاعلَ الأصليَّ وهو الجادُّ، وأسندَ الفعلَ إلى الجِدِّ وهو مصدرُ الفاعلِ الحقيقيّ؛ ولِهَذَا كانت علاقة الإسنادَ المجازيَّ هُنَا هي «المصدريةُ».

5- علاقة الفاعلية: يقولُ اللهُ - تَعَالَى-: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾[1].

الحِجَابُ فِي أَصلِهِ سَاتِرٌ، وليسَ مَستُوراً، وهنا نقولُ: أُسنِدَ الوَصْفُ المبنيُّ للمَفعولِ إلَى الفَاعِلِ، وكان حقّه أن يُسْنَدَ الى المفعول: لأن اسم المفعول يطلب نائب فاعل أي: مفعولاً، لا فاعلاً، فإذا أُسند إلى الفاعل كانَ هَذَا مَجَازاً عَقليًّاً عَلاقَتُهُ «الفاعليَّةُ». ومثلُ الآيةِ المبارَكَةِ قولُهُ - تَعَالَى-: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾[2].

6- علاقة المفعولية: يقول الله -تعالى-: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾[3].

الحرمُ لَا يكونُ آمِنَاً؛ لأنَّ الإحسَاسَ بالأمنِ مِنْ صفاتِ الأحياءِ، وإنَّمَا هُوَ مأمونٌ فيه، فاسمُ الفَاعِلِ - هنَا - أسنِدَ إلَى المفعولِ، وهَذَا مَجَازٌ عَقليٌّ عَلَاقَتُهُ «المفعوليَّةُ»[4].

(1) سورة الإسراء، الآية: 45.

(2) سورة مريم، الآية:61.

(3) سورة القصص، الآية: 57.

(4) الفعلُ المبنيُّ للفاعلِ واسم الفاعلِ إذا أُسندا إلى المفعولِ فالعلاقةُ «المفعوليةُ»، والفعلُ المبنيُّ للمجهولِ واسمُ المفعولِ إذ أُسندا إلى الفاعلِ فالعلاقةُ الفاعليةَ، واسمُ المفعولِ المستعمَلُ في موضعِ اسمِ الفاعلِ مجازٌ، علاقتُه «المفعوليةُ»، واسمُ الفاعل المستعمل في موضع اسمِ المفعولِ مجازٌ، علاقتُه «الفاعليةُ».

القواعد الرئيسة

1- المجاز العقلي هو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة الإسناد الحقيقي.

2- الإسناد المجازي يكون إلى سبب الفعل أو زمانه أو مكانه أو مصدره أو بإسناد المبني للفاعل إلى المفعول أو المبني للمفعول إلى الفاعل.

تمارين

وضّح المجاز العقلي فيما يأتي وبين علاقته وقرينته:

- قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾(1)

كان المنزلُ عامراً وكانت حجرُهُ مضيئةً

عظمت عظمتُه وصالتْ صولتُه

لقد لمتِنَا يا أمَّ غيلانَ فِي السُّرَى ونمتِ وما لَيْلُ المَطِيِّ بنائِمِ

ضربَ الدهرُ بينهم وفرَّق شملَهم

والهمُّ يَخترِمُ الجسيمَ نحافةً ويُشيبُ ناصيةَ الصبيِّ ويُهرِمُ

فبتُّ كأنّي ساوَرَتنِي ضئيلةٌ مِنَ الرُّقشِ فِي أنيابِها السُّمُّ ناقعُ

- وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ﴾(2).

(1) سورة القصص، الآية: 57.

(2) سورة القصص، الآية: 4.

اعطِ مثالاً في كلٍّ من هذه الموارد:

- مجاز عقلي علاقته السببية.
- مجاز عقلي علاقته المفعولية.
- مجاز عقلي علاقته المكانية.
- مجاز عقلي علاقته الزمانية.
- وقال أيضاً: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾[1].

(1) سورة هود، الآية: 43.

بلاغةُ المجازِ المرسلِ والمجازِ العقليّ[1]

فوائد بلاغية للمجازين المرسل والعقلي:

إنَّ للمجـازِ المرسل،على أنواعه، وكذلـك العقليّ،على أقسامه، فوائدَ كثيرةً منها:

1- الإيجاز، فإنَّ قوله: بنَى الأميرُ المدينةَ أوجزُ من ذكر البَنّائينَ والمهندسينَ ونحوهِما، ونحوه غيره.

2- سعةُ اللفظِ وطرق التعبير، فإنه لو لم يجزْ إلا جرَى ماءُ النهرِ كان لكلِّ معنًى تركيبٌ واحدٌ، وهكذا بقيّةُ التراكيب.

3- إيـرادُ المعنــى في صورةٍ دقيقةٍ قريبة إلى الذهــنِ، إلى غير ذلك من الفوائدَ البلاغيةِ.

4- المبالغة الموجودة، ففي إسناد بناء الجامعة إلى الوزير، مبالغة لطيفة.

5- جمالية الدقة في اختيار العلاقة.

إذا تأمّلـت أنواع المجاز المرسل والعقلي رأيـت أنّها في الغالب تؤدّي المعنَى المقصـود بإيجاز، فإذا قلت: «هزمَ القائـدُ الجيشَ» أو «قرّرَ المجلس كذا» كان ذلـك أوجـزَ من أنْ تقول: «هــزمَ جنودُ القائـد الجيش»، أو «قـرّر أهل المجلس كذا»، ولا شكَّ أنَّ الإيجاز ضربٌ من ضروب البلاغة.وهناك مظهر آخر للبلاغة فـي هذين المجازين هو المهارة في تخيّر العلاقــة بين المعنى الأصلي والمعنى المجـازيّ، بحيـث يكون المجــاز مصــوّراً للمعنـى المقصود خيــر تصوير كما

(1) علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص 103 - 104.

في إطلاق العين على الجاسوس، والأذن على سريع التأثّر بالوشاية. والخفُّ والحافر على الجمال والخيل في المجاز المرسل، وكما في إسناد الشيء إلى سببه أو مكانه أو زمانه في المجاز العقلي،فإنّ البلاغة توجبُ أنْ يختار السبب القوي والمكان والزمان المختصّين.

وإذا دقّقتَ النظر رأيت أنَّ أغلب ضروب المجاز المرسل والعقلي لا تخلو من مبالغة بديعة ذات أثر في جعل المجاز رائعاً خلّاباً. فإطلاقُ الكلِّ على الجزء مبالغة ومثله إطلاق الجزء وإرادة الكلّ، كما إذا قلت: «فلان فم» تريد أنّه شره يلتقم كلَّ شيء. أو «فلانٌ أنفٌ» عندما تريد أن تصفه بعظم الأنف فتبالغ فتجعله كلّه أنفاً. وممّا يؤثر عن بعض الأدباء في وصف رجل أنافيٍّ[1] قوله: «لست أدري أهو في أنفه أمْ أنفهُ فيه».

(1) رَجُلٌ أُنافِيٌّ بالضمّ أي: عَظِيمُ الأنف.

الدرس الخامس عشر

الكناية

أهداف الدرس

1- أن يتعرّف الطالب إلى معنى الكناية لغةً واصطلاحاً.

2- أن يدركَ أقسام الكناية.

3- أن يتقن استخدام الكناية في كتابته الأدبية.

الكنايةُ[1]:

الكنايـةُ لغـةً: مَـا يَتكلَّمُ بِـهِ الإِنسَانُ ويُرِيدُ بِهِ غَيـرَهُ وهِيَ مَصْـدَرُ «كَنَيْتُ» أو «كَنَوْتُ» بكَذَا إِذَا تَرَكْتُ التَّصرِيحَ بِهِ.

واصـطلاحاً: لفـظٌ أُرِيدَ بِهِ غيرُ معنَاه الَّذي وُضِعَ لَـهُ، مَعْ جَوَازِ إِرَادَةِ المَعْنَى الأصليِّ لِعَدمِ وجودِ قرينةٍ مانعةٍ مِنْ إرادَتِهِ.

وحتَّـى نقفَ عَلَى مفهـوم الكِنَايَةِ تعالَوا بِنَا ننظرُ فِي شَكـوَى أعرابيَّةٍ إِلَى أَحَدِ الوُلاةِ، فَقَد جَاءَتْ أعرابيَّةٌ إِلَى قَيسِ بنِ سَعد[2] فقالَتْ لَهُ: أَشكُو إليكَ قلَّةَ الفَئرَانِ فِي بَيْتِي.

فَمَا كانَ مِنْ ذَلكَ الوَالِي إِلَّا أنْ مَلَأَ بيتَهَا طَعَاماً وكِسَاءً.

ولَا يَخفَـى عَلَـى فَهمِنَا أنَّ تِلـكَ الشَّاكيَةَ لَمْ تُـردْ أنْ تملأَ بيتَهَـا فئْرَاناً، وإنَّما أرادتْ أنْ تَشكـوَ للوالِي شـدَّةَ فقرِهَا، حتَّى أنَّ الفئرانَ هَجَرَتْ بيتَهَا؛ لأنَّها لَا تَجِدُ مَـا تَقتَاتُ بِهِ، وقَد فَطِنَ الوالِـي لمُرادِهَا مِنْ عبارتِهَا تِلكَ، فَفَعَلَ مَا فَعَلَ لِمعرفَتِه أنَّه يَلزَمُ مِنْ قلَّةِ الفئرانِ فِي بيتِ تِلكَ الأعرابيَّةِ الشَّاكيَةِ فقرُهَا وحاجتُهَا، مَعْ أنَّهُ

(1) توضيـح: إذا أطلـق لفظ وكان المراد منه غير معنـاه فلا يخلو إمَّا: أن يكون معناه الأصلي مقصودا أيضـا، ليكون وسيلة إلى المراد. وإمَّا: ألا يكون مقصودا - فالأول- الكناية و- الثاني- المجاز.

(2) هو من كبار صحابة أمير المؤمنين عليه السلام وكان أبوه من كبار صحابة النبي صلى الله عليه وآله أيضاً.

مِنَ الجائزِ أنْ يكونَ بيتُهَا قليلَ الفئرانِ عَلَى الحقيقةِ.

وتنقسمُ الكنايةُ بحسبِ المعنَى الَّذي تُشيرُ إليهِ إلَى ثلاثةِ أقسامٍ:

والكناية وسط بين الحقيقة والمجاز، فليست مجازاً وليست حقيقة؛ وذلك لأنها يُستعمل فيها اللفظ في معناه الحقيقي الموضوع، أو الالفاظ - إن كانت الكناية مركبة من ألفاظ - في معانيها الموضوعة لها، فتختلف بهذا عن المجاز اللغوي، ولكننا لا نريد من هذه الألفاظ معانيها الحقيقية، بل نريد لازم تلك المعاني، وبهذا تختلف الكناية عن الحقيقة.

أولاً: الكناية عن صفة: نَقْرَأُ كلامَ الخنساءِ[1]، تِلكَ الشَّاعرةَ البَاكيَةَ المفجوعَةَ تَرثِي أخَاهَا بأعذَبِ الأبيَاتِ، وتَختَصِرُ مآثِرَهُ ببيتٍ حَمَلَ الكَثِيرَ، فَتَقُولُ:

طويلُ النِّجادِ رَفِيعُ العِمَادِ كثيرُ الرَّمَادِ إذا مَا شَتَا

لَقَد وَرَدَ فِي بيتِ الخَنْسَاءِ ثلاثَةُ أوصَافٍ لصَخْرَ هِي: طويلُ النِّجادِ، ويَعنِي فِي الأصلِ أنَّ مَحمِلَ سيفِهِ طويلٌ، ورَفِيعُ العِمَادِ، ويَعنِي فِي الأصَلِ أنَّ عَمودَ بَيتِهِ مرتَفِعٌ، وكثيرُ الرَّمَادِ، ويَعنِي فِي الأصلِ أنَّ مُخَلَّفَاتِ نارِهِ كثيرةٌ. والأسئلةُ الَّتي تُلحُّ عَلَيْنَا، ونُرِيدُ أنْ نُجِيبَ عَلَيهَا:

1- مَاذَا قَصَدَتِ الخَنْسَاءُ مِنْ وَرَاءِ وَصفِ كلٍّ مِنْ الأوصَافِ السَّالِفَةِ؟

2- ومَا عَلاقَةُ المَعنَى الأصِيلِ لكلِّ وصفٍ مِنَ الأوصَافِ السَّالفةِ بالمَعنَى الَّذي قصدتْهُ الخَنْسَاءُ؟

(1) الخَنساء، (24 هـ/ 644 م) تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد، الرِّياحِيّة السُّلمية من بني سُليم من قَيس عيلان من مُضَر. أشهر شواعر العرب وأشعرهن على الإطلاق، من أهل نجد، عاشت أكثر عمرها في العهد الجاهليّ، وأدركت الإسلام فأسلمت. ووفدت على رسول الله ﷺ مع قومها بني سُلَيم. فكان رسول الله يستنشدها ويعجبه شعرها. أكثر شعرها وأجوده رثاؤها لأخويها صخر ومعاوية وكانا قد قُتلا في الجاهلية. لها ديوان شعر فيه ما بقي محفوظاً من شعرها. وكان لها أربعة بنين شهدوا حرب القادِسيّة فجعلت تحرضهم على الثبات حتى استُشْهِدُوا جميعاً فقالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم.

3- وهَـلْ مِـنَ الجَائِزِ لَنَـا إرادةُ المعانِي الحقيقيَّـةِ الواردةِ للأوصـافِ السَّالِفةِ؟

كثيـراً مَا يَعرُضُ لَنَا عِبَارةٌ أو أكثرُ لَا نَأخذُهَا بمعنَاهَا الأصيلِ، وإنَّما نَستَدِلُّ بِهَا عَلَى معنىً آخرَ؛ لأنَّ قائِلَهَا إنَّما أرادَ أنْ يُومِئَ لَنَا بعبارَتِهِ تِلكَ عَنْ معنىً مكنونٍ فِي نفسِهِ.

وهَذَا مَا نَجِدُهُ عندَ الخَنْسَاءِ فِي رِثَاءِ أخِيهَا، عندَمَا أرادَتْ أنْ تَذْكُرَ مَحَامِدَهُ، فكانَ مِمَّا وَصَفَتْهُ بِـهِ أنَّ مَحْمِلَ سَيفِـهِ طويلٌ (طويل النِّجَاد) وهَـذَا يقتضِي أنَّ صَاحِبَـهُ طويلُ القامَةِ؛ إذْ ليسَ مِنَ المُنَاسِـبِ أنْ يكونَ مَحْمِلُ سيفِ المَرءِ طويلاً وهُـوَ قَصِيرُ القَامَةِ. وهَكَذَا فإنَّ المُرَادَ بقولِهَـا (طويل النِّجَاد) أنَّ صَخْراً طويلٌ يملأُ العينَ.

ووصفتْهُ بأنَّ عَمُودَ بيتِـهِ مرتفِعٌ (رفيع العِمَاد) قاصدةً بِذلكَ أنَّهُ وجيهٌ عظيمُ المَنْزِلَـةِ، كَمَا وصَفَتْهُ بأنَّ مخلَّفَاتِ نارِهِ كثيرةٌ (كثيـر الرماد) ولمْ تقصدْ بِذَلِكَ إلَّا أنَّهُ كريمٌ مضيافٌ.

ولكنْ ثمَّةَ علاقةٌ تَظْهَرُ بَينَ المَعنَى الأصِيلِ والمَعنَى المقصودِ، فطولُ النَّجادِ فِـي قَـولِ الخَنسَاءِ لعل المراد منه أنّه كلما ارتفع عمـاد الخيمة ووسطها اتّسعت وامتـدت أطرافها لطول الخطوط المنحنية الواصلـة إلى أطرافها حينئذٍ، وهذا لازم لـه لازم، فسعة البيـت لكثرة الضيوف، وكثرة الضيـوف تدل على الوجاهة وعلوّ المركز.

كَمَا أنَّ مِنْ مستلزَمَاتِ كَثرةِ الرَّمَادِ كثرةَ حرقِ الحَطَبِ للطبخِ، ما يلازم كثرةَ الضيوفِ، وهَذَا دليلُ الكرمِ.

وعَلَـى الرَّغْمِ مِـنْ أنَّ المَعنَى الأصيلَ ليسَ هُوَ المقصـودَ إلَّا أنَّه ليْسَ ممتنِعاً، فمِنَ الجَائِـزِ لَنَا إرَادَةُ المَعنَـى الأصيلِ فِي كَونِ مَحملِ سَيـفِ صَخر طويلاً عَلَى

الحقيقـةِ، وكَذَا ارتفـاع عَمُودِ بيتِهِ وكثرَة مُخَلَّفَات نارِهِ. ولمَّـا كانَ كلُّ تَركيبٍ منَ التَّراكيبِ السَّابقَةِ، وهِيَ «طَويلَ النجادِ»، و «رفيعُ العمَادِ»،و «كثيرُ الرَّمَادِ»، كُنيَ بِهِ عَنْ صِفَةٍ لازِمَةٍ لمَعنَاه، كانَ كلُّ تركيبٍ مِنْ هَذهِ ومَا يُشبِهُهُ «كنايةَ عَنْ صِفَةٍ» وهِيَ القِسمُ الأَوَّلُ مِنَ الكنَايَةِ.

وهَذَا القِسْمُ مِنَ الكِنَايَةِ لَهُ نَوعَانِ:

أ - كنايــةٌ قريبــةٌ: وهيَ مَـا يَكونُ الانتقَالُ فيَها إلَى المَطلـوبِ بغيرِ وَاسطةٍ بَينَ المَعنَى المنتَقَلِ عَنَهُ، والمَعنَى المنتَقَلِ إلَيه، كقولِ الخَنْسَاءِ فِي رِثَاءِ صَخْرٍ:

طَويلُ النِّجادِ، رَفِيعُ العمادِ....

ب - كنايــةٌ بعيــدة: وهــيَ مَـا يَكونُ الانتقــالُ فيها إلَــى المطلـوبِ بواسطةٍ، أو بوسائـطَ، نحوُ: «فلانٌ كثيرُ الرمادِ» كنايةٌ عن المضيافِ، و الوسائطُ: هيَ الانتقالُ منْ كثرَةِ الرَّمادِ إلَى كثرَةِ الإحراقِ، ومنهَا إلَى كثرةِ الطبخِ والخبزِ، ومنهَا إلَى كثرةِ الضيوفِ، ومنهَا إلَى المَطلوبِ وهُوَ المضيافُ الكريمُ.

ثانياً: الكناية عن الموصوف: يقولُ الشَّاعرُ[1]:

الضـاربيـن بِكُـلِ أَبيـضَ مِخْـذَمٍ   وَالطـاعِنـيـن مَـجامِـعَ الأَضغانِ[2]

أرادَ الشَّاعـرُ أنْ يَصِـفَ ممدوحِيـهِ بأنَّهـم يطعنـونَ القلـوبَ وقـتَ الحَربِ، فانصَـرَفَ عَنِ التَّعبيرِ بالقلـوبِ إلَى مَا هُوَ أملحُ وأوقَعُ فِـي النَّفسِ وهُوَ «مجامعُ الأضغانِ»؛ لأنَّ القلوبَ تُفهمُ منهُ، إذ هِيَ مُجتَمَعُ الحقْدِ والبُغْضِ والحَسَدِ وغيرِهَا. ولَا يَخفَى أنَّ مَا أرادَ الشَّاعِرُ أنْ يَكْنِيَ عَنهُ لَيسَ صِفَةً؛ لأنَّه صَرَّحَ بِتِلكَ الصِّفَةِ فِي كَلَامِهِ، وإنَّما أَرَادَ المَعنَى البَعيدَ، فذَكَرَ صِفَةً مُختَصَّةً كانَتْ كِنَايَةً عَنِ المَوصُوفِ

(1) عمـرو بـن مَعْـدِي كَرِب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي. 100 ق. هـ - 21 هـ / 525 - 642 م، فارس اليمن، وصاحب الغارات المذكورة، وفـد علـى المدينـة سنة 9هـ، في عشـرة من بني زبيـر، فأسلم وأسلموا وعـادوا، توفي على مقربـة من الريّ وقيل: قتـل عطشاً يوم القادسية.

(2) المِخْذَم بالذال المعجمة السيف. والأضغان: جمع ضِغْن، وهو الحقد.

الَّذي هُوَ القلبُ، وهذا مثلُ قولِ الشَّاعِرِ قولُ أميرِ الشُّعراءِ[1]:

وَلــي بَيــنَ الـضُـلـوعِ دَمٌ وَلَـحـمٌ ... هُـمـا الـواهـي الَّــذي ثَـكِلَ الشَبـابا

فـإنَّ الموصُوفَ فِي هَذَا المِثَالِ بالدَّمِ واللَّحمِ بَينَ الضُّلوعِ - أيضاً - هُوَ القَلبُ لا غيـرُ، فَقَـد كَنَى الشَّاعرُ عَنْ هَـذَا الموصُوفِ بِمَا يَدُلُّ عَليهِ مِـنْ أنَّه دمٌ ولحمٌ، ويَقَعُ بَينَ الضلوعِ، فالمَكْنِيُّ عَنهُ هُنَا موصوفٌ أيضاً، وكلُّ كِنَايةٍ يَكونُ المَكنِي عَنهُ فِيهَا موصوفاً اصطُلِحَ عَلَى تَسمِيَتِهَا «**كِنَايةَ عَنْ مَوْصُوفٍ**» وهِيَ القِسمُ الثَّانِي مِنْ أقسَامِ الكِنَايَةِ[2].

ولِهَذَا القِسمِ مِنَ الكِنَايَةِ أيضاً نَوعَانِ:

أ- أنْ يكـونَ للموصوفِ صفةٌ مختَصَّةٌ، فتُذكَـرُ الصَّفَةُ لتَكونَ كنايَةً عَنْ ذَاكَ الموصوفِ، مثلُ «**مَجامعُ الأضغانِ**» كناية عن «**القلب**» أو كقولِهِ - تَعَالَى-: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ﴾[3]، كناية عن البناتِ والنِّساءِ.

ب- أنْ يكـونَ للموصوفِ صفاتٌ مختصّةٌ بموصوفٍ واحدٍ، فتَذكُرُهَا كنايةً عَنْ ذَاكَ الموصوفِ، مثلُ: «**الحيّ، مستوي القامَـةِ، عريضُ الأظفارِ**» كناية عـنِ الإنسانِ، وقوله - تعالى -: ﴿وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ﴾[4] كناية عن السفينة.

ج- يقولُ زيادٌ الأعجمُ[5] فِي مدحِ عبدِ اللّهِ بنِ الحَشْرَجِ:[6]

---

(1) لقبٌ للشاعر المصري أحمد شوقي.

(2) يشترط في هذه الكناية: أن تكون الصفةُ أو الصفاتُ مختصّةً بالموصوف، ولا تتعداهُ ليحصل الانتقالُ منها إليه.

(3) سورة الزخرف، الآية: 18.

(4) سورة القمر، الآية: 13.

(5) زياد بن سليمان أو سليم الأعجم، أبو أُمامة العبدي، مولى بني عبد القيس. 100 هـ / 718 م. من شعراء الدولة الأموية وأحد فحول الشعر العربي بخراسان، كانت في لسانه عُجْمَة، فَلُقِّبَ بالأعجم، ولد ونشأ بأصفهان وانتقل إلى خراسان، فسكنها وطال عمره ومات فيها.

(6) هو عبد الله بن الحشرج بن الأشهب بن ورد بن عمرو بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن. وكان عبد الله بن الحشرج سيداً من سادات قيس وأميراً من أمرائها، وَلِيَ أكثر أعمال خراسان، ومن أعمال فارس، وكرمان. وكان جواداً ممدحاً.

الحقيقةِ، وكَذَا ارتفاع عَمُودِ بيتِهِ وكثرَة مُخَلَّفَاتِ نارِهِ. ولمَّا كانَ كلُّ تَركِيبٍ مِنَ التَّرَاكِيبِ السَّابِقَةِ، وهِيَ «**طَويلُ النجادِ**»، و «**رفيعُ العمَادِ**»، و «**كثيرُ الرَّمَادِ**»، كُنِّي بِهِ عَنْ صِفَةٍ لازِمَةٍ لمَعنَاه، كانَ كلُّ تركيبٍ مِنْ هَذِهِ ومَا يُشبِهُهُ «**كنايةً عَنْ صِفَةٍ**» وهِيَ القِسمُ الأوَّلُ مِنَ الكِنَايَةِ.

وهَذَا القِسْمُ مِنَ الكِنَايَةِ لَهُ نَوعَانِ:

أ - كنايةٌ قريبةٌ: وهيَ مَا يَكونُ الانتقَالُ فيَها إلَى المَطلوبِ بغيرِ وَاسطةٍ بَينَ المَعنَى المنتَقَلِ عَنهُ، والمَعنَى المنتَقَلِ إليه، كقولِ الخَنسَاءِ في رِثَاءِ صَخْرٍ:

طَوِيلُ النِّجادِ، رَفِيعُ العمادِ....

ب - كنايةٌ بعيدة: وهيَ مَا يَكونُ الانتقالُ فيها إلَى المطلوبِ بواسطةٍ، أو بوسائطَ، نحوُ: «**فلانٌ كثيرُ الرمادِ**» كنايةٌ عن المضيافِ، و الوسائطُ: هيَ الانتقالُ مِنْ كثرَةِ الرَّمادِ إلَى كثرَةِ الإحراقِ، ومنهَا إلَى كثرةِ الطبخِ والخبزِ، ومنهَا إلَى كثرةِ الضيوفِ، ومنهَا إلَى المَطلوبِ وهُوَ المضيافُ الكريمُ.

ثانياً: الكناية عن الموصوف: يقولُ الشَّاعرُ[1]:

الضاربين بِكُلِّ أَبيضَ مِخْذَمٍ ... وَالطاعِنينَ مَجامِعَ الأَضغانِ[2]

أرادَ الشَّاعرُ أنْ يَصِفَ ممدوحِيهِ بأنَّهم يطعنونَ القلوبَ وقتَ الحَربِ، فانصَرَفَ عَنِ التَّعبيرِ بالقلوبِ إلَى مَا هُوَ أملحُ وأوقَعُ فِي النَّفسِ وهُوَ «**مجامعُ الأضغانِ**»؛ لأنَّ القلوبَ تُفهمُ منهُ، إذ هِيَ مُجتَمَعُ الحقْدِ والبُغْضِ والحَسَدِ وغيرِهَا. ولَا يَخفَى أنَّ مَا أرادَ الشَّاعِرُ أنْ يَكْنِيَ عَنهُ لَيسَ صِفَةً؛ لأنَّه صَرَّحَ بِتِلكَ الصِّفَةِ فِي كَلَامِهِ، وإنَّما أرَادَ المَعنَى البَعيدَ، فذَكَرَ صِفَةً مُختَصَّةً كانَتْ كِنَايَةً عَنِ المَوصُوفِ

(1) عمرو بن مَعْدِي كَرِب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي، 100 ق. هـ - 21 هـ / 525 - 642 م، فارس اليمن، وصاحب الغارات المذكورة، وفد على المدينة سنة 9هـ، في عشرة من بني زبير، فأسلم وأسلموا وعادوا، توفي على مقربة من الريّ وقيل: قتل عطشاً يوم القادسية.

(2) المِخْذَم بالذال المعجمة السيف، والأضغان: جمع ضِغْن، وهو الحقد.

الَّذي هُوَ القلبُ، وهذا مثلُ قولِ الشَّاعرِ قولُ أميرِ الشُّعراءِ[1]:

وَلِي بَينَ الضُلوعِ دَمٌ وَلَحمٌ ... هُما الواهي الَّذي ثَكِلَ الشَبابا

فإنَّ الموصُوفَ فِي هَذَا المِثَالِ بالدَّمِ واللَّحمِ بَينَ الضُلوعِ - أيضاً - هُوَ القَلبُ لَا غيرُ، فَقَد كَنَى الشَّاعرُ عَنْ هَذَا الموصُوفِ بِمَا يَدُلُّ عَليهِ مِنْ أنَّه دمٌ ولحمٌ، ويَقَعُ بَينَ الضلوعِ، فالمَكْنِيُّ عَنهُ هُنَا موصوفٌ أيضاً، وكلُّ كِنَايةٍ يَكونُ المَكنِي عَنهُ فِيهَا موصوفاً اصطُلِحَ عَلَى تَسمِيَتِهَا «**كِنَايةً عَنْ مَوْصُوفٍ**» وهِيَ القِسمُ الثَّانِي مِنْ أقسَامِ الكِنَايَةِ[2].

ولِهَذَا القِسمِ مِنَ الكِنَايَةِ أيضاً نَوعَانِ:

أ- أنْ يكونَ للموصوف صفةٌ مختصَّةٌ، فتُذكَرُ الصَّفَةُ لتَكونَ كنايَةً عَنْ ذَاكَ الموصوف، مثلُ «**مجامعُ الأضغانِ**» كناية عن «**القلب**» أو كقولِه - تَعَالَى -: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ﴾[3]، كناية عن البنات والنّساء.

ب- أنْ يكونَ للموصوف صفاتٌ مختصّةٌ بموصوف واحد، فنَذكُرُهَا كنايةً عَنْ ذَاكَ الموصوف، مثلُ: «**الحيّ، مستوي القامَة، عريضُ الأظفار**» كناية عن الإنسانِ، وقوله - تعالى -: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾[4] كناية عن السفينة.

ج- يقولُ زيادٌ الأعجمُ[5] في مدحِ عبدِ اللهِ بنِ الحَشْرَجِ:[6]

(1) لقبٌ للشاعر المصري أحمد شوقي.
(2) يشترط في هذه الكنايةِ: أن تكون الصفةُ أو الصفاتُ مختصّةً بالموصوف، ولا تتعداهُ ليحصل الانتقالُ منها إليه.
(3) سورة الزخرف، الآية: 18.
(4) سورة القمر، الآية: 13.
(5) زياد بن سليمان أو سليم الأعجم، أبو أُمامة العبدي، مولى بني عبد القيس. 100 هـ / 718 م. من شعراء الدولة الأموية وأحد فحول الشعر العربي بخراسان، كانت في لسانه عُجْمَة، فلُقِّبَ بالأعجم، ولد ونشأ بأصفهان وانتقل إلى خراسان، فسكنها وطال عمره ومات فيها.
(6) هو عبد الله بن الحشرج بن الأشهب بن ورد بن عمرو بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن. وكان عبد الله بن الحشرج سيداً من سادات قيس وأميراً من أمرائها، وَلِيَ أكثر أعمال خراسان، ومن أعمال فارس، وكرمان. وكان جواداً ممدحاً.

إنَّ السَّماحَةَ وَالمُروءَةَ وَالنَّدى	في قُبَّةٍ ضُرِبَت عَلى ابنِ الحَشرَجِ

فَقَد أرادَ الشَّاعِرَ - هنَا - أنْ يَنسِبَ إلَى ممدوحِهِ سَمَاحَةَ النَّفسِ والمروءةَ والنَّدى، فَعَدَلَ عَن نِسبَتِهَا إليهِ مباشرةً، وتَرَكَ التَّصريحَ بالاسمِ بأنْ يقولَ: «ابنُ الحشرجِ مختصٌّ بِهَا» بَلْ نسبَ إلَى مَكانِهِ وهُوَ القبَّةُ المضروبَةُ عَليه، وقَالَ: إنَّ هَذِهِ الصِّفاتِ فِي القبَّةِ الَّتي ضُرِبَتْ عَلَيهِ: ونسبَةُ الصِّفاتِ إلَى القبَّةِ تَستَلزِمُ نسبتَهَا إلَى المَمدُوحِ، فالانتقالُ مِنْ جهةِ أنَّه إذَا أثبتَ الأمرَ فِي مَكَانِهِ فقَد أثبتَ له. ومثلُ ذَلكَ مَا لَو قُلنَا فِي وصفِ أعدائِنَا: «المكرُ قَد نُسِجَ فِي ثِيابِهِم»، فَقَد أردْنَا أنْ نَنسِبَ صفةَ المَكرِ إلَى أعدائِنَا، فعَدَلنَا عَنْ نِسبَتِهَا إليهِم مباشرةً ونسبناهَا إلَى مَا لَهُ اتصالٌ بِهِم وهُوَ ثيابُهُم، فالمَكْنِيُّ عنهُ - هنَا - هُوَ «نسبةُ صفةِ المكرِ إلى الأعداءِ» وكلُّ كِنَايةٍ يكونُ المَكنى عَنه فِيهَا نسبةَ صفةٍ اصطُلِحَ عَلَى تسميتِهَا «كنايةُ عن نسبةٍ» وهِيَ القِسمُ الثَّالِثُ مِنْ أقسَامِ الكنَايةِ.

وهَذِهِ الكنايةُ نوعانِ:

أ- إمَّا أنْ يكونَ ذو النِّسبة مذكوراً فيهَا، كقولِ الشَّاعرِ(1):

اليُمْنُ يَتْبَعُ ظِلَّهُ	والمجدُ يمشي في ركابه

ب- وإمَّا أنْ يكونَ ذو النِّسبة غيرَ مذكورٍ فيهَا: كقولنَا: خيرُ الناسِ مَنْ يَنفعُ النَّاسَ، كنايةً عَنْ نَفيِ الخيريَّة عَمَّنْ لَا ينفعُهم. وكقولِ رسولِ اللهِ ﷺ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكمْ لأهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأهْلي»(2).

(1) الهاشمي، جواهر البلاغة، ج 1، ص 14.
(2) الحر العاملي، وسائل الشيعة (آل البيت)، ج20، ص 171.

القواعد الرئيسة

1- الكنايةُ لفظٌ أُطلقَ وأريدَ به لازمُ معناهُ مع جوازِ إرادة ذلك المعنَى.

2- تنقسمُ الكناية باعتبارِ المَكْنيّ عنه ثلاثة أقسامٍ، فإنَّ المَكْنيّ عنه قد يكون صفةً، وقد يكونَ موصوفاً، وقد يكون نسبةً.

تمارين

1- بيِّن الصفةَ التي تلزمُ منْ كلِّ كنايةٍ منَ الكناياتِ الآتية:

- نَؤُومُ الضحى.
- ألقى فلانٌ عصاهُ.
- ناعمةُ الكَفَّيْن.
- قرعَ فلانٌ سنَّهُ.
- يشارُ إليه بالبَنَان.
- قال تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾[1].
- ركبَ جناحي نعامة.
- لوتِ الليالي كفَّه على العصا.
- قال المتنبّي في وصف فرسه:

(1) سورة الكهف، الآية: 42.

وأصْـــرَعُ أيَّ الـوحـشِ قَـفَّـيـتُـهُ بِـهِ   وَأنْـــزِلُ عـنـهُ مـثـلَـهُ حـيـنَ أركَــبُ

- فلانٌ لا يضعُ العصا على عاتقِه.

2- بينِ الموصوفَ المقصودَ بكلِّ كنايةٍ من الكناياتِ الآتيةِ:

قال الشاعر:

قَــوْمٌ تَـرَى أَرْمَـاحَـهُـمْ يَـوْمَ الْـوَغَـى   مَـشْـغُـوفَـةً بِـمَـوَاطِـنِ الـكِـتْـمَـانِ

- وقال تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾[1].

- قال أبو نواس:

فـلـمـا شَــربـنـاهـا ودَبَّ دبـيـبُـهـا   إلـى مَوْضـع الأسْــرار قلتُ لها قفي

- وقال المعريُّ في السيف:

سـلـيـلُ الـنـــار دقَّ ورقَّ حـتـى   كـــأنّ أبـــاه أورثَـــــهُ الـسُّــلالا

- كبرتْ سنُّ فلانٍ وجاءهُ النذيرُ.

- سئلَ أعرابيٌّ عن سببِ اشتعال شيبِه، فقال: هذا رغوةُ الشبابِ.

- وسئلَ آخرُ، فقال: هذا غبارُ وقائعِ الدهرِ.

3- بيِّنِ النسبةَ التي تلزم كلَّ كناية من الكنايات الآتية:

- قال أعرابيٌّ: دخلتُ البصرةَ، فإذا ثيابُ أحرارٍ على أجسادِ العبيدِ.

- وقال في مدح كافور:

إنّ فـي ثَـوْبِـكَ الـذي الـمَـجْـدُ فيـهِ   لَـضِـيَـاءً يُـــزْري بِــكُـلّ ضِـيَـاءِ

(1) سورة الزخرف، الآية: 18.

بلاغةُ الكِنايةِ[1]:

الكنايــةُ مَظهرٌ من مظاهر البلاغةِ، وغايــةٌ لا يصل إليها إلّا من لطف طبعُه، وصفــتْ قريحتُــه، والسرُّ فــي بلاغتها أنّهــا في صور كثيــرةٍ تُعطيــك الحقيقةَ، مصحوبةً بدليلها، والقضيةَ وفي طيِّها برْهانها، كقول البحتري في المديح:

يَغضُّونَ فَضْلَ اللّحظِ مِن حَيثُ ما بدا لهمْ عَنْ مَهيبٍ، في الصّدورِ، مَحبَّبِ

فإنّــه كَنَى عن إكبار النـاس للممدوحِ، وهيبتِهم إيّــاه، بغضِّ الأبصارِ الّذي هو في الحقيقة برهانٌ على الهيبة والإجلالِ، وتظهرُ هذه الخاصّةُ جليّةً في الكناياتِ عن الصفةِ والنسبةِ.

ومـن أسباب بلاغةِ الكنايات أنّها تضعُ لـكَ المعاني في صورة المحسوساتِ، ولا شكَّ أنّ هذه خاصّةُ الفنون، فإنَّ المصوّرَ إذا رسم لك صورةً للأملِ أو لليأسِ، بهـرَكَ وجعلكَ ترى ما كنــتَ تعجزُ عن التعبير عنه واضحــاً ملموساً، فمثلُ كثيرِ الرمادِ في الكناية عن الكرمِ، ورسولُ الشرِّ، في الكنايةِ عن المزاحِ.

ومن خواصِّ الكنايةِ: أنّها تُمكّنُك منْ أنْ تَشْفيَ غلّتَك منْ خصمِك منْ غيرِ أنْ تجعلَ له إليك سبيلاً، ودون أنْ تخدشَ وجهَ الأدب، وهذا النوعُ يُسمَّى بالتعريضِ، ومثالُه قولُ المتنبّي في قصيدة، يمدحُ بها كافوراً:

فِـراقٌ وَمَــنْ فَـارَقْـتُ غَيـرُ مُـذَمَّـمِ وَأَمٌّ وَمَــنْ يَـمّـمْـتُ خيـرُ مُـيَمَّـمِ
وَمَـا مَنـزِلُ الـلّـذّاتِ عِنـدي بمَنْـزِلٍ إذا لـم أُبَـجَّـلْ عِـنْـدَهُ وَأُكَـــرَّمِ
سَجِيّةُ نَفْسٍ مَـا تَــزَالُ مُـليحَـةً مـنَ الضّيمِ مَرْمِيّاً بها كلّ مَخْـرِمِ

(1) علي الجارم ومصطفى أمين. البلاغة الواضحة، ص 112 – 113.

رَحَلْتُ فكَمْ باكٍ بأجْفانِ شَادِنٍ عَلَيّ وَكَمْ بَاكٍ بأجْفانِ ضَيْغَمِ
وَمَا رَبّةُ القُرْطِ المَليحِ مَكانُهُ بأجزَعَ مِنْ رَبّ الحُسَامِ المُصَمِّمِ
فَلَوْ كانَ ما بي مِنْ حَبيبٍ مُقَنَّعٍ عَذَرْتُ وَلكِنْ من حَبيبٍ مُعَمَّمِ
رَمَى وَاتّقى رَميي وَمن دونِ ما اتّقى هوًى كاسرٌ كفّي وقوْسي وَأسهُمي
إذا ساءَ فِعْلُ المرْءِ ساءَتْ ظُنُونُهُ وَصَدَّقَ مَا يَعتَادُهُ من تَوَهُّمِ

فإنّه كَنَى عن سيف الدولة، أوّلا: بالحبيبِ المعمّم، ثمّ وصفه بالغدرِ الّذي يدّعي أنّه من شيمةِ النساءِ، ثمّ لامه على مبادهته بالعدوانِ، ثمّ رماه بالجبنِ؛ لأنّه يرمي ويتّقي الرمي بالاستتارِ خلف غيره، على أنَّ المتنبّي لا يُجازيه على الشرِّ بمثله؛ لأنّه لا يزال يحمل له بين جوانحه هوًى قديماً، يكسرُ كفّه وقوسه، وأسهمه، إذا حاول النِّضال، ثمّ وصفه بأنّه سيّءُ الظنِّ بأصدقائهِ؛ لأنّه سيّءُ الفعل كثيرُ الأوهام والظنون، حتّى ليظنَّ أنَّ الناس جميعاً مثلَه في سوءِ الفعل، وضعفِ الوفاء. فانظر كيف نالَ المتنبّي من هذا، ومن أوضح مميّزات الكنايةِ التعبيرُ عن القبيح بما تُسيغُ الآذانُ سماعَه، وأمثلة ذلك كثيرة جدّاً في القرآن الكريم وكلام العربِ، فقد كانوا لا يُعبّرون عمّا لا يحسنُ ذكره إلّا بالكنايةِ، وكانوا لشدّة نخوتهِم يكنّونَ عن المرأة بالبيضةِ والشاةِ.

ومن بدائع الكنايات قولُ بعض العرب:

أَلاَ يا نَخْلةً مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ عَلَيْك وَرَحْمَةُ اللهِ السّلامُ

فإنّه كَنَى بالنخلةِ، عن المرأة الّتي يُحبُّها.

الفصل الثاني

علمُ المعاني

الكفايات

1- التعرّف إلى علم المعاني ومباحثه.

2- التمييز بين الخبر والإنشاء وأنواعهما.

3- القدرة على استخدام القصر وطرقه.

مدخل عام:

إنَّ أوَّلَ مَـنْ سَمَّى عِلْـمَ المَعَانِي بِهَذِهِ التَّسْمِيَةَ هُوَ عبـدُ القَاهِرِ الجَرجاني في كتابـه «**دلائـل الاعجاز**»، وهذا الكتـابُ فِي الأصلِ محاولةٌ مِنْ عبـدِ القاهِرِ أرادَ بِهَـا أنْ يُثبِتَ إعجَازَ القُرآنِ الكريمِ، وقَـد شَرَحَ المرادَ مِنْ هَذَا العِلمِ بِقَولِهِ: «**إنَّه ائتلافُ الألفَاظِ ووضعُهَا فِي الجُملَةِ الموضِعَ الَّذي يَفرِضُهُ معنَاها النَّحويُّ**» وأوردَ عبـدُ القاهِـرِ فِي موضِـعٍ آخرَ قولَهُ: «**واعلـمْ أنْ ليسَ النظمُ إلَّا أنْ تَضَـعَ كلامَـكَ الموضِـعَ الَّذي يقتَضِـيه عِلمُ النَّحـوِ، وتَعمَلَ عَلَـى قَوانينه وأُصُـوله، وتعرفَ منَاهِجَهُ الَّتي نُهِجَتْ فلَا تَزِيغُ عنهَا، وتحفظُ الرّسـومَ الَّتي رُسِمَتْ لَكَ فَلَا تخل بشيءٍ مِنهَا (....)**».

اذاً، فعِلـمُ المعانِـي هُوَ رُوحُ النَّحوِ وعلَّتُهُ وبَيَانُ أغراضِـهِ وأحوالِهِ، فَفِي النَّحوِ نَقُولُ: «**زيدٌ منطلقٌ**» و «**زيدٌ المنطلقُ**» و «**المنطلقُ زيدٌ**». و«**زيدٌ هُوَ المنطلقُ**».

فجميـعُ هَـذِهِ التَّرَاكِيبُ نَحويَّاً مكوّنَةٌ مِنْ مبتدأ وخبـرٍ، وهِيَ فِي هَذَا عَلَى قَدَمِ المُسَـاواةِ، فِي حيـن أنَّ مدلولاتِهَا المعنويَـةَ تَختَلِفُ كثيراً، وهَـذَا الاختلافُ فِي المَعَانِي مِنْ مُهِمَّاتِ عِلمِ المَعَانِي، وقَد لَا نُدرِكُ الفَرْقَ المعنويَّ بَينَ قولِنَا: «**أنَا مَا سَمِعْتُ**»، و«**مَا أنَا سَـمِعتُ**»، و«**مَا سَـمِعتُ أنَا**»، لكنَّ عِلمَ المَعَانِي هُوَ الَّذي يدُلُّنَا عَلَى هَذِهِ الفُرُوقِ، لِذَلكَ قَالُوا: «**إنه علمُ معانِي النحوِ**».

وإذا مَـا انتقلنَا إلَى السكَّاكـيّ، فعِلمُ المَعَانِي عندَهُ:هُوَ تَتَبُّـعُ خَواصٌ تَراكِيبِ الكلامِ فِي الإفَادَةِ ومَا يتصلُ بِهَا مِن الاستحسانِ وغيرِهِ، ليُحتَرَزَ بالوقوفِ عَلَيهَا عَنِ الخَطَأ فِي تطبيقِ الكلامِ عَلَى مَا تَقتضِي الحالُ ذكرَه[1].

وأمَّـا القَزوينيّ فَقَد عرَّفَـهُ بِقَولِهِ: «إنَّه العِلـمُ الَّذي يُعرَفُ بِهِ أحـوالُ اللَّفظِ العَرَبيّ الَّتي بِهَا يطابقُ مقتضَى الحالِ»[2]

كلُّ هـذِهِ التَّعاريفِ تكشِفُ لنَا ارتباطَ عِلمِ المَعَانِي بالنَّحو، إضافةً إلَى توضيحِ طبيعةِ عِلمِ المَعَانِي ووظيفتِهِ فِي التَّعبِيرِ عَنِ الفِكرِ تَعبِيراً يُلائِمُ أحوالَ المخاطَبِينَ وقدراتِهِم فِي الفَهمِ ومَدَى مَا يكونُ لديهِم مِنَ الاستعدادِ لتَقبُّلِ الفكرةِ الَّتي يُرَادُ أداؤهَا[3].

وقد انحصرتْ مباحثُ عِلمِ المَعَانِي فِي ثمانيةٍ هي[4]:

الخبـرُ، الإنشاءُ، المسندُ إليـهِ وأحوالُهُ، المسندُ وأحوالُـه، أحوالُ متعلقاتِ الفعلِ، القصرُ، الفصلُ والوصلُ، الإيجازُ والإطنابُ والمساواةُ[5].

(1) الخطيب القزويني، الايضاح في علوم البلاغة، ص 84.
(2) م.ن.
(3) يراجع البلاغة العربية أصلها وأصولها.
(4) لم نذكر كل مباحث علم المعاني في هذا المختصر.
(5) الدليل الى البلاغة وعروض الخليل، د. علي جميل سلوم ود. حسن محمد نور الدين.

الدرس السادس عشر

الخبر - 1 -

أهداف الدرس

1- أن يتعرّف الطالب إلى معنى الخبر وفائدته البلاغية.

2- أن يدرك بيان الأغراض التي يُستخدم فيها الخبر.

الخَبَرُ:

تعريف الخبر:

كلامٌ يحتمـلُ الصـدقَ والكذبَ لذاتـهِ،وإن شئتَ فقل:«**الخبرُ هو مـا يتحقّقُ مدلولـهُ فـي الخارجِ بـدون النطقِ به**» نحو: العلمُ نافعٌ. فقـد أثبتنا صفةَ النفعِ للعلـم، وتلكَ الصفةُ ثابتـةٌ له، سواءٌ تلفظتَ بالجملةِ السابقـة أمْ لم تتلفظْ؛ لأنَّ نفـعَ العلمِ أمرٌ حاصلٌ في الحقيقةِ والواقعِ، وإنما أنتَ تحكي ما اتفقَ عليه الناسُ قاطبةً، وقضَتْ به الشرائعُ، وهُدِيتْ إليه العقولُ، بدونِ نظرٍ إلى إثباتٍ جديدٍ.

والمرادُ: بصدقِ الخبر مُطابقتُه للواقعِ، والمرادُ بكذبهِ عدمُ مطابقتهِ له.[1]

ولتوضيحِ مَعنَى الخَبَرِ نأخُذُ قولَ أبِي إسحاقَ الغَزِّيِّ[2]:

لَوْلا أبـو الطيِّبِ الكِنْدِيُّ مَـا امتـلأتْ مَسَامِعُ النَّاسِ مِنْ مَدْحِ ابنِ حَمْدَانِ

يخبرُنَـا أبو إسحاقَ بأنَّ أبَا الطيِّب المتنبّي هُوَ الَّذي نَشَرَ فضَائِلَ سَيْفِ الدَّولةِ ابـنِ حَمْدَان، وأذَاعَهَا بَيـنَ النَّاسِ، فيقولُ: لولا أبو الطيِّبِ مَـا ذَاعَتْ شُهرةُ هَذَا الأمِيـرِ ولَا عَرَفَ النَّاسُ مِنْ شَمَائِلِه كلَّ الَّذي عَرَفُـوهُ. وهَذَا قولٌ يَحتَمِلُ أنْ يكونَ الغَـزِّيُّ صادقاً فيهِ، كَمَا يُحتَمَلُ أنْ يكونَ كاذباً، فهُـوَ صادقٌ إنْ كانَ قولُهُ مطابِقَاً

(1) الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 55.

(2) شاعر مجيد اتى في قصائده الطوال بكل بديع ولد بغزة وهي بلدة بالشام وتوفي سنة 524هـ.

للواقِعِ، وكاذِبٌ إنْ كانَ قولُهُ غيرَ مطابِقٍ للواقِعِ.

وهَذَا المتنبِّيْ نفسُهُ يقولُ:

لَا أشْرَئِبُّ إلَى مَا لَمْ يَفُتْ طَمَعَاً وَلَا أَبِيتُ عَلَى مَا فَاتَ حَسْرَانَا

فهُوَ يُخبِرُ عَنْ نفسِهِ بأنَّه قانِعٌ راضٍ بحالِهِ الَّتي هُوَ فِيهَا، فَليسَ مِنْ عادتِهِ أنْ يَتَطَلّعَ مستشرِفاً إلَى مَا هُوَ آتٍ، وَلَيسَ مِنْ دَأبِهِ أنْ يَنْدَمَ عَلَى مَا فَاتَ، ومِنَ المحتَمَلِ أنْ يَكونَ كاذِباً غيرَ صادقٍ.

الأغراضُ الّتي مِن أجلِهَا يُلقى الخَبَرُ[2]

الأصلُ في الخبر أن يلقَى لأحدِ غرضينِ:

1- إمَّا إفادةُ المخاطبِ الحكمَ الَّذي تضمنتْهُ الجملةُ، إذَا كان جاهلاً له، ويسمَّى هـذا النوعُ «**فائدةُ الخبرِ**» نحوُ قولِ رسولِ اللهِ ﷺ - لأصحابِهِ -: «**الدِّينُ النصيحةُ، قُلنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: للهِ، ولكتابِهِ، ولرسولِهِ، ولأئمةِ المسلمينَ، وعامتِهِم**»[3].

2- وإمَّا إفادةُ المخاطبِ أنَّ المتكلمَ عالمٌ أيضاً بأنهُ يعلمُ الخبرَ، كما تقولُ لتلميذٍ أخفَى عليكَ نجاحَه في الامتحانِ - وعلمتَه من طريقٍ آخرَ: «**أنتَ نجحتَ في الامتحانِ**»، ويسمَّى هذا النوعُ «**لازمَ الفائدةِ**»، لأنَّه يلزمُ في كلِّ خبرٍ له هذا الغرض أن يكونَ المخبَرُ به عنده علمٌ أو ظَن بهِ.

3- وقد يخرجُ الخبرُ عن الغرضينِ السابقينِ إلى أغراضٍ أخرى تُستفادُ بالقرائنِ، ومنْ سياقِ الكلامِ.

(1) اشرأب الى الشيء: تطلع اليه.

(2) الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 55 - 56.

(3) الريشهري، ميزان الحكمة، ج 4 ، ص3278.

أهمُّهَا:

أ- الاسترحامُ والاستعطافُ، كقول أمير المؤمنينَ علي عليه السلام في دعاء كُمَيْل: «**يا سَيِّدي فَكَيْفَ بي وَأَنَا عَبْدُكَ الضَّعيفُ الذَّليلُ الْحَقيرُ الْمِسْكينُ الْمُسْتَكينُ**»(1).

ب- إظهارُ الضعف والخشوع، كقوله تعالى على لسانِ النبّي زكريّا عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾(2).

ج- إظهارُ التحسّر على شيء محبوب كقوله - تَعَالَى- عَلَى لسانِ أمّ مريمَ عليها السلام: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾(3).

د- إظهارُ الفرح بمُقْبِل، والشماتة بمدبر، كقوله - تَعَالَى-: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾(4).

هـ- التّذكيرُ بمَا بَيْنَ المراتب منَ التّفاوت كقوله - تَعَالَى-: ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾(5).

و- الفخرُ: كقول الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام في خطبته المَعروفَة: «**أيُّها النَّاس أنَا ابنُ مكةَ ومنَى، أنَا ابنُ زمزمَ والصَّفَا، أنَا ابنُ مَنْ حَمَلَ الرُّكنَ بأطرَافِ الرداء، أنَا ابنُ خَيرِ مَنِ ائتزرَ وارتدَى...الخ**»(6).

(1) الشيخ عباس القمي، مفاتيح الجنان.
(2) سورة مريم، الآية: 4.
(3) سورة آل عمران، الآية: 36.
(4) سورة الاسراء، الآية:81.
(5) سورة الحشر، الآية: 20 - 21.
(6) العلامة المجلسي، بحار الانوار، ج 45، ص 138.

ز- المدحُ: كقولِ عبدِ اللهِ بنِ رَوَاحَة[1] في مَدحِ رسولِ اللهِ ﷺ:

تَحمِلُهُ النـاقَةُ الأَدمـاءُ[2] مُعتَجِراً ... بِالبُـرْدِ كَالبَـدْرِ جَلّى لَيلَةَ الظُلَمِ

وَفـي عِطافَيهِ[3] أَو أَثنـاءِ بُـرْدَتِـهِ ... ما يَعلَمُ اللَّهُ مِـن ديـنٍ وَمِـن كَـرَمِ

وقـد يجـيءُ لأغراضٍ أخرى. والمرجـعُ في معرفـة ذلك إلى الـذوقِ والعقلِ السليمِ.

خاتمة:

إذَا نظرنَـا إلَـى الجملِ فِـي كلِّ الأمثِلَةِ السَّابِقَـةِ، وجَدْنَا كلَّ جملـةٍ مكوّنةً مِنْ رُكنيـنِ رئيسيـن هُمَا المحكـومُ عليهِ والمَحكومُ بِـهِ، ويُسمَّـى الأولُ مسنداً إليهِ، والثاني مسنداً، أمَّا مَا عداهُمَا، فهُو «قيدٌ» في الجملةِ وليسَ ركناً فيهَا[4].

(1) عبـد الله بـن رواحه بـن ثَعْلَبَةَ الأنصاريّ من الخزرج، أبو محمـد. 8 هـ / 629 م صحابيّ، يُعَدُّ من الأمـراء والشعراء الراجزين. كان يكتـب فـي الجاهلية. وشَهِدَ العَقَبَةَ مع السبعينَ من الأنصار، وكان أحـد النقباء الاثنى عشر، وشهد بدراً وأحداً والخندق والحديبية، واستخلفه النبي ﷺ على المدينة في إحدى غزواته، وصحبه في عمرة القضاء، وله فيها رجز. وكان أحد الأمراء في وقعة مؤتة (بأدنى البلقاء في أرض الشام) فاستشهد فيها.

(2) الناقة الأدماء: شديدة البياض، والمعتجر: المُلْتَفّ.

(3) عِطْفَا الرجل: جانباه عن اليمين والشمال.

(4) لمزيد من التفصيل في المسند والمسند اليه تراجع كتب النحو او البلاغة.

القواعد الرئيسة

- الخبـرُ مَا يصـحُّ أنْ يُقالَ لقائله إنَّـه صَادقٌ فيه أو كاذبٌ، فـإنْ كانَ الكلامُ مطابقاً للواقعِ كانَ قائِلُهُ صادقاً وإنْ كانَ غيرَ مطابقٍ لَهُ كانَ قائلُهُ كاذباً.
- الأصلُ في الخبرِ أنْ يُلْقَى لأحدِ غَرَضَين:

أ- إفادةِ المخاطَبِ الحكمَ الَّذي تضمنَتْهُ الجملةُ، ويُسمَّى ذلكَ الحُكمُ «فائدةَ الخبر».

ب- إفادةِ المخاطَبِ أنَّ المتكلِّمَ عَالِمٌ بالحكمِ ويُسمَّى ذَلكَ «**لازمَ الفائدة**».

ج- قد يُلقَى الخبرُ لأغراضٍ أخرَى تُفهَمُ مِنَ السِّياقِ، منها مَا يأتِي:

- الاسترحامُ.
- إظهارُ الضَّعفِ.
- إظهارُ التَّحسّرِ.
- إظهارُ الفرحِ.
- التذكيرُ بِمَا بَينَ المَراتبِ مِنْ تَفَاوتٍ.
- الفخرُ.
- المدحُ.

تمارين

بيّنْ أغراضَ الكلامِ فيما يأتي:

- من كلام لأمير المؤمنين عليه السلام: «مَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ أَصْلَحَ اللهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، وَمَنْ أَصْلَحَ أَمْرَ آخرَته أَصْلَحَ اللهُ لَهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ مِنْ نَفْسِه وَاعِظٌ كَانَ عَلَيْه مِنَ اللّه حَافِظٌ»[1].

- يقول ابو العتاهية:

بكيتُكَ يا عليُّ بدَمْعِ عينيّ ... فَمَا أغنى البُكاءُ عليك شَيّا
وكانَتْ في حَياتك لي عِظاتٌ ... وأنْتَ اليَومَ أوعَظُ مِنْكَ حَيّا

- إنكَ لتَكْظمُ الغَيْظَ، وتَحْلُمُ عندَ الغضبِ، و تَتَجاوزُ عند القُدْرة، وتَصْفحُ عن الزَّلَّة.

- قال أبو فراس الْحَمْدَاني:

إنّا، إذَا اشْتَدّ الزّمَا ... نُ وَنَابَ خَطْبٌ وَادْلَهَمْ
ألفيتَ، حولَ بيوتنا ... عُدَدَ الشّجَاعَةِ وَالكَرَمْ
لِلِقَا العِدَى بِيضُ السّيُو ... فِ وَلِلنَّدَى حُمْرُ النَّعَمْ
هَذَا وَهَذَا دَأبُنَا ... يُودَى دمٌ ويُرَاقُ دَمْ

- قال الشاعر:

مَضَت الليالي البيضُ في زَمَن الصّبا ... وَأَتَى الْمَشِيبُ بِكل يوْم أَسْوِدِ

- قال مروانُ بْنُ أبي حَفْصَةَ من قصيدة طويلة يَرثي بها مَعْنَ بن زائدةَ:

مَضَى لِسَبِيلِهِ مَعْنٌ وأبْقَى ... مَحامِدَ لَنْ تَبِيدَ ولَنْ تُنالا

(1) الامام علي عليه السلام، نهج البلاغة، ج4، ص20.

كَأَنَّ الشَّمْسَ يومَ أُصِيبَ مَعْنٌ   مِنَ الإظْلامِ مُلْبَسَةٌ جلالا
هَوَى الجَبَلُ الذي كانَتْ نِزارٌ   تَهُدُّ مِنَ العَدُوِّ به الجِبالا
فإن يَعْلُ البِلادَ به خُشُوعٌ   فقَدْ كانَتْ تَطُولُ به اخْتِيالا
أصَابَ المَوْتُ يَوْمَ أصابَ مَعْناً   مِنَ الأحياءِ أكْرَمَهُمْ فَعالاَ
وكانَ النّاسُ كلُّهُمُ لمَعْنٍ،   إلى أنْ زارَ حُفْرَتَهُ، عِيالا

- وقال أبو العتاهية قبل موته:

إلهي لا تعذبني فإني   مقرٌّ بالذي قد كانَ مني
فما ليَ حيلةٌ إلا رجائي   لعفوكَ إن عفوت وحُسْنَ ظني
وكمن مِنْ زَلَّةٍ لي في الخطايا   وأنت عليَّ ذو فضل ومَنٌّ
إذا فكرتُ في نَدَمي عليها   عضضت أناملي وقَرَعْتُ سني
أجنُّ بزهرة الدنيا جنوناً   وأقطعُ طولَ عمري بالتمني
ولو أنّي صدقتُ الزهدَ عنها   قلبتُ لأهلها ظهرَ المجنِّ
يظنُّ الناسُ بي خيراً وإني   لَشَرُّ الناس إن لم تعف عني

- وقال أبو النواس أثناء مرض الموت:

دَبَّ فيَّ السّقام سُفْلاً وعُلْوَا   وأراني أموتُ عُضْواً، فعُضْوَا
ليسَ مِنْ ساعَةٍ مضَتْ ليَ   إلاّ نَقَصَتْني بِمرِّها بيَ جُزْوَا
ذَهَبَتْ جدَّتي بطاعةِ نَفسِي   وتذَكّرْتُ طاعَةَ للهِ نِضْوَا
لَهْفَ نَفْسي على لَيالٍ وأيّا   م تَمَلّيتُهنّ لِعْباً، ولَهْوَا
قد أسأنَا كلَّ الإساءَةِ فاللّـ   ـهُمّ صَفحاً عنّا، وغفراً وعفْوَا

من شعرائنا: ابن العرندس [1]

الشيخ صالح بن عبد الوهاب بن العَرَنْدَس الحِلِّي الشهير بابنِ العَرَنْدَسِ، أحد أعلام الشيعة ومن علمائها و مؤلفيها في الفقه والأصول، وله مدائح ومراث لأئمّة أهل البيت عليهم السلام تنمّ عن تفانيه في ولائهم ومناوءته لأعدائهم. عقد له العلّامة السَّمَاوِيّ في «الطليعة» ترجمة أطراه فيها بالعلم والفضل والتُّقَى والنُّسك و المشاركة في العلوم. وأشفعَ ذلك الخطيبُ الفاضلُ اليعقوبيّ في «البابليات» وأثنى عليه ثناء جميلاً، وذكر في «الطليعة» أنّه توفي حدود 840 هـ بالحلّة الفيحاء ودفن فيها وله قبر يزار ويتبرك به. كان ابن العرندس يحاول في شعره كثيراً الجناس على نمط الشيخ علاء الدّين الشفهيني وتعلوه القوّة والمتانة، ويُعرب عن تضلّعه من العربية واللغة. ومن شعره رائية اشتهر بين الأصحاب أنّها لم تقرأ في مجلس إلّا وحضره الإمام الحجّة المنتظر عجل الله فرجه، منها:

وقفتُ على الدار التي كنتُمْ بها ... فمَغْنَاكُمُ من بَعد مَغْنَاكُمُ فَقْرُ
وسالت عليها من دموعِيّ سحائبٌ ... إلى أن تَرَوَّى البانُ بالدَّمْعِ والسِّدْرُ
فَراقَ فِراقُ الروح لِيَ بَعْدَ بُعدِكُمْ ... ودارَ برسم الدارِ في خاطِرِي الفِكْرُ
وقد أقلعتْ عنها السحابُ ولم يُجد ... ولا دَرُّ مِنْ بعدِ الحسينِ لها دَرُّ
إمامُ الهدى سِبْطُ النبوّةِ والدُ الأئمة ... ربُّ النُّهَى مولىً له الأمْرُ
إمامٌ أبوه المُرْتَضَى عَلَمُ الهُدَى ... وصيُّ رسولِ اللهِ والصِّنْوِ والصِّهْرُ
إمامٌ بَكَتْهُ الإنْسُ والجِنُّ والسَّمَا ... وَوَحْشُ الفَلَا والطَّيْرُ والبَرُّ والبَحْرُ
له القُبَّةُ البيضاءُ بالطَّفِّ لم تَزَلْ ... تَطُوفُ بِهَا طَوْعاً ملائكةٌ غُرُّ
وفيهِ رسولُ اللهِ قالَ وقولُهُ ... صحيحٌ صريحٌ ليسَ في ذلِكُمْ نُكْرُ

(1) الشيخ الأميني، الغدير، ج7، ص 14.

حُبِيَ بثلاثٍ ما أحاطَ بِمِثْلِهَا ... ولِيٌّ فَمَنْ زَيْدٌ هناكَ وَمَنْ عَمْرُو
له تُرْبَةٌ فيها الشِّفَاءُ وَقُبَّةٌ ... يُجَابُ بها الدَّاعِي إذا مَسَّهُ الضُّرُّ
وذُرِّيَّةٌ دُرِّيَّةٌ منهُ تِسْعَةٌ ... أَئِمَّةُ حَقٍّ لا ثَمَانٍ ولا عَشْرُ
أَيُقْتَلُ ظَمْآناً حُسَيْنٌ بِكَرْبَلا ... وفي كلِّ عضوٍ مِنْ أناملِهِ بَحْرُ
ووالِدُهُ السَّاقِي على الحَوْضِ في غَدٍ ... وفاطمةٌ ماءُ الفُرَاتِ لها مَهْرُ

الدرس السابع عشر

الخبر - 2 -

أضْرُب الخَبر وخُروجُه عن مُقتَضَى الظاهر

أهداف الدرس

1- أن يتعرّف الطالب إلى صور الخبر في علم المعاني.

2- أن يتعـرّف إلـى حـالات خـروج الخبـر عـن مقتضى الظاهر.

أولاً: أضربُ الخَبَرِ:

حيثُ كانَ الغرضُ من الكلامِ الإفصاحَ والإظهارَ، يجبُ أن يكونَ المتكلمُ مع المخاطَبِ كالطبيبِ مع المريضِ، يشخِّصُ حالتَهُ، ويعطيهِ ما يناسبُها.

فحقُّ الكلام أن يكونَ بِقدْرِ الحاجةِ، لا زائداً عنها، لِئلا يكونَ عبثاً، ولا ناقصاً عنها، لئلا يُخِلَّ بالغرضِ، وهو: الإفصاحُ والبيانُ.

ولهذا تختلفُ صورُ الخبرِ في أساليب اللغةِ باختلافِ أحوالِ المخاطبِ الَّذي تعتريهِ ثلاثةُ أحوالٍ:

1- أنْ يكونَ المخاطَبُ خاليَ الذهنِ من مضمونِ الخبرِ، غيرَ متردد فيه، ولا مُنْكِرٍ له، وفي هذه الحالِ لا يَرى المتكلمُ حاجةً إلى توكيدِ الحكم، لعدم الحاجةِ إلى التوكيد، كقوله - تَعَالَى-: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[1] وقولِ أميرِ المؤمنينَ عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أفضلُ الزُّهدِ إخفاءُ الزُّهد»[2].

ويسمَّى هذا الضربُ من الخبرِ «ابتدائياً»، ويستعملُ هذا الضربُ حين يكون المخاطبُ خاليَ الذهنِ من مدلولِ الخبرِ، فيتمكنُ فيه لمصادفتهِ إيّاهُ خَالياً.

(1) سورة الكهف، الآية: 46.

(2) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ج4، ص7.

2- أنْ يكونَ المخاطَبُ متردّداً في الخبرِ، طالباً الوصولَ معرفتَه، والوقوفَ على حقيقتِه، فيستحسنُ تأكيدُ الكلامِ المُلقَى إليه تقويةً للحُكم، ليتمكَّنَ من نفسه، ويطرحَ الخلافَ وراء ظهرِهِ، كقولِه - تَعَالَى-: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾(1) فَقَد جَاءَ الكلامُ في الآيةِ الكريمةِ مؤكَّداً «بقد» واللامِ(2) أو كقولِ السَرِيّ الرَّفاء(3):

إنَّ البِناءَ إذا ما انهدَّ جانبُه لم يأمَنِ النّاسُ أنْ يَنهدَّ باقِيه

فإنَّه جَاءَ مؤكدًا «بإنَّ». ويُسمَّى هَذَا الضَّربُ مِنَ الخبرِ (طَلَبِيّاً) ويؤتى بالخبرِ مِنْ هَذَا الضَّربِ حِينَ يكونُ المخاطبُ شاكّاً فِي مدلولِ الخبرِ، طالباً التثبُّتَ من صدقِه.

3- أنْ يكونَ المخاطَبُ مُنْكِراً للخبرِ الَّذي يرادُ إلقاؤهُ إليه، معتقداً خلافَهُ، فيجبُ تأكيدُ الكلامِ له بمؤكِّد أو مؤكِّدَين أو أكثرَ، على حسب حاله من الإنكارِ، قوةً وضعفاً، كقولِه -تعالى-: ﴿إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾(4)، وكقولِه - تَعَالَى- عَنْ النَّبي يعقوبَ عليه السلام: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَـٰهُ﴾(5) وقوله: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾(6) ولذلك جاءَ الكَلامُ في الآياتِ مؤكَّداً بمؤكِّدات، هِيَ إن وضمير الفصل في الآية الأولى وإن اللام في الثانية، والقسم الذي

(1) سورة الفتح، الآية: 18.

(2) الضرب الطلبي الذي يحسن توكيده ولا يجب قد يأتي مؤكَّداً بمؤكِّدٍ واحد كما في البيت الآتي، وقد يكون مؤكداً بأكثر من مؤكِّد كما في الآية. والعبرة في الفصل بينه وبين الضرب الإنكاري معرفة حال المخاطب او تحليلها في سياق الكلام، فيرجى التنبه والالتفات.

(3) السرّي بن أحمد بن السرّي الكندي أبو الحسن 366 هـ / 976 م شاعر أديب من أهل الموصل، كان في صباه يرفو ويطرز في دكان له، فعرف بالرفاء ولما جاد شعره ومهر في الأدب قصد سيف الدولة بحلب، فمدحه وأقام عنده مدة، ثم انتقل بعد وفاته إلى بغداد. ومدح جماعة من الوزراء والأعيان، ونفق شعره إلى أن تصدى له الخالديان، وكانت بينه، وبينهما مهاجاة فآذياه وأبعداه عن مجالس الكبراء. فضاقت دنياه واضطر للعمل في الوراقة (النسخ والتجليد)، فجلس يورق شعره ويبيعه، ثم نسخ لغيره بالأجرة. وركبه الدين، ومات ببغداد على تلك الحال. وكان عذب الألفاظ، مفتناً في التشبيهات ولم يكن له رواء ولا منظر. من كتبه (ديوان شعره ط)، و(المحب والمحبوب والمشموم والمشروب - خ).

(4) سورة البقرة، الآية: 120.

(5) سورة يوسف، الآية: 68.

(6) سورة آل عمران، الآية: 186.

ظهرت اللام الواقعة في جوابه)، ونون التوكيد الثقيلة في الثالثة.

ويسمَّى هذا الضربُ مِنَ الخبرِ (إنكارياً)، ويؤتَى بالخبرِ مِنْ هَذَا الضَّربِ حِينَ يكونُ المخاطَبُ مُنْكِراً، وكمَا يكونُ التأكيدُ فِي الإثباتِ، يكونُ في النَّفي أيضاً.

أدواتُ التوكيدِ كثيرةٌ، أشهرُها:

أ- إنَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

ب- لامُ الابتداءِ: ﴿إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا﴾[2].

ج- حروفُ التنبيه: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَـٰسِبِينَ﴾[3].

د- القَسَمُ: ﴿تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾[4].

هـ- نونَا التَّوكيد: ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ﴾[5].

و- الحروفُ الزائدةُ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ﴾[6].

ز- قدْ قبل الفعل الماضي: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[7].

ح- ضميرُ الفصل: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَـٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾[8].

ثانياً: خُروجُ الخبَرِ عَنْ مُقتَضى الظَّاهِرِ

قدْ تقتضي الأحـوالُ العدولَ عن مقتضَى الظاهرِ، ويـورَدُ الكلامُ على خلافِهِ لاعتباراتٍ يلحظُها المتكلِّمُ ومنها:

(1) سورة الحجرات، الآية: 14.
(2) سورة يوسف، الآية: 8.
(3) سورة الانعام، الآية: 62.
(4) سورة النحل، الآية: 56.
(5) سورة يوسف، الآية: 32.
(6) سورة الزمر، الآية: 37.
(7) سورة الفتح، الآية: 18.
(8) سورة البقرة، الآية: 12.

4- تنزيـلُ خالي الذهنِ منزلةَ السائلِ المترددِ: إذا تقدمَ في الكلام ما يشيرُ إلى حكـمِ الخبر، كقولِـهِ - تَعَالَـى- عَلَى لِسَانِ النبّـي يوسفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ﴾[1].

إنَّ هَـذَا الحُكمَ لمَّـا كانَ مسبوقاً بجملةٍ أخرَى وهِيَ قولُـهُ - تَعَالَى-: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ﴾ وهِيَ تُشِيرُ إلَى أنَّ النَّفسَ محكومٌ عليهَا بشيءٍ غيرِ محبوبٍ أصبحَ المخاطَبُ مستشرِفـاً متطلعاً إلى نوعِ هَذَا الحكمِ، فنُزِّلَ مِنْ أجلِ ذَلكَ منزلةَ الطَّالبِ المتردِّدِ وألقيَ إليهِ الخَبَرُ مؤكَّداً. وكقولِهِ - تَعَالَى- مخَاطِبَاً النبيَّ نوحاً عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾[2]، فإنَّ اللهَ سبحانَه لمَّا نَهَى نوحاً عنْ مخاطبتِهِ فِي شـأنِ مخالفِيهِ، دفعَهُ ذَلكَ إلَى التطلُّعِ إلَى مَا سيصيبُهُم فنُزِّلَ لذَلكَ منزلَةَ السائلِ المتردِّدِ؟ أحُكِمَ عليهم بالإغراقِ أمْ لاَ؟ فأُجِيبَ بقولِهِ: ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾.

5- تنزيـلُ غيـرِ المنُكِر منزلةَ المنكِـر: إذا ظهرَ عليه شيءٌ من أمـاراتِ الإنكارِ، كقولِـهِ - تَعَالَـى-، ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾[3]، فمَـا السبَـبُ فِـي إلقاءِ الخبـرِ إليهِم مؤكَّداً؟ السببُ هوَ ظهورُ أَمَاراتِ الإنـكارِ عليهِم، فإنَّ غفلتَهُم عنِ الموتِ وعدمَ استعدادِهِم لَه بالعملِ الصَّالحِ يُعَدّانِ من علاماتِ الإنكارِ، ومِنْ أجـلِ ذَلكَ نُزِّلوا منزلَةَ المنكرين وأُلقيَ إليهِـمُ الخَبَرُ مؤكَّداً بمؤكِّدَين هُمَا «إنَّ» و«اللامُ». وكقولِ حَجَلِ بنِ نضْلَةَ القيسيِّ[4]:

جـاءَ شـقـيـقٌ عـارضـاً رُمْـحَـهُ   إنّ بَـنـي عـمِّـكَ فـيـهـم رِمــاحْ[5]

فـ «شـقيقٌ» رَجلٌ لا يُنكـرُ رماحَ بني عمِّـه، ولكنَّ مجيئَهُ على صـورةِ المُعْجَبِ

(1) سورة يوسف، الآية: 53.

(2) سورة هود، الآية: 37.

(3) سورة المؤمنون، الآية: 15.

(4) شاعر جاهلي.

(5) عارضـا رمحـه أي جاعلا رمحه و هو راكب على فخذيه بحيث يكـون عرض الرمح في جهة العدو و ذلك ادلالا بشجاعته و استخفافا بمن يقابلهم حتى كأنه يعتقد أنهم لا سلاح عندهم.

بشجاعتـهِ، واضعاً رُمحَه على فخذيهِ بالعرضِ- وهو راكبٌ- أو حَاملاً له عرضاً علـى كتفهِ في جهةِ العـدُوّ بدون اكتراثهِ به، بمنزلةِ إنـكارهِ أنَّ لبني عمِّهِ رماحاً، ولـنْ يجدَ منهـم مُقاوماً له،كأنَّهم كلَّهم في نظرهِ عزّل، ليسَ مع أحد منهم رمحٌ. فَأُكِّدَ له الكلامُ، وخُوطبَ خطابَ المنكر.

6- تنزيـلُ المنكرِ منزلـةَ الخالي، إذا كانَ لديه دلائلُ وشواهـدُ لو تأمَّلها لارتدعَ وزال إنـكارُه، كقولـهِ – تَعَالَـى-: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾[1]، فمَا وجهُ ذَلكَ؟ الوجهُ أنّ بَينَ أيدي هؤلاء من البراهينِ الساطعةِ والحُجَجِ القاطعةِ مَا لَو تأمَّلوا لوجدوا فيهِ نهايةَ الإقناعِ ولِذَلكَ لَمْ يُقِمِ اللّه لهذَا الإنكارِ وزناً ولَمْ يعتدَّ بِهِ فِي توجيهِ الخِطَابِ إليهِم.

(1) سورة البقرة، الآية: 163.

لِلْمخَاطِبِ ثَلاَثُ حالاتٍ[1]:

1- أَن يَكُونَ خاليَ الذِّهْنِ مِنَ الحُكْم، وفي هذه الحال يُلْقَى إلَيْهِ الخبَرُ خالياً مِنْ أدواتِ التوكيد، ويُسَمَّى هذا الضَّرْبُ من الخَبر ابتدائيّا.

2- أن يكُونَ مُتَرَدِّدا في الحكُم طالباً أَنْ يَصِلَ إلى اليقين في معرفَتِه، و في هذه الحال يَحْسُنُ توكيده له لِيَتَمَكنَ مِنْ نفسه، ويُسَمَّى هذا الضَّرب طلبيًّا.

3- أَنْ يَكُون مُنْكِرًا لهُ، وفى هذه الحال يَجبُ أَنْ يُؤَكَّدَ الْخَبَر بمؤكِّدٍ أَوْ أَكْثَرَ على حَسب إنكاره قوّةً وضَعْفاً، وَيُسَمَّى هذا الضَّرْبُ إنكاريًّا.

4- لِتَوْكِيدِ الخَبَرِ أدواتٌ كثيرَةٌ منها إنّ، والقَسَمُ، ولاَمُ الابْتِدَاء، ونُونَا التَّوْكِيدِ، وأَحْرُفِ التَّنْبيه، و الْحُرُوفُ الزَّائِدَةُ، وقَدْ قبل الفعل الماضي، وضمير الفصل.

5- إِذَا ألقيَ الْخَبَرُ خالياً من التَّوْكِيدِ لخالي الذِّهْن، ومؤَكَّدا استحسانا للسائل المُتَرَدِّدِ، و مؤكدًا وُجُوباً لِلْمُنكِر، كان ذلك الخبرُ جارياً عَلَى مُقْتَضى الظَّاهِر.

6- قد يَجْري الخَبَرُ عَلَى خلافِ ما يَقْتَضِيهِ الظَّاهِرُ لاعتبارات يَلْحَظها المتكَلِّمُ ومنْ ذلك ما يأتي:

أ- أَنْ يُنَزَّلَ خاليَ الذِّهْن مَنْزِلَةَ السائل المُتَرَدِّدِ، إذَا تَقَدَّمَ في الكلام ما يُشِيرُ إلى حُكْمِ الخَبَر.

ب- أَنْ يُجْعلَ غَيْرُ الْمُنْكرِ كالْمُنْكِر، لِظُهور إمارات الإنكار عَلَيْه.

ج- أَنْ يُجْعَلَ الْمُنْكِرُ كغَيرِ المنكر، إن كانَ لدَيْهِ دَلائلُ وشَوَاهِدُ لَوْ تأملها لارْتَدَعَ عَنْ إنْكارِه.

(1) علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص 127.

تمارين

1- بيّن أضربَ الخبر فيما يأتي وعَيّنْ أداة التوكيد:

- يقول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «الدَّهرُ يُخْلِقُ الأبْدَانَ، وَيُجَدِّدُ الآمَالَ، وَيُقَرِّبُ المَنِيَّةَ، ويُبَاعِدُ الأُمْنِيَّةَ، مَنْ ظَفرَ به نَصِبَ، ومَنْ فَاتَهُ تَعِبَ»[1].

- قال الأرجاني:

ذَهَبَ التكرُّم وَالوَفَاءُ مِنَ الوَرَى وتَصَرَّمَا إلا مِنَ الأشعارِ
وفَشَتْ خِيانَاتُ الثِّقاتِ وغَيْرِهِمْ حتى اتهَمْنَا رؤْيَةَ الأبْصارِ

- وقال العبَّاس بن الأَحْنَف:

فأُقسِمُ ما تركي عِتابَكِ عنْ قِلىً ولكنْ لِعِلْمِيَ أنّهُ غيرُ نافعِ

- وقال محمّد بن بشير:

إنى وإنْ قصُرَتْ عن همتي جِدَتِي وكان ماليَ لاَ يَقْوَى عَلَى خُلُقِيْ
لَتَارِكٌ كلَّ أمرٍ كان يُلْزِمُنِيْ عارًا وَيُشْرِعُنِي في المَنْهَلِ الرَنِقِ

- قال -تعالى-: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2].

- وقال -تعالى-: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾[3].

- قال أبو نُوَاس:

ولقد نَهَزْتُ مع الغُوَاةِ بِدَلْوِهِمْ وَأَسَمْتُ سَرْحَ اللَّهْوِ حيثُ أَسَامُوا

(1) الامام علي عليه السلام، نهج البلاغة، ج4، ص 16.
(2) سورة يونس، الآية: 62.
(3) سورة المؤمنون، الآيات: 1-4.

وبَلَغْتُ ما بَلَغَ امرؤٌ بِشَبَابِهِ، فإذا عُصَارَةُ كلِّ ذاكَ أَثَامُ

- وقال أعرابيٌّ:

ولَمْ أَرَ كالمَعْرُوفِ، أمَّا مَذاقُهُ، فَحُلْوٌ، وأما وجْهُهُ، فَجَمِيلُ

- وقال كَعْب بن سعد الغَنَوِيّ:

ولستُ بُمبدٍ للرجالِ سَرِيرَتي ومَا أنَا عَنْ أسرارِهِمْ بِسَؤلِ

- وقال المَعَرِّيُّ في الرثاء:

إنَّ الذي الوَحْشَةُ في دارِهِ تُؤْنِسُهُ الرَّحمةُ فِي لَحْدِهِ

2- بين وجه خروج الخبر عن مقتضى الظاهر في كل مثال من الأمثلة الآتية:

- قال -تعالى-: ﴿.. وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ..﴾(1).

- وقال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾(2).

- وقال أيضاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾(3).

- إنَّ الفراغ لَمَفْسدةٌ (تقوله لمنْ يعرفُ ذلك ولكنه يَكره العمَلَ).

- العلم نافعٌ (تقول ذلك لمن ينكر فائدة العلوم).

- قال أبو الطَّيِّب:

تَرَفَّقْ أيّها المَوْلَى عَلَيهِمْ فإنّ الرِّفْقَ بِالجانِيَ عِتَابُ

(1) سورة التوبة، الآية: 103.

(2) سورة الاخلاص، الآيتان: 1-2.

(3) سورة الحج، الآية: 1.

من شعرائنا المعاصرين: الشيخ أحمد الوائلي[1]

الشيخ أحمد ابن الشيخ حسون بن سعيد بن حَمُّود. عالم بارز وخطيب وكاتب وأديب شاعر. ولد في النجف الأشرف في 17 ربيع الأوّل سنة 1347 هـ / 1927 م، وتتلمذ على أبيه الخطيب الشاعر، وعلى غيره ثمّ التحق بجمعيّة منتدى النشر متدرّجاً في مناهجها، ثمّ أكمل خارجها مراحل الدراسة الحوزوية العالية على يد أساتذة النجف ومجتهديها المشهورين، ثمّ ساهم في المنهج الإصلاحيّ يومذاك. ضمّ إلى جانب ذلك الدراسة المنهجيّة الأكاديمية منتهياً بالحصول على شهادة الدكتوراه من جامعة القاهرة.

يتميّز شعر الأستاذ الوائلي بفخامة الألفاظ وبريق الكلمات وإشراقة الديباجة، فهو يُعْنَى كثيراً بأناقة قصائده، وتلوين أشعاره بريشة مترفة.

لذلك فهو شاعر محترف مجرّب، ومن الرعيل الأوّل المتقدّم من شعراء العراق. وهو شاعر ذو لسانين فصيح ودارج، وأجاد وأبدع بكليهما، وهي بحقّ من عيون الشعر الشعبي كقصيدة (حمد)، وقصيدة (سيارة السهلاني)، وقصيدة (شُبَّاك العباس)، وقصيدة (سوق ساروجه)، وقصيدة (داخل لندن)، وقصيدة (وفد النجف)، وكلّها من القصائد الرائعة. ويجري الشعر على لسانه مجرى السهل الممتنع، بل يرتجله ارتجالاً.

وللوائلي دواوين صغيرة مطبوعة تحت عنوان الديوان الأوّل والديوان الثاني من شعر الشيخ أحمد الوائلي، وقد جمعت بعض قصائده الّتي تنوّعت في مضامينها في ديوانه المسمّى باسم (ديوان الوائلي)، والّتي كانت من غرر

(1) الحاج حسين الشاكري، علي في الكتاب والسنة والأدب، ج 5، ص 286 - 289.

أشعـاره فـي المدح، والرثـاء، والسياسة. ومن شعره في أهـل البيت قصيدة في رثـاء أمير المؤمنين عليّ بن أبـي طالب عليه السلام لم تطبع كغيرها في ديوان شعره مطلعها:

أَفِيـضِيْ فَـبَرْدُ الليلِ مدَّ حواشِيهِ ... وعُبِّيْ فـؤادُ الكرمِ رَاقَـتْ دَوَالِيـهِ

ومنها:

أطـلَّ علـيَّ يـحملُ الـهَـدْيَ مِشْـعَلاً ... لشَعْب تمادى في الضَّلالِ ودَاجِيهِ
أسـفَّ فـأعطـى لابـنِ هِـنْـدِ زِمَـامَـهُ ... فَضَـلَّ بِـهِ فِي مَهْمَهٍ مِـنْ فَيَافِيهِ
فـهبَّ عـلـيٌّ والــدروبُ حَـوَالِـكٌ ... مُـعَـتَّـمَـةٌ والأُفْـقُ غـابـتْ دَرَارِيـهِ
بِـيُـمْـنَـاهُ بـتّـارٌ ويُـسْـرَاهُ مِشْـعَلُ ... الـهُدَى وكتـابُ اللهِ يَنْـثَالُ مِنْ فِيهِ

وهي أكثر من أربعين بيتاً طُبعت في كتاب شعراء الغَرِيّ للخاقاني مع مجموعة أخرى من شعره القديم.

وله قصيدة في الامام الحسين عليه السلام:

الجـــراحاتُ والـــدَّم المطلولُ ... أيـنعتْ فـــالزَّمانُ منها خَمِيْلُ
ومــضتْ تُنْشِئُ الفُتُــوحَ وبعضُ ... فـيمـا يُـعْـطِـيـهِ فَـــتْحٌ جَـلِيْـلُ
والدَّمُ الحُـــرُّ ماردٌ يُنبئُ الأحــرارَ ... والـثـائـريـنَ: هــــذا السبيلُ
وحـديثُ الجِـرَاحِ مَجْدٌ وَأَسْمَى ... سِيـرِ المجدِ ما رَوَتْـهُ النُّصُولُ
ثمّ عُذْراً إنْ تِهتُ يا دَمُ، يا جُـرْحُ، ... فقدْ أســـكرَ البيـانَ الشَّمُولُ

الدرس الثامن عشر

الإنشاءُ - 1 -

أهداف الدرس

1- أن يتعرّف الطالب إلى مبحث الإنشاء في علم المعاني.

2- أن يتعرّف إلى صيغ الأمر ومعانيه.

الإنشاءُ:

لغةً الإيجادُ

وفي الاصطلاحِ: مَا لَا يحتملُ صدقاً ولاَ كذباً، كالأمرِ والنهيِ والاستفهامِ والتمنِّي والنداءِ وغيرها، فإنكَ إذا قلتَ: «اللّهُمَّ ارحمْني» لا يصحُّ أن يقالَ لك: صادقٌ أو كاذبٌ.

وقيلَ -أيضاً- في تعريفِ الإنشاءِ: هُوَمَا لَا يحصلُ مضمونُهُ ولَا يَتَحقَّقُ إلَّا إذَا تلفَّظتَ بهِ.

فطلبُ الفعلِ فِي: افعَلْ، وطلبُ الكفِّ في لاَ تَفْعَلْ، وطلبُ المحبوبِ في: التَّمَنِّي، وطلبُ الفهمِ في: الاستفهامِ، وطلبُ الإقبالِ في النِّداء، كلُّ ذلك ما حصلَ إلا بنفسِ الصِّيغِ المتلَفظِ بها.

أقسامُ الإنشاءِ

الإنشاءُ غيرُ الطلبيِّ:

ما لا يستدعي مطلوباً غيرَ حاصلٍ وقتَ الطلبِ، وهو على أقسامٍ:

1- المدحُ والذمُّ: ويكونان بـ «**نعْمَ**» و «**حبَّذا**» و «**ساءَ**» و«**بئسَ**» و«**لا حبَّذا**»، كقولِهِ -

تَعَالَى-: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾(1)، و قولِهِ - تَعَالَى-: ﴿... وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(2).

2- ألفــاظُ العقودِ الإيقاعات: سواءٌ كانتْ بلفظِ الماضــي، نحو: «بعتُ» و«وهبتُ» و«قبلتُ البيع أو الهبة» أم بغيره، نحو: «هذا لك» في العقود، ونحو «زوجتي طالقٌ» و«عبدي حرٌّ» في الايقاعات.

3- القَسَــمُ: ســواءٌ كان بالــواو أو بغيرِها، نحــو: «واللهِ» و «تــاللهِ» و «لعمرُك». - كقولِهِ - تَعَالَى- : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾(3)، وقولِــهِ - تَعَالَى- : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾(4).

4- التعجّبُ، ويأتي قياساً بصيغةِ «ما أفعلَه» و «أفعلْ بهِ» كقولِهِ - تَعَالَى-: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ..﴾(5)، وكقولِ الصِّمَّة بنِ عَبْدِ اللهِ(6):

بنفسي تلْكَ الأرض ما أَطْيَب الرُّبَا!   ومَــا أَحْسَــنَ اَلْمُصْطَافَ والمتَرَبَّعَا

5- الرجــاءُ: ويأتي بـ «عسَــى» و «حرَى» و «اخلولـقَ» كقولِهِ - تَعَالَى-: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ ﴾(7).

وأنــواعُ الإنشاءِ هَــذِهِ (غير الطلبي) ليستْ مِنْ مَبَاحِــثِ عِلمِ المعاني، ولذلكَ نقتصرُ فيهَا عَلَى مَا ذَكَرنَا.

(1) سورة ص، الآية: 30.
(2) سورة آل عمران، الآية: 151.
(3) سورة النساء، الآية: 65.
(4) سورة الحجر، الآية: 72.
(5) سورة مريم، الآية: 38.
(6) الصِّمَّةُ بنُ عبد الله بن الطُّفَيْل بن قُرَّةَ القُشَيْرِيّ، من بني عامر بن صعصعة، من مضر. 95 هـ / 713 م شاعر غَزِل بَدَوِيٌّ، من شعراء العصر الأموي، ومن العشاق المُتَيَّمِين. كان يسكن بادية العراق، وانتقل إلى الشام. ثم خرج غازياً يريد بلاد الدَّيْلَم، فمات في طَبَرِسْتَان.
(7) سورة المائدة، الآية: 52.

الإنشاءُ الطلبيُّ:

هـوَ الَّذي يستدعِي مطلوباً غيرَ حاصلٍ وقتَ الطلـبِ -حسبَ اعتقادِ المتكلّمِ- وهو المبحوثُ عنه في علمِ المعاني، لما فيه منَ اللطائفِ البلاغيّةِ، وأنواعُه خمسةٌ:

1- الأمـرُ: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾(1).

2- النهــيُ: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾(2).

3- الاستفهــامُ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(3).

4- التمنـيُّ: ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾(4).

5- النداءُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾(5).

هَٰذِهِ هِيَ أَنواعُ الإنشاءِ الطلبيِّ الَّتي سنبحثُ عنهَا فِي هَذَا الكتابِ.

الامرُ:

وهو طلبُ حصولِ الفعل من المخاطَبِ على سبيلِ الاستعلاءِ، وصِيَغُهُ أربعٌ هي:

1- فعلُ الأمرِ، كقولِهِ – تَعالَى-: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ ﴾(6).

2- المضارعُ المجزومِ بلام الأمر كقولِهِ – تَعَالَى-: ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ﴾(7).

(1) سورة العنكبوت، الآية: 45.
(2) سورة لقمان، الآية: 18.
(3) سورة الزمر، الآية: 9.
(4) سورة النساء، الآية: 73.
(5) سورة المائدة، الآية: 67.
(6) سورة الاسراء، الآية: 78.
(7) سورة البقرة، الآية: 282.

3- أو باسم فعل الأمر، كقولِهِ – تَعَالَى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾[1].

4- المصدر النائب عن فعلِ الأمرِ كقولِهِ – تَعَالَى-: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ.. ﴾[2].

وقد تخرجُ صيغةُ الأمرِ عن معناها الأصليّ- وهو طلب الفعل من العالي للداني على وجه الإيجاب والإلزام- فتدلُّ عَلَى معانٍ أخرَى يُدركُها السَّامعُ مِنَ السِّياقِ و قرائِنِ الأَحوالِ ومنها:

1- الدُّعاءُ، كقولِهِ – تَعَالَى- عَن لِسَانَ سُليمَانَ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ ﴾[3]، فإنَّه يخاطبُ مالكَه وخالقَه، والمالكُ لَا يأمُرُهُ أَحدٌ مِن خَلقِهِ. وإنَّما يُرادُ بِهَذَا الأمرِ الدعاءُ، وكَذلكَ كلُّ صيغةٍ للأَمرِ يُخاطِبُ بِهَا الأَدنَى مَن هُوَ أَعلى منه منزلةً وشأناً.

2- الالتماسُ، كقولِ امرؤ القيس[4]:

قِفا نَبكِ مِن ذِكرى حَبيبٍ وَمَنزِلِ   بِسِقْطِ اللِوى بَينَ الدَخُولِ فَحَومَلِ

فإنه يتخيَّل صاحبين يستوقفهما ويستبكيهما جرياً على عادةِ الشُّعراءِ،

(1) سورة المائدة، الآية: 105.

(2) سورة محمد، الآية: 4.

(3) سورة النمل، الآية: 19.

(4) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي. 130 – 80 ق. هـ / 496 – 544 م شاعر جاهلي، أشهر شعراء العرب على الإطلاق، يمانيُّ الأصل، مولده بنجد، كان أبوه ملك أسد وغَطَفَان، وأمه أخت المُهَلْهِل الشاعر. قال الشعر وهو غُلَام، وجعل يُشَبِّبُ، ويلهو، ويعاشر صعاليك العرب، فبلغ ذلك أباه، فنهاه عن سيرته فلم ينته، فأبعده إلى حَضْرَمَوْت، موطن أبيه وعشيرته، وهو في نحو العشرين من عمره. أقام زَهَاء خمسِ سنين، ثم جعل ينتقل مع أصحابه في أحياء العرب، يشرب، ويطرب، ويغزو، ويلهو، إلى أن ثار بنو أسد على أبيه فقتلوه، فبلغه ذلك وهو جالس للشراب فقال: رحم الله أبي! ضَيَّعني صغيراً وحَمَّلني دمه كبيراً، لا صحو اليوم، ولا سكر غداً، اليوم خمر، وغداً أمر. ونهض من غده فلم يزل حتى ثأر لأبيه من بني أسد، وقال في ذلك شعراً كثيراً كانت حكومة فارس ساخطة على بني آكل المرار (آباء امرؤ القيس) فأوعزت إلى المنذر ملك العراق بطلب امرئ القيس، فطلبه، فابتعد وتفرق عنه أنصاره، فطاف قبائل العرب حتى انتهى إلى السموأل، فأجاره ومكث عنده مدة. ثم قصد الحارث بن أبي شمر الغَسّاني والي بادية الشام لكي يستعين بالروم على الفرس فسيّره الحارث إلى قيصر الروم يوستينيانس في القسطنطينية، فوعده، وماطله، ثم ولّاه إمارة فِلَسْطِين، فرحل إليها، ولما كان بأنقرة ظهرت في جسمه قروح، فأقام فيها إلى أن مات.

إذ يتخيَّلُ أحدُهم أنَّ لَهُ رفيقين يصطحبانِهِ فِي غدُوِّهِ ورواحِهِ، فيوجِّه إليهمَا الخِطَابَ، و يفضِي إليهما بسرِّه و مكنونِ صدرِه، بصيغةِ الأمر وإذا صدرت مِنْ رفيقٍ لرفيقِهِ أو مِنْ ندٍّ لِندِّه لم يُردْ بها الإيجابُ والإلزامُ. وإنَّما يُرادُ بِهَا محضُ الالتماسِ[1].

3- الإرشادُ، كقولِهِ - تَعَالَى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾[2]، فإنَّه - تَعَالَى- لا يريدُ تكليفاً ولا يقصدُ إِلَى إلزامٍ، وإنَّما ينصحُ الَّذين يتداينونَ، ويرشدُهُم إلَى الطَّريقِ المُثلَى لحفظِ الحقوقِ وتجنُّبِ المخاصَمَةِ، فالأَمرُ هنا للنصحِ والإرشادِ، لا للإيجابِ والإلزامِ.

4- التهديدُ، كقولِهِ - تَعَالَى-: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[3].

5- التعجيزُ، كقولِهِ - تَعَالَى-: ﴿فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ﴾[4].

6- الإباحةُ، كقولِهِ - تَعَالَى-: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِ﴾[5].

7- التسويةُ، كقولِهِ - تَعَالَى-: ﴿فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ﴾[6].

8- الإكرامُ كقولِهِ - تَعَالَى-: ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾[7]، وقوله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ﴾[8].

9- الامتنانُ، كقولِهِ - تَعَالَى-: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾[9].

(1) علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص 146.
(2) سورة البقرة، الآية: 282.
(3) سورة فصلت، الآيات: 40-41.
(4) سورة يونس، الآية: 38.
(5) سورة البقرة، الآية: 187.
(6) سورة الطور، الآية: 16.
(7) سورة الحجر، الآية: 46.
(8) سورة ق، الآية: 34.
(9) سورة النحل، الآية: 114.

10- الإهانةُ والتحقيرُ، كقولِهِ – تَعَالَى-: ﴿۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴾[1]، وقولِ جريرٍ يهجُو الشَّاعرَ النُّمَيْرِيَّ[2]:

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ   فَلا كَعْباً بَلَغْتَ وَلا كِلابَا

11- التمنِّي، كقولِ امرؤ القيس:

ألا أيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ ألا انْجَلِي   بِصُبْحٍ وَمَا الإصباحُ مِنْكَ بِأمْثَلِ

12- الاعتبارُ، كقولِهِ – تَعَالَى-: ﴿ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ﴾[3].

13- الإذنُ، نحو قولك: (ادخلْ) لمن طرقَ الباب. وكقولِهِ – تَعَالَى- لأهلِ الجنَّةِ: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾[4]. وقولِهِ: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾[5].

14- التكوينُ (الخلق)، كقولِهِ – تَعَالَى-: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[6].

15- التخييرُ، كقولِهِ – تَعَالَى-: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً﴾[7]، وقوله: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[8].

(1) سورة الإسراء، الآية: 50.

(2) محمد بن عبد الله بن نُمَيْر بن خرشة الثَّقَفِي النُّمَيْرِيّ. 90 هـ / 708 م شاعر غَزِل، من شعراء العصر الأموي، مولده ومنشؤه ووفاته في الطائف. كان كثيرَ التشبيب بزينب أخت الحجاج، وأرقُّ شعره ما قاله فيها من قصيدته التي مطلعها:

تضوع مسكاً بطن نعمان إذ مشت   به زينبٌ في نسوةٍ عَطِرَاتِ

(3) سورة الانعام، الآية: 99.

(4) سورة الحجر، الآية: 46.

(5) سورة ق، الآية: 34.

(6) سورة يس، الآية: 82.

(7) سورة النساء، الآية: 3.

(8) سورة المائدة، الآية: 33.

16- التعجّب، كقوله - تعالى-: ﴿ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾[1].

القواعد الرئيسة

- الإنشاءُ مَا لَا يصحُ أنْ يُقَالَ لقائلهَ إنَّه صادقٌ فيه أو كاذبٌ

- الإنْشاء نوعان طَلبَيٌّ و غَيْرُ طلبيّ:

أ- فالطلبيُّ ما يَسْتَدْعي مَطْلوباً غَيرَ حاصل وقتَ الطلب، ويكونُ بالأمر، والنهْي، والاستفهام، والتمني، والنِّداء.

ب- وغَيْر الطَّلبي ما لا يَسْتَدْعي مطلوباً، وله صيَغ كَثيرة منها: التَّعَجُّب، والمدح، والذم، والقَسَمُ، وأفعالُ الرجاء، وكذلك صِيَغُ العُقُودِ.

- الأمر طَلَبُ الفِعْل على وجْه الاسْتعْلاء.

- للأَمْـر أَرْبَعُ صيَـغ: فعْلُ الأمر، والمُضَـارعُ المقرونُ بـلام الأَمْر، واسمُ فعْل الأَمْر، والمَصْدرُ النَّائبُ عَنْ فعْل الأَمْر.

- قَـدْ تَخْرُجُ صيغ الأَمْر عَنْ مَعْناها الأصليّ إلى مَعانٍ أُخْرَى تُسْتفادُ منْ سياق الـكلام، كالإرشَـاد، والدّعاء، والالْتماس، و التمني، والتَّخْيير والتَّسْوية و التَّعْجيز، والتَّهْديد، والإباحة، والتعجّب....

(1) سورة الاسراء، الآية: 48.

تمارين

1- بيّن نوع الإنشاء في كل مثال من الأمثلة الآتية:

- قال أبو تمام:

لا تسقني مــاءَ الــمَــلَامِ فإنَّــنــي   صَــبٌّ قــدِ استعذبتُ مــاءَ بُكائي

وقال ابن الزيات:

يا ناصِرَ الدين إذْ رَثَّــتْ حبائلُه   لأنــتَ أكــرمُ مَــن آوَى ومَــنْ نَصَرَا

- وقال أميةَ بن أبي الصَّلْت في طلب حاجة:

أَأَذْكُـــــرُ حــاجَتِــي أَم قــد كَـفانِـي   حَــيــاؤُكَ، إنَّ شِـيمَتَكَ الحَياءُ

- و قال زُهيْرُ بن أبى سُلْمى:

نِعْمَ امــرَءًا هَــرِمٌ، لم تَعْرُ نائِبَةٌ   إلاَّ وكـــانَ لِـمُــرتَــاعٍ بهـا وَزَرا

- قال امرؤ القيس:

أجــارتَــنــا إنـــا غَــريــبـانِ هـاهُـنـا   وكـــلُّ غــريــبٍ لــلــغـريـب نـسـيـبُ

- وقال آخر:

يا ليتَ منْ يمْنَع المعروفَ يَمْنعُهُ   حتى يـذوقَ رجـالٌ غِـبَّ مـا صنعوا

- وقال دِعْبلُ الخُزاعيُّ:

مـا أكْثر النَّـاسِ! لا بلْ ما أقَلَّهُمُ!   اللهُ يَعلَمُ أَنّـــي لَـم أَقُـــلْ فَنَـدا
إنِّــي لأفْتَحُ عيني حِين أفتَحُها   عـلـى كثير ولـكـنْ لا أرى أَحَــدا

2- حدّد صيغ الامر في الأبيات الآتية ومفاد كل واحد منها:

- قال المتنبي:

وَكُـنْ عَلى حَـذَرٍ للنّـاسِ تَسْـتُرُهُ   وَلا يَـغُـرَّكَ مِـنـهُـمْ ثَـغْـرُ مُـبتَسِـمِ

- وقال علي الجارم:

يـا خَـلِـيـلَـيَّ خَـلِّـيـانِـي وَمـا بِـي   أَوْ أَعِـيـدَا إِلَـيَّ عَـهْـدَ الـشَّـبابِ

- وقال عنترة:

يـا دَارَ عَـبْـلَـةَ بـالْـجِـواءِ تَـكَلَّمِـي   وعِـمِـي صَباحاً دَارَ عَبْلَةَ واسْلَمِي

- قال مسلم بن الوليد:

اسْلَمْ يـزيـدُ فَما في الـديـن من أوَدٍ   إذا سلمتَ و ما في المُلكِ منْ خَلل

- وقال ابن الرومي:

أرنـي الـذي عـاشَـرْتَـهُ فَـوَجـدْتَـه   مُـتَـغـاضِـيـاً لَـكَ عَـنْ أقَـلِّ عِـثـارِ

- وقـال - تعالى -: ﴿ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[1].

(1) سورة الطور، الآية: 16.

من شعرائنا المعاصرين: السيّد مصطفى جمال الدِّين[1].

السيّـد مصطفى بن جعفـر ابن الميرزا عناية الله، مـن أسرة جمال الدِّين، وهـي أسرة مشهـورة بالعلم والشـرف والأدب. أديب كبير وعالـم فاضل مؤلّف وَعَلَـم بارز. ولد بقرية المؤمنين التابعة لسـوق الشيوخ [في العراق] عام 1346 هـ/ 1927 م. وأرسلـه أهله إلـى النجف الأشـرف للدراسة في الحـوزة العلمية صبيّـاً، فتدرّج في مراحلها حتّـى حضر بحوث مرحلة الخارج علـى أيدي أمثال السيّد الخوئي قدّس سرّه وغيـره، وتأثّر بمنهج الشيخ المظفّر الإصلاحيّ وساهم فيه إلى جانب زملائه العديدين من رموز دينيّة وسياسيّة معاصرة، ووقف في خضمّ ذلك مع حركة التجديد في النجف المنادية بتغيير المناهج الدراسيّة وتطويرها، كمـا برز شاعراً مميّزاً من الرعيل الأوّل لـه أسلوبه الخاصّ ورؤيته الفريدة الّتي صقلتهـا في موهبتـه مواكبته لمجمل حركة الأدب العربي، فجـاء شعره امتداداً لمدرسـة العمود الّتي كادت أن تأتي عليها نزعـات التحديث والاستلاب، وله في ذلـك أتباع من الشعراء الشباب. وقـد واصل إلى جانب ذلك دراسته الأكاديمية متخرّجاً من كليّة الفقه عام 1382 هـ / 1962 م، ثمّ من جامعة بغداد في مرحلتي الماجستيـر والدكتوراه برسالتين مشهورتين تُعدّان إلـى جانب مؤلّفاته الأخرى فـي النحو والأصول والأدب ثروة هامّة للحركة الثقافية المعاصرة. وقد صدر له أخيراً (الديوان) قبل وفاته بعام. كما ارتبط بأغلب أدباء العربية بعلائق متينة، وشـارك في مؤتمرات شعريّة وملتقيات كثيـرة، كما كتبت عنه الصحافة الأدبية واحتفى به الشعراء والمثقّفون. هاجر من بلده العراق في عام 1401 هـ / 1980 م إلـى الكويت ثـمّ إلى سوريا حيث شارك في تجربـة معارضة النظام المتسلّط علـى العراق إلى جانب مشاركته في رعاية الحركـة الثقافيّة والأدبيّة حتّى وافته

(1) الحاج حسين الشاكري، علي في الكتاب والسنة والأدب، ج 5، ص 286 - 289.

المنيّة في دار الهجرة في عام 1417 هـ - 1996 م، وبذلك فقد الأدب العربيّ المعاصر واحداً من أعلامه الكبار، والحوزات والمؤسّسات العلمية شيخاً من روّادها المميّزين. وله من قصيدة في أمير المؤمنين عليه السلام:

سَمَوْتَ فكيف يلحقُكَ القَصِيدُ ... وأجنحةُ الخيالِ لها حُدُودُ؟!
وكيف يُطالُ شَأْوُكَ في جَنَاحٍ ... قوادِمُهُ مَزَاميرٌ وَعُودُ!!
فَهَبْنِي ما أقولُ.. فإنّ فِكْراً ... إليك رَقَى.. سَيُتْعِبُه الصُّعُودُ
فلستَ الأرضَ يقطعها مُغِذٌّ ... ولستَ النورَ يُدْرِكُ ما يريدُ
أبا حسنٍ وإن أعيَى خَيَالِي ... فقصّرَ دونَ غايَتِهِ النَّشِيدُ

وله أيضاً قوله:

ظَمِئَ الشعرُ أم جفاكَ الشُّعُورُ ... كيفَ يَظْمَا مَنْ فيهِ يَجْرِي الغَدِيرُ
كيف تَعْنُو للجَذْبِ أغراسُ فِكْرٍ ... لعليٍّ بها تَمُتُّ الجُذُورُ

ومنها:

سيّدي أيّها الضميرُ المُصَفَّى ... والصراطُ الّذي عليهِ نَسِيرُ
لك مَهْوَى قلوبِنَا، وعلى زا ... دِكَ نُرَبِّي عُقُولَنَا، وَنَمِيْرُ
وإذا هَزّتِ المخاوفُ رُوحاً ... وارتَمَى خافقٌ بها مذعورُ
قَرَّبَتْنَا إلى جراحِكَ نارٌ ... وهدانا إلى ثُبَاتِكَ نورُ
باعدتنا عن (قومنا) لغةُ الحُبّ ... فظنّوا: أنّ اللُّبَابَ القُشُورُ
بعضُ ما يُبْتَلَى بهِ الحبُّ هَمْسٌ ... من ظُنون.. وبعضُهُ تشهيرُ
إنّ أقسى ما يحملُ القلبُ أن ... يُطلبَ منهُ لِنَبْضِهِ تفسيرُ
نحن نَهْواكَ، لا لشيءٍ، سوى أنّـ ... ـك من أحمدٍ أخ ووزيرُ
ضرب الله بين وَهْجَيْكُمَا حد ... داً: فأنتَ المَنَارُ وَهْوَ المنيرُ
وإذا الشمسُ آذَنَتْ بمَغِيبٍ ... غطّتِ الكونَ مِنْ سَنَاهَا البدورُ

الدرس التاسع عشر

الإنشاء – 2 –

النَّهي والاستفهام

أهداف الدرس

1- أن يتعـرّف الطالـب إلـى صيغتـيّ النهـي والاستفهام الإنشائيتين.

2- أن يتدرّب على استخدام صيغتي النهي والاستفهام.

النَّهي:

هو طلبُ المتكلِّمِ من المخاطَبِ الكفَّ عن الفعلِ، على سبيلِ الاستعلاءِ.

ولَـهُ صيغةٌ واحدةٌ لَا تتغَيَّرُ، وهِيَ المضارِعُ المقرونُ بـ «**لا الناهية**» كقولِه - تَعَالَـى-: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ﴾[1]، وقولِه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[2].

فـإنَّ طالبَ الكفِّ فِي الآياتِ أعظَمُ وأعلَى مِمَّن طُلِـبَ مِنهُ، فالطالبُ هوَ اللهُ، والمطلوبُ منهُم هُم عبادُهُ.

وهَذَا هُوَ النَّهيُ الحقيقيُّ.

وقد يُستفادُ مِنَ النَّهيِ معانٍ أخرَى يدركها السامعُ من السِّياقِ وقرائنِ الأَحوالِ:

1- الدعاءُ، كقولِهِ - تَعَالَى-: ﴿لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾[3].

2- السؤال: كقول المذنب للقاضي: «اعفُ عنّي».

(1) سورة الاسراء، الآية: 34.

(2) سورة الانعام، الآية: 151.

(3) سورة البقرة، الآية: 286.

3- الالتماسُ، كقولِ أبي الطيِّبِ فِي سيفِ الدولةِ:

فَلا تُبلِغاهُ ما أَقولُ فَإِنَّهُ　　شُجاعٌ مَتى يُذكَرْ لَهُ الطَّعنُ يَشْتَقِ[1]

4- الإرشادُ، كقولِهِ - تَعَالَى-: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[2]. وقولِ الشاعر[3]:

وَلا تَجلِس إِلى أَهلِ الدَنايا　　فَإِنَّ خَلائِقَ السُفَهاءِ تُعدي

5- التيئيسُ، كقولِهِ - تَعَالَى- عن المنافقين: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾[4].

6- التمنّي، كقولِ الشَّاعِرِ[5]:

لا تبزغي يا شمس في أفقٍ حَيَاً　　من زينبٍ فلقد أَطَلْتِ أَنِينَهَا

7- التهديدُ، كقولك لولدك مهدِّداً: (لا تذهبْ إلى مجالسِ البَطّالينَ).

8- التوبيخُ، كقولِ أبي الأسودِ الدُّؤَلِيِّ[6]:

لا تَنهَ عَن خُلُقٍ وَتَأتِيَ مِثلَهُ　　عارٌ عَلَيكَ إِذا فَعَلتَ عَظيمُ

9- التحقيرُ، كقولِ الحطيئة يهجو الزِّبْرِقَانَ بنَ بدر[7]:

---

(1) أي أنه لِحُبِّهِ الحرب وشجاعته متى ذكر له وصف الحرب والطِّعَانِ اشتاق إليه.

(2) سورة المائدة، الآية: 101.

(3) أبو العَلاء المَعَرِي 363 - 449 هـ / 973 - 1057 م أحمد بن عبد الله بن سليمان، التنوخيّ المعريّ. شاعر وفيلسوف، ولد ومات في معرّة النعمان، كان نحيف الجسم، أصيب بالجدري صغيراً فعمي في السنة الرابعة من عمره. وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة، ورحل إلى بغداد سنة 398 هـ، فأقام بها سنة وسبعة أشهر، وهو من بيت كبير في بلده، ولمّا مات وقف على قبره 84 شاعراً يرثونه.

(4) سورة التوبة، الآية: 66.

(5) عبد الحسين بن محمد من آل شكر - 1285 هـ - 1868 م، شاعر من شعراء النجف، في العراق. له ديوان شعر

(6) ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدُّؤَلِيّ الكناني. 1 ق. هـ - 69 هـ / 605 - 688 م تابعي، واضع علم النحو، كان معدوداً من الفقهاء والأعيان والأمراء والشعراء والفرسان وحاضري الجواب. قيل إن امير المؤمنين علياً عليه السلام رسم له شيئاً من أصول النحو، فكتب فيه أبو الأسود، سكن البصرة في خلافة عمر وولي إمارتها في أيام علي عليه السلام، ولم يزل في الإمارة إلى أن استشهد علي عليه السلام، وكان قد شهد معه (صفين)، مات بالبصرة.

(7) حصين بن بدر بن خلف بن بهدلة، من تميم من بني بهدلة بن عوف بن كعب 45 هـ / 665 م شاعر صحابي مخضرم، عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام، فأسلم وسمي بالزبرقان لجماله الشبيه بالقمر، وقيل لأنه كان يصبغ عمامته بالزعفران.

دَعِ المَكارِمَ لا تَرحَل لِبُغيَتِها   وَاقعُدْ فَإِنَّكَ أَنتَ الطاعِمُ الكاسي

الاستفهام:

هو طلبُ الفهم، فيما يكونُ المستفهَمُ عنه مجهولاً لدى المتكلّم، وقد يكونُ لغيرِ ذلك كما سيأتي، ويقعُ الاستفهام بأدواتٍ كثيرة نقتصر في البحث على «**الهمزة**» و«**هل**» منها، لمزيد أهميةٍ لهما(1).

ونشير الى باقي الادوات إشارةً:

أقسامُ أدواتِ الاستفهام:

تنقسمُ أدواتُ الاستفهام إلى ثلاثةِ أقسامٍ:

1- ما يُطْلَبُ به التصوّرُ.

2- ما يُطْلَبُ به التَّصديقُ.

3- ما يُطْلَبُ به التصوّرُ مرةً، والتصديقُ أخرَى.

والتصوّرُ، هو إدراكُ المفرد، بمعنى أنْ لا يكونَ هناك نسبةٌ، فـ «**زيدٌ**» و «**عمروٌ**» و«**القرآنُ**» و «**اللهُ**».. ونحوها كلُّها مفردٌ، فهي تصوراتٌ.

والتصديقُ: هو إدراكُ النسبةِ، أي نسبةُ الفعل إلى فاعلهِ أو المبتدأُ إلى خبرِهِ، فـ «**زيدٌ قائمٌ**» و «**اللهُ عالمٌ**» و «**محمدٌ ﷺ نبيٌّ**».. ونحوها كلُّها نسبةٌ، فهي تصديقاتٌ.

وخلاصة القول: إنَّ العلمَ إنْ كانَ إذعاناً للنسبةِ فتصديقٌ، والا فتصوُّرٌ.

والتصديقُ كما يكونُ في الإثباتِ، كذلكَ يكونُ في النفي.

(1) من أراد التفصيل في بقية الأدوات، فعليه بالكتب المبسوطة.

همزةُ الاستفهامِ:

مـنْ أدواتِ الاستفهام «الهمـزةُ»، وهـي مشتركةٌ، فتأتي تـارةً لطلبِ التصورِ، وأخرى لطلبِ التصديقِ.

1- أمَّـا ما كانَ لطلـبِ التصوّرِ، فيلي الهمزةَ المسؤولُ عنـه، والسؤالُ حينئذٍ عن المفـرد لا النسبةِ، بمعنـى: أنَّ السائلَ يعلمُ بالنسبةِ، وإنما لا يعلمُ شيئاً من أطرافِها.

مثلاً يعلمُ أنهُ وقعَ فعلٌ ما، لكنهُ لا يعرفُ المسنَد، أو المسنَد إليه، أو المفعولَ، أو الحالَ، أو الظرفَ، أو الصفةَ.. أو نحوها.

ففي قولنا: «ضربَ زيدٌ عمراً، راكباً، في الصحراءِ»، يقعُ المجهولُ بعد همزة الاستفهامِ.

فنقولُ في الجهلِ بالفعلِ: «أَضَرَبَهُ أمْ قَتَلَهُ»؟

ونقولُ في الجهلِ بالفاعلِ: «أجوادٌ الضاربُ أمْ رضَا»؟

ونقولُ في الجهلِ بالمفعولِ: «أعمروٌ المضروبَ أمْ محمدٌ»؟

ونقولُ في الجهلِ بالصفة: «أعليٌّ القائدُ أمِ التاجرُ»؟

ونقولُ في الجهل بالحالِ: «أراكباً كانَ حسنٌ أمْ راجلاً»؟

ونقولُ في الجهلِ بالظرفِ: «أفي الصحراءِ أمْ في البلدِ حصل الأمر»؟

وهكذا..

وقـد علِمنا مـن هذه الأمثلـة: أنَّ النسبةَ معلومـةٌ، وإنما المجهـولُ مفردٌ من المفرداتِ.

2- وأمَّــا ما كانَ لطلبِ التصديقِ، فالهمزةُ تدخــلُ على الجملةِ، والسؤالُ يقع عن النسبةِ، كقولنا: «أجاءَ زيدٌ؟» فيما لم نعلمْ بالمجيء.

ثــمّ إنَّ الغالــبَ أن يؤتَــى للهمزةِ التي لطلــبِ التصور بمعــادلٍ، كما تبين في الأمثلة: من معادلةِ (أمْ) للهمزة.

بخلافِ طلب التصديقِ فلا يؤتَى للهمزة بمعادلٍ، كما تقدَّم في المثال.

ثمَّ إنَّ جوابَ الهمزة التي لطلبِ التصور: تعيينُ أحدِ الشّقين:

فنقولُ في السؤال الأول: «ضربَهُ».

ونقولُ في السؤال الثاني: «جوادٌ».

ونقولُ في السؤال الثالث: «عمروٌ».

وهكذا...

بخلاف الهمزةِ التي لطلبِ التصديق، فالجوابُ: (نعمْ) أو (لا).

هل الاستفهامية:

مــن أدواتِ الاستفهامِ هلْ، وهي مختصةٌ بطلــبِ التصديقِ، فيرادُ بها معرفةُ وقوع النسبةِ وعدم وقوعها، ولذا لا يذكرُ معها معادلٌ، كما يكونُ جوابها: (نعمْ) أو (لا).

نقولُ: (هلْ قامَ زيدٌ)؟ والجواب: (نعم) أو (لا).

وتنقسمُ هلْ إلى:

أ- بسيطة، وهي أن يكون المستَفهَمُ عنه بها وجودَ الشيء وعدمَه، كما نقولُ: **«هل العنقاء موجودة»؟** الجواب: لا، و: **«هلِ الخِلُ الوفيُّ موجودٌ»؟**

ب- مركبةٌ، وهي أن يكون المستفهَمُ عنه بها صفةً زائدةَ على الوجودِ، كما نقول: «هلِ الخفاشُ يبصرُ»؟، و«هلِ النَّباتُ حسَّاسٌ»؟

بقيةُ أدواتِ الاستفهام:

1- مَنْ: موضوعةٌ للاستفهامِ عن العقلاءِ، كقولِهِ - تَعَالَى -: ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ﴾[1]، وقد ينعكسُ، فتستعملُ (ما) للعاقلِ، و(مَن) لغيرِهِ.

2- ما تكونُ للاستفهام عن غيرِ العقلاءِ، وهي أقسامٌ:

الأول: إيضاحُ الاسمِ، نحو ما الْعَسْجَدُ؟ فيقال في الجواب: إنه ذهبٌ.

الثاني: بيانُ حقيقةِ الشيءِ، مثلاً يقال: «ما الأسدُ»؟ فيقالُ في الجواب: «حيوانٌ مفترسٌ».

الثالث: بيانُ صفةِ الشيءِ، مثلاً يقالُ: «ما الحيوانُ»؟ فيقال في الجواب: «حساسٌ نامٍ متحركٌ بالإرادةِ».

3- متى: موضوعةٌ للاستفهامِ عن الزمانِ، مستقبلاً كان أم ماضياً، كقولِهِ - تَعَالَى-: ﴿..مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ..﴾[2]، وقولِهِ - تَعَالَى-: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[3].

4- أيّانَ: موضوعةٌ للاستفهامِ عن زمانِ المستقبلِ فقط، كقولِهِ - تَعَالَى-: ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[4]، وقولِهِ - تَعَالَى-: ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾[5].

(1) سورة الأنبياء، الآية: 59.
(2) سورة البقرة، الآية: 214.
(3) سورة يونس، الآية: 48.
(4) سورة القيامة، الآية: 6.
(5) سورة النحل، الآية: 21.

5- كيفَ: موضوعةٌ للاستفهام عن الحالِ، كقولِهِ - تعَالَى-: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾[1]. وقولِهِ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[2].

6- أينَ: موضوعةٌ للاستفهام عن المكانِ، كقولِهِ - تعَالَى-: ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾[3]، وقولِهِ: ﴿يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾[4].

7- أنّى: موضوعةٌ للاستفهام، وتأتي بمعنَى:

أ- كيفَ، كقوله - تَعَالَى-: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾[5].

ب-وبمعنى من أينَ، كقوله - تَعَالَى-: ﴿يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ﴾[6].

ج- وبمعنى متَى، كقولِنَا: «زرْني أنَّى شئتَ».

8- كم: موضوعةٌ للاستفهام عن عددٍ مبهمٍ، كقولِهِ - تَعَالَى-: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴾[7].

9- أيُّ: موضوعةٌ للاستفهام عن تمييزِ أحد المتشارِكينِ في أمرٍ يعمُّهما: شخصاً، أو زماناً أو مكاناً، أو حالاً، أو عدداً، عاقلاً أو غيره، كقولِهِ - تَعَالَى-: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴾[8].

(1) سورة النساء، الآية: 41.
(2) سورة آل عمران، الآية: 25.
(3) سورة الانعام، الآية: 22.
(4) سورة القيامة، الآية: 10.
(5) سورة البقرة، الآية: 259.
(6) سورة آل عمران، الآية: 37.
(7) سورة المؤمنون، الآية: 112.
(8) سورة مريم، الآية: 73.

- وقال أبو الطيب:

فَلا تَنَلْكَ اللّيالي إنّ أيْدِيَهَا إذا ضَربنَ كَسَرْنَ النَّبْعَ بالغَرَبِ

- وقال الشاعر:

لا تلهينَّكَ عنْ مَعادكَ لذَّةٌ تَفْنى وتُورثُ دائِمَ الحسراتِ

- وقال المتنبي:

لا تَحْسَبُوا مَن أسرْتم كانَ ذا رَمَقٍ فَلَيْسَ يأكُلُ إلاّ المَيْتَةَ الضَّبُعُ

- وقال أبو العلاء:

لا تَطْويَا السِّرَّ عني يوْم نائبةٍ فإنَّ ذلِكَ ذَنْبٌ غيْرُ مُغتَفَرِ
و الخِلُّ كالماءِ يُبْدِي لي ضمائرَه مع الصَّفاءِ ويُخْفِيهَا مع الكَدَرِ

- وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1].

- وقال أبو الطيّب:

وَلا تَشَكَّ إلى خَلْقٍ فَتُشْمِتَهُ شكوَى الجريحِ إلى الغِرْبانِ وَالرَّخَمِ

2- بينِ الأغراض التي يدلُّ عليها الاستفهام في الأمثلة الآتية:

- قال أبو تمّام في المديح:

هَل اجتَمعتْ أَحْيَاءُ عَدْنَانَ كُلُّهَا بِمُلْتَحَمٍ إلاَّ وأَنْتَ أَمِيرُهَا؟

- وقال البحتريّ:

أأكفُرُكَ النَّعْمَاءَ عِندي، وَقد نمتْ عَليّ نُمُوَّ الفَجْرِ، والفَجْرُ ساطِعُ

(1) سورة البقرة، الآية: 188.

وأنـتَ الـذي أعْـزَزْتَـنـي بَـعـدَ ذِلَّـتـي فلا القوْلُ مَخفوضٌ ولا الطّرْفُ خاشعُ

- وقال ابن الرُّوميّ في المدح:

ألـسـتَ الـمـرءَ يَـجْـبِـي كـلَّ حمد إذا مـا لـم يـكـنْ لـلـحـمـدِ جـابِـي

- وقال أبو تمام:

مَـا لـلـخُـطـوبِ طَـغَـتْ عـلـيَّ كـأنَّـهـا جـهـلـتْ بـأنَّ نـداكَ بـالـمِـرْصَـادِ

- وقال آخر:

فَـدَعِ الـوَعـيـدَ فما وَعـيـدُكَ ضَـائِـرِي أطَـنـيـنُ أجْـنِـحَـةِ الـذُّبـابِ يَـضِـيـرُ

- قال الشاعر:

أضـاعـونـي وأيَّ فَـتـى أضـاعـوا؟ لِـيـوْم كـريـهَـة وسـداد ثَـغْـر

من شعرائنا: الكُمَيْتُ الأسديُّ[1]

هـو الكميت بن زيـد الأسديّ ينتهي نسبـه إلى مضر بن نـزار بن عدنان من أشعـر شعراء الكوفة المُقَدَّمِيـنَ في عصره. عالم بلغات العـرب خبير بأيّامها. ومن شعراء القرن الأوّل من الهجرة. كان في أيّام الدولة الأُمَوِيّة، وولد أيّام مقتل الحسين عليه السلام سنة إحدى وستين ومات في سنة ست وعشرين ومائة في خلافة مروان بن محمّد ولم يُـدرك الدولة العبّاسية. وكان معروفاً بالتشيّع لبني هاشم مشهـوراً بذلـك قال أبو عبيدة: لو لم يكن لبني أسد منقبةٌ غيرُ الكميت لكفاهم. وقال أبو عِكْرِمَةَ الضَّبِّيُّ: لولا شعرُ الكُمَيْتِ لم يكن للّغة تَرْجُمَانٌ ولا للبيانِ لسانٌ.

محبّته لآل البيت عليهم السلام وإخلاصه لهم.

قيـل إنّ الكميـت دخـل على أبـي عبد الله جعفـر بن محمّد عليه السلام فـي أيام التَشْرِيـق بمنـى فقال له جُعلـت فداك إنّي قلت فيكـم شعراً أُحِـبُّ أن أُنْشِدَكَهُ. فقـال: يا كُمَيْتُ اذكرِ اللهَ في هذه الأيّام المعدوداتِ، فأعاد عليه القول، فرقّ له أبو عبد الله، فقال هات: وبعث أبو عبد الله إلى أهله فقرب فأنشده فكثر البكاء حتّى أتى على قوله:

يصيب به الرامون عن قوس غيرهم   فيا آخـراً أسـدى لـه الـغـيَّ أوّلُ

فرفـع أبـو عبد الله يديه فقال: اللهمّ اغفر للكميـت. ودخل -أيضاً- على أبي جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام فأعطاه ألف دينار وكسوة. فقال له الكميت: والله ما أحببتكـم للدنيا ولو أردتُ الدنيا لأتيتُ من هي في يديه. ولكنّي أحببتُكُمْ للآخرة أمّـا الثيـابُ الّتي أصابت أجسامكم فأنـا أقبلها لبركتها، وأمّـا المال فلا أقبله.

(1) السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج 9، ص 35 - 37.

وحكى صاعد مولى الكميت. قال: دخلتُ معه على علـيّ بن الحسين. فقال: إنّي قـد مدحتُكَ بما أرجو أن يكون لي وسيلةً عند رسول الله ﷺ ثمّ أنشده قصيدته: «مَنْ لقلبٍ مُتَيَّمٍ مُسْتَهَامِ». فلمّا أتى على آخرها قال له: ثوابك نعجز عنه، ولكن مـا عجزنا عنه، فإنّ الله لا يعجز عن مكافأتـك، وأراد أن يُحسن إليه، فقال له: إن أردت أن تُحسن إليّ فادفع إليّ بعض ثيابك الّتي تلي جسدك أتبرّك بها فنزع ثيابـه، ودفعها إليه ثمّ قال: اللهـمّ إنّ الكُمَيْتَ جاد في آل رسول الله وذريّة نبيّك بنفسـه حين ضـنّ الناس، وأظهر ما كتمه غيـره من الحقّ فأحْيِهِ سعيـداً وأمِتْهُ شهيـداً وأرِهِ الجزاء عاجلاً، فإنّا قد عجزنـا عن مكافأته. والكُمَيْتُ بعد هذا من أعاظم الشعـراء الّذين عرفهم العصر الأموي، ومن أصدقهم عاطفة... وشعره ليس عاطفيـاً كبقيّة الشعـراء، بل إنّ شعـره، شعر مذهبيّ، ذهنـيّ، عقليّ؛ فهو شاعر يناضل عن فكرة عقائديّة معيّنة، وعن مبدأ واضح، ومنهج صحيح، ودعوة آمـن بها وكرّس لها حياته وجهده وتحمّل في سبيلها الأذى ومات بسببها. وأغلب شعره السياسيّ أو الهاشميّات، وها هو يبدأ إحدى هاشميّاته قائلاً:

طَرِبتُ وما شَوقاً إلى البِيضِ أَطرَبُ ... ولاَ لَعِبَاً منّي وذو الشَّيبِ يَلْعَبُ
وَلكِنْ إلى أهلِ الفَضائِلِ والنُّهَى ... وَخَيرِ بَنِي حَوَّاءَ والخَيرُ يُطلَبُ
إلى النَّفَرِ البِيْضِ الّذينَ بِحُبّهم ... إلى الله فِيمَا نَابَنِي أتَقَرَّبُ
بَنِي هَاشِم رَهطِ النَّبِيِّ فإنَّنِي ... بِهِم ولَهُم أرضَى مِرَاراً وأغضَبُ
خَفَضتُ لَهُم مِنّي جَنَاحَي مَوَدَّةٍ ... إلى كَنَفٍ عِطفَاهُ أهلٌ وَمَرحَبُ

الدرس العشرون

الانشاءُ – 3 –
النداءُ والتمنِّي

أهداف الدرس

1- أن يتعـرّف الطالـب إلـى صيغتـي النـداء والتمنّـي الإنشائيتين.
2- أن يُحسِنَ استخدام صيغتي النداء والتمنّي.

النداءُ:

إذَا أردْنَا إقبالَ أحدٍ علينَا دعونَاهُ بذكرِ اسمِهِ أو صفةٍ مِنْ صفاتِهِ بعدَ حرفٍ نائبٍ منابَ «أدعو»، ويسمَّى هذا بالنداءِ. فالنداءُ هوَ طلبُ توجّهِ المخاطَبِ إلى المتكلّمِ بحرفٍ يفيد معنًى: «أنادي».

وأدواتُ النداءِ هِيَ: الهمزةُ، ويا، وأيُّ، وأي، وآ، وأيَا، وهَيَا، و وا.

1- الهمزةُ: كقولِ أميرِ المؤمنين عليّ عليه السلام فِي شِعرٍ منسوبٍ إليهِ:

أَحُسَينُ إنّي واعِظٌ ومؤدِّبٌ فافهَم فأنتَ العاقِلُ المُتأدِّبُ

2- يا: كقولِهِ – تَعالَى-: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾[1].

3- أيُّ: كقولِ أميرِ المؤمنين عليّ عليه السلام:

«أيُّها النَّاس إنَّ أخوَفَ مَا أخَافُ عليكم اثنتانِ: اتّباعُ الهَوى، وطُولُ الأمَلِ. فأمَّا اتّباعُ الهَوَى، فيصدُّ عَنِ الحقّ، وأمَّا طُولُ الأمَلِ، فينسِي الآخرةَ».[2]

4- أيْ: كقولِ الإمامِ علي بنِ الحسينِ عليه السلام فِي دعاءِ أبي حمزةَ الثماليّ: «أيْ رَبِّ

(1) سورة الأحزاب، الآية: 1.

(2) الشريف الرضي قدس سره، نهج البلاغة، ج1، ص93.

مِنْكَ اَطْلُبُ، وَاِلَيْكَ اَرْغَبُ، وِاِيّاكَ اَرْجُو، وَاَنْتَ اَهْلُ ذلِكَ، لا اَرْجُو غَيْرَكَ وَلا اَثِقُ إلاّ بِكَ يا اَرْحَمَ الرّاحِمينَ»[1].

5- أيا: كقولِ الشريفِ المرتَضى[2]:

أَيــا ذاهــباً ولّــى وخــلّـفَ بـعـدَه　　عَـليَّ مِـنَ الأحــزانِ مِــلْءَ جَوانبي

هَيَا: كقولِ الشَّاعِرِ[3]:

فـأصــاخَ يـرجُـو أن يـكـون حَـيـاً　　ويــقــول مــن طَـمَــعٍ: هَـيَـا رَبَّـا

6- كقولِ أبي العلاءِ المعرّي:

فوا عجباً كم يدعي الفضل ناقصٌ؟　　ووا أسفاً كم يظهرُ النقصَ فاضلُ؟

بعد ذكرِ أدواتِ النِّداءِ والتَّعرُّفِ إليهَا نقولُ: إنَّ منهَا مَا يُستعمَلُ لنِدَاءِ القريبِ، ومنهَا مَا هوَ للبعيدِ، والأصلُ في نداءِ القريبِ أنْ يُنادَى بـ«الهمزةِ» أو «أي»، كقولِ أميرِ المؤمنينَ عليّ عليه السلام في وصيتِّه لولدِه الحسنِ عليه السلام:

«...أيْ بُنَـيّ إنّـي وإنْ لـمْ أكـنْ عُمّـرتُ عُمْـرَ مَـنْ كَانَ قَبْلـي فَقَـدْ نَظَـرْتُ فِي أَعْمَالِهِم، وفَكَّرتُ فِي أَخْبَارِهِم، وسِرْتُ فِي آثَارِهِم حتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِم»[4].

وكقولِ الشاعر[5]:

---

(1) الشيخ عباس القمّي، مفاتيح الجنان، دعاء السحر.

(2) علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم أبو القاسم. 355 - 436 هـ / 966 - 1044 م من أحفاد امير المؤمنين علي عليه السلام نقيب الطالبيين، وأحد الأئمة في علم الكلام والأدب والشعر، له تصانيف كثيرة منها (الغرر والدرر) يعرف بأمالي المرتضى، و(الشهاب بالشيب والشباب)، و(تنزيه الأنبياء) و(الانتصار) فقه، و(تفسير العقيدة المذهبة) شرح قصيدة للسيد الحميري، و(ديوان شعر) وغير ذلك الكثير.

(3) الراعي النُّمَيري، عُبَيد بن حُصين بن معاوية بن جندل، النُّمَيرِيّ، أبو جندل. 90 هـ / 708 م.
كان من جلّة قومه، ولُقّبَ بالراعي لكثرة وصفه الإبل وكان بنو نمير أهل بيتٍ وسؤدد. وقيل: كان راعيَ إبلٍ من أهل بادية البصرة. عاصر جريراً والفرزدق وكان يفضّل الفرزدق فهجاه جرير هجاءً مُرّاً وهو من أصحاب الملحمات. وسماه بعض الرواة حصين بن معاوية.

(4) الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة، ج3، ص 41.

(5) عبد قيس بن خُفاف أبو جبيل البرجمي من بن عمرو بن حنظلة، شاعر تميمي جاهلي فحل، من شعراء المُفَضّليّات، من البراجم، وهم بطون من أولاد حنظلة بن مالك من تميم.

أَبُـنَـيَّ إِنَّ أَبَـــاكَ كَــارِبُ يَـومِـهِ   فـإِذا دُعِيتَ إِلـى المَكارِمِ فاعْجَلِ [1]

فإنَّه فِي كِلا النداءينِ استعمالٌ للأصلِ.

والأصـلُ فِي نِداءِ البَعيدِ أَنْ ينادَى بغيرهِمَا مِن بقيَّة الأدواتِ، غيرَ أنَّ هناكَ أسبابَـاً بلاغيَّـة تدعُو إلى مخالفةِ هَـذَا الأصلِ، و سنَشرحُ هَـذِهِ الأسبابَ فيما يأتِي:

1- كتبَ أبو الطيّب المتنبّي إلى الوالِي وهوَ فِي الاعتقالِ:

أَمَــالِــكَ رِقِّـــي وَمَـــن شَــأْنُــهُ   هِـبـاتُ الـلُّـجَـيـنِ وَعِـتْـقُ الـعَـبـيـدِ
دَعَــوتُــكَ عِـنْـدَ اِنـقِـطـاعِ الـرَجـا   ءِ وَالــمَــوتُ مِـنّـي كَـحَـبـلِ الـوَريـدِ

نتأمـلُ هَذَا المثالَ، فنجدُ المنادَى فيهِ بعيداً، ولكـنَّ أبَا الطيِّب ناداه بالهمزةِ الموضوعة للقريبِ، فمَا السببُ البلاغيُّ هنَا؟ السببُ أنَّ أبَا الطيِّب أرادَ أنْ يُبَيِّنَ أنَّ المنادَى عَلَى الرَّغمِ مِنْ بُعدِهِ فِي المكانِ، قريبٌ مِن قلبِهِ مستحضَرٌ فِي ذهنه لا يغيـبُ عـنْ بالِهِ، فكأنَّه حاضرٌ معَه فِي مَكانٍ واحـدٍ. وهذه لطيفةٌ بلاغيَّة تُسَوِّغُ استعمالَ «**الهمزةِ**» و«**أي**» فِي نداءِ البعيدِ.

2- وفي دعاءِ كُمَيل بنِ زيادٍ يقولُ أميرُ المؤمنينَ عليه السلام:

«يـا رَبِّ، يـا رَبِّ، يـا رَبِّ، يا الهي وَسَـيِّدي وَمَوْلايَ وَمالِكَ رِقـى، يا مَنْ بِيَدِهِ ناصِيَتى ياعَليماً بِضُرّى وَمَسْكَنَتى، يا خَبيراً بِفَقْرى وَفاقَتى»[2].

نجدُ المنادَى فِي هَذَا الدُّعاءِ قريباً، بَل أقربُ إلينَا مِن حبلِ الوريدِ، وهوَ اللّهُ – سبحانَه وتَعَالَى–، ولكنَّ الإمام عليّاً عليه السلام استعْملَ فيهِ أحرفَ النَّداء الموضوعة للبعيـدِ فمَا سببُ هَذَا؟ السَّبـبُ أنَّ المنـادَى هنَا جليلُ القَدْرِ خطيرُ الشَّأنِ، فكأنَّ

(1) كارب يومه أي مقارب يومه الذي يموت فيه.

(2) الشيخ عباس القمّي، مفاتيح الجنان، دعاء كميل.

بُعـدَ درجتِهِ فِي العِظمِ بعدٌ فِي المسافةِ، ولذلـكَ اختارَ عليه السلام في ندائِهِ الحرفَ الموضوعَ لنداءِ البعيدِ ليُشيرَ إلَى هَذَا الشَّأنِ الرَّفيعِ.

3- قالَ الإمامُ الحسينُ عليه السلام لرجلٍ اغتابَ عندَه رجلاً: «يَا هَذَا، كفَّ عَنِ الغِيبةِ، **فإنَّها إدَامُ كلابِ النَّارِ**»[1].

فَفِـي هَذَا الحديـثِ كانَ المخاطَبُ فِـي اعتقادِ الإمـامِ الحسينِ عليه السلام وضيعَ الشَّـأنِ صغيرَ القدرِ، فكأنَّ بُعـدَ درجتِهِ فِي الانحطاطِ، بعدٌ في المسافة، فلذلك ناداه بأداةِ البعيدِ وهوَ منهُ قريبٌ.

4- يقول أبو العتاهية[2]:

أَيـا بـانِـيَ الـدُّنـيـا لِـغَـيـرِكَ تَبتَني   وَيـا جـامِـعَ الـدُّنـيـا لِـغَـيـرِكَ تَـجـمَـعُ

لأنَّ المخاطَبَ لغفلتِهِ و ذهولِهِ كأنَّه غيرُ حاضِرٍ معَ المتكلمِ فِي مكانٍ واحدٍ؛ فلذلكَ استخدمَ الشاعِرُ اداةَ البعيدِ في خطابِهِ وهوَ قريبٌ. ومثلُ هَذا البيتِ قولُ شاعرٍ:

أَيـا جـامِـعَ الـدنـيَـا لِـغَـيـرِ بَـلاغَـةٍ   لِمنْ تَجْمَعُ الدُّنْيَا وأنـت تَمُوتُ؟![3]

قد تخرجُ ألفاظُ النِدَاءِ عن معناها الأصليِّ إلى معانٍ أخرَى، تُفهَمُ من السِّياق بمعونةِ القرائنِ، ومن أهمِّ ذلكَ:

أ- الإغراءُ، كقولنا لمن أقبل يتظَلَّمُ: يا مظلومُ.

ب- الاستغاثةُ، كقولِ أبي فراس:

يـا لِـلـرِجـالِ، أَمَـا لِلهِ مُـنـتَـصِـفٌ   مِـنَ الـطُـغـاةِ، أَمَـا لِـلدينِ مُنتَقِمِ[4]

(1) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج75، ص117.

(2) إسماعيل بن القاسم بن سُوَيد العَيْنِيّ، العنزي، أبو إسحاق، 130 - 211 هـ/ 747 - 826 م شاعر مُكْثِر، سريع الخاطر، في شعره إبداع، يُعـدُّ من مقدمي المولَّدين، من طبقة بشـار وأبي نواس وأمثالهما. كان يجيد القول في الزهد والمديح وأكثر أنواع الشعر في عصره، ولد ونشأ قرب الكوفة، وسكن بغداد وتوفي فيها.

(3) لم نعرف قائله.

(4) من قصيدته المسماة «الشافية».

ج- النُدبةُ، كقولِ المتنبّي:

واحَــرَّ قَلباهُ مِـمَّن قَلبُـهُ شَبِمُ   وَمَـن بِجِسمي وَحالـي عِنـدَهُ سَقَمُ

د- الزجرُ، كقولِ الشيخ البهائيّ[1]:

الا يَـا خَـائِضَـاً بَـحْـرَ الأمَـانِـي   هَـــدَاكَ اللهُ مَـا هَـــذَا الـتَّـوَانِـي

أَضَـعْـتَ الـعُـمْـرَ عِـصْـيَانَـاً وَجَـهْـلا   فَـمَـهْـلاً أيُّـهَـا الـمَـغْـرُورُ مَـهْـلا

هـ- التحسُّـر والتَّوجُّـع، كقولـه - تَعَالَـى-: ﴿..أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾[2].

التمنّي:

وهوَ طلبُ حصولِ شيءٍ عَلَى سبيلِ المحبةِ[3]

1- إمَّا لكونِهِ مستحيلاً، كقولِ أبي العتاهيّة[4]:

ألا لـيـتَ الـشَّـبـابَ يـعـودُ يـومـاً   فـأُخـبـرَه بـمـا صـنـع الـمَـشِـيـبُ

2- وإمَّـا لكونِهِ ممكناً غيرَ مطموعٍ في نيلِـهِ، كقولِهِ - تَعَالَى-: ﴿يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾[5].

وإذَا كانَ الامرُ المحبوبُ ممَّا يُرجَى حصولُهُ كانَ طلبُهُ ترجّياً، ويعبَّر فيهِ «بعسى، ولعل» كقولِهِ - تَعَالَـى-: ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا﴾[6] وقولِهِ: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ﴾[7].

---

(1) الشيـخ بهـاء الديـن محمد بن الحسين بن عبد الصمد بن محمد بن علي بن الحسين بن صالـح الحارثي الهمداني العاملي الجبعي نزيـل أصفهـان ولد في بعلبك يوم الخميس لثلاث عشرة بقين من المحرم سنة 953 وتوفي في أصفهان 12 شوال سنة 1030 ودفن في مشهد بجوار الامام الثامن علي بن موسى الرضا عليه السلام.

(2) سورة الزمر، الآية: 56.

(3) مختصر المعاني، ص 129.

(4) سبقت ترجمته.

(5) سورة القصص، الآية: 79.

(6) سورة الطلاق، الآية: 1.

(7) سورة المائدة، الآية: 52.

وقدْ تستعمَلُ في الترجّي «ليتَ» لغرضٍ بلاغيٍّ، وهو إبرازُ المرجوِّ في صورةِ المستحيلِ مبالغةً في بُعْدِ نيلِه، كقولِ المتنبّي:

فَيا لَيتَ ما بَيني وَبَينَ أَحِبَّتي مِنَ البُعدِ ما بَيني وَبَينَ المَصائِبِ

وقدْ تستعملُ أيضاً للتندُّمِ، كقولِه - تعالَى -: ﴿يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾[1].

أدواتُ التمنّي:

للتمنّي أربعُ أدواتٍ، واحدةٌ أصليّةٌ هِي «ليتَ» وثلاثٌ غيرُ أصليّةٍ، نائبةٌ عنهَا، ويُتَمَنّى بِهَا لغرضٍ بلاغيٍّ، وهِي:

1- هلْ، كقولِهِ - تعَالَى -: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ﴾[2]

2- لو، كقولِهِ - تعَالَى -: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3]

3- لعلَّ، كقولِ قيس بنِ الملوّحِ[4]:

أَسِربَ القَطا هَل مَنْ يُعيرُ جَناحَهُ لَعَلّي إِلى مَن قَد هَويتُ أَطيرُ

(1) سورة الفرقان، الآية: 27.

(2) سورة الأعراف، الآية: 53.

(3) سورة الشعراء، الآية: 102.

(4) قيس بن المُلَوّح بن مزاحِم العامري. مَجنون لَيلى 68 هـ / 687 م شاعر غَزِل، من المتيمين، من أهل نجد. لم يكن مجنوناً وانما لقب بذلك لهيامه في حب ليلَى بنت سعد التي نشأ معها إلى أن كبرت وحجبها أبوها، فهام على وجهه ينشد الأشعار ويأنس بالوحوش، فيرى حيناً في الشام وحيناً في نجد وحيناً في الحجاز، إلى أن وجد مُلْقى بين أحجار وهو مَيْتٌ فحمل إلى أهله.

القواعد الرئيسة

- النّداءُ طَلَبُ الإقْبَال بحَرْف نَائب منَابَ أَدْعُو.

- أدوات النُّدَاءَ: الْهَمْزَةُ، و«يَا»، و«آ»، و«أي» و«أَيا»، و«هيَا»، و«وا».

- الهمزة وأي لنداء القريب، وغيرهما لنداء البعيد.

- قد يُنَزَّل البعيد منزلة القريب، فينادَى بالهمزة و«أي»، إشارةً إلى قُربه من القلب و حضوره في الذهن.

- وقد يُنَزَّلُ القريب منزلة البعيد، فينادى بغير الهمزة و«أي»، إشارةً إلى عُلُوِّ مرتبته، أو انحطاط منزلته، أو غفلته وشرود ذهنه.

- يخرج النداءُ عن معناه الأصليِّ إلى معانٍ أخرَى تستفادُ من القرائن، كالزجر والتحسر والإغراء.

- التمني طَلَبُ أمْرٍ مَحْبُوبٍ، إمَّا لِكَونه مُسْتَحِيلاً، وإمَّا لكونه مُمكناً غَيرَ مطموع في نَيْله.

- واللفظُ المَوْضُوعُ للتمني لَيتَ، وقد يُتَمَّنى بهَل وَلو، وَلَعلَّ، لغَرَض بلاغيٍّ.

- إذا كان الأمرُ المحبوبُ مما يُرجَى حُصُولُهُ كانَ طَلَبُهُ ترَجْياً، ويُعَبّرُ فيه بلعلَّ أوْ عَسَى، وقد تستعمل فيه لَيتَ لغَرَض بلاغيٍّ [1].

(1) علي الجارم ومصطفى أمين. البلاغة الواضحة، ص 171.

تمارين

1- بيّن ما في الأمثلة الآتية من تمنٍ أو ترجٍ، و ما جاء من الأدوات على غير وضعه الأصليّ:

- قال مرْوانُ بن أبي حفصة في رثاء معْن بن زائدة:

فليتَ الشامِتِين بهِ فَدَوْهُ ولَيتَ العُمْرَ مُدَّ لَهُ فطَالا

- وقال أبو الطَّيِّب في رثاء أخت سيف الدولة:

فَلَيْتَ طالِعَةَ الشّمْسَينِ غَائِبَةٌ وَلَيتَ غائِبَةَ الشّمْسَينِ لم تَغِبِ

- وقال آخر:

عَسى اللَيالي الَّتي أَضنَت بِفُرقَتِنا جِسمي سَتَجمَعُني يَوماً وَتَجمَعُهُ

- وقال الله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ﴾[1].

- وقال تعالى: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [2].

- وقال الشاعر:

أمَنْزِلَتي مَيٍّ سلامٌ عليْكما هلِ الأزْمُنُ اللاتي مضَيْن رواجعُ

- وقال المتنبي:

لَيتَ المُلُوكَ على الأقدارِ مُعْطِيَةٌ فلَمْ يكُنْ لدَنيءٍ عندَهَا طَمَعُ

- وقال في المديح:

لَيْتَ المَدائحَ تَسْتَوْفي مَنَاقِبَهُ فَما كُلَيْبٌ وَأهْلُ الأعْصُرِ الأُوَلِ

(1) سورة غافر، الآية: 36.

(2) سورة الشعراء، الآية: 102.

2- بيّن أدوات النداء في الأمثلة الآتية، وما جرى منها على أصل وضعه في نداء القريب أو البعيد، و ما خرج منها عن ذلك مع بيان الأسباب البلاغية في الخروج:

- قال أبو الطّيّب:

يا صائِدَ الجَحْفَلِ المَرْهوبِ جانِبُهُ   إنّ اللّيوثَ تَصيدُ النّاسَ أُحْدانَا

- وقال الشاعر:

أيا رَبِّ قَدْ أَحْسنتَ عودًا و بدْأةً   إليَّ فلم ينْهَضْ بإحْسانِكَ الشُّكْرُ

- وقال الشاعر:

أَسُكَّانَ نَعْمَانِ الأَرَاكِ تَيَقَّنُوا   بأنَّكمُ في ربعِ قلبيَ سكَّانُ

- وقال تعالى يحكي قول فرعون لموسى عليه السلام: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾[1].

- وقال أبو العتاهية:

أيا منْ يُؤَمِّلُ طولَ الحياة   و طولُ الحياة عليه خَطَرْ
إذا ما كبِرْتَ وبانَ الشَّبابُ   فلا خيرَ في العيشِ بعدَ الكِبَرْ

- وقال أبو الطيب في مدح كافور من قصيدة أنشده إياها:

يا رَجاءَ العُيُونِ في كلّ أرْضٍ   لم يكُنْ غيرَ أنْ أرَاكَ رَجَائي

- أي بُنَيَّ، أعدْ عليَّ ما سمعتَ منّي.
- أمحمدُ، لا ترفعْ صوتكَ حتى لا يسمعَ حديثنا أحدٌ.
- أيا هذا، تَنَبَّهْ فالمكارهُ مُحْدِقَةٌ بك.
- يا هذا، لا تتكلمْ حتى يُؤْذَنَ لك.

(1) سورة الاسراء، الآية: 101.

من شعرائنا: السيّد رضا الهندي[1].

أبو أحمد السيّد رضا بن محمّد بن هاشم بن مير شجاعة عليّ التقويّ الرضويّ الموسويّ المعروف بالهنديّ، عالم شاعر مشتهر. ولد في النجف عام 1290 هـ / 1873 م وترعرع فيها، ثمّ انتقل إلى سامرّاء عند الثامنة من عمره مع والده في العام 1298 هـ / 1880 م، وهو عام الطاعون، حيث استقرّ فيها ثلاث عشرة سنة، ثمّ عاد إلى النجف فاشتغل بتحصيل العلم. قرأ على الشربياني، والسيّد محمّد الطباطبائي، والشيخ محمّد طه نجف، والشيخ حسن بن صاحب الجواهر. له مؤلّفات مهمّة في العقائد والأدب. توفّي بالفيصليّة - من أعمال الديوانية - في عام 1362 هـ / 1943 م بالسكتة القلبية ودفن بمقبرته الخاصّة قرب داره في الحويش. وله يمدح الإمام علياً بقصيدته المشهورة الّتي دعاها ب «الكوثرية»:

أَمُفَلَّجُ ثغرُك أم جوهرْ ... ورحيقُ رِضابِكَ أم سُكَّرْ
قد قال لثغرك صانعه ... إنَّا أعطيناك الكوثرْ
والخالُ بخدِّك أم مِسْكٌ ... نَقَّطتَ به الورد الأحمرْ
أم ذاك الخالُ بذاك الخدِّ ... فَتِيْتُ النِدِّ على مجْمَرْ
عجباً من جَمْرَتِهِ تَذْكُو ... وبها لا يَحْتَرِقُ العنبرْ
يا مَن تبدو لِيَ وفْرَتُه ... في صبحِ مُحَيّاه الأزهرْ

ومنها:

قدمُ العنقود ولحنُ العو ... دِ يُعيد الخير وينفي الشرّ

(1) الحاج حسين الشاكري، علي في الكتاب والسنة والأدب، ج 5، ص 84.

بَكِّر للسُكرِ قبيل الفجـ ـرِ فصفوُ الدهر لمن بَكَّر
هذا عَمَلِيَ فاسْلُكْ سُبُلِيْ إن كنت تُقِرُّ على المُنْكَرْ
فلقد أسرفتُ وما أسلفـ ـتُ لنفسيَ ما فيه أعْذَرْ

ومنها:

سَوَّدت صحيفة أعمالِي ووكلتُ الأمرَ إلى حيدرْ
هو كهفيَ من نُوَبِ الدنيا وشفيعيَ في يوم المحشر
قد تَمَّت لِيْ بولايته نِعَمٌ جَمَّت عن أن تُشْكَرْ
لأُصيبَ بها الحظَّ الأوفَى وأُخَصَّصَ بالسَّهْمِ الأَوْفَرْ
بالحفظِ من النارِ الكبرى والأمنِ من الفَزَعِ الأكبرْ
هل يمنعُنِيْ وهو الساقِيْ أن أشربَ مِنْ حوضِ الكوثرْ
أم يطردُنِيْ عن مائدةٍ وُضِعَتْ للقانعِ والمُعْتَرْ

وختامها:

آياتُ جلالِكَ لا تُحْصَى وصفاتُ كَمَالِكَ لا تُحْصَرْ
من طَوَّلَ فيكَ مدائِحَهُ عن أدنى واجِبِهَا قَصَّرْ
فَاقْبَلْ يا كعبةَ آمالِيْ مِنْ هَذِي مَدِيحِيَ مَا استَيْسَرْ

الدرس الواحد والعشرون

القصْرُ

أهداف الدرس

1- أن يتعرّف الطالب إلى مبحث القصر في علم المعاني.

2- أن يتعرّف إلى طرق القصر وقسميه.

3- أن يتذوّق بلاغة القصر وجمال استخدامه.

القصْرُ:

القصْرُ لغةً: الحبسُ، كقولِ اللهِ – تَعَالَى-: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾[1].

واصطلاحاً: هو تخصيصُ شيءٍ بشيءٍ بطريقٍ مخصوصٍ.

والشيءُ الأولُ: هو المقصورُ، والشيءُ الثاني هو المقصورُ عليه.

والطريقُ المخصوصُ يكونُ بالطرقِ والأدواتِ الآتية، نحوُ: مَا «شوقي» إلَّا شاعرٌ، فمعناهُ تخصيصُ شوقي بالشّعرِ وقصرُهُ عليه، ونفيُ صِفةِ الكتابةِ عنه ـ ردًّا على من ظنَّ أنَّهُ شاعرٌ وكاتبٌ ـ والَّذي دلَّ على هَذَا التخصيصِ هوَ النفيُ «**ما**» المتقدمةِ، والاستثناءُ بكلمةِ «**إلا**» الَّتي قبلَ الخبرِ.

فما قبلَ «**إلا**» وهُوَ «شوقي» يُسمَى مقصوراً عليهِ، ومَا بعدَهَا وهوَ «**شاعرٌ**» يسمَّى مقصوراً و «**ما**» و «**إلاّ**» طريقُ القصرِ وأدواتُه.

ولو قلنَا: «**شوقي شاعرٌ**»، بدونِ نفيٍ واستثناءٍ ما فُهِمَ هذا التخصيصُ، ولهَذَا يكونُ لكلِّ قصرٍ طرفانِ «**مقصورٌ، ومقصورٌ عليه**»، ويُؤلّف «**المقصورُ**» معَ «**المقصورِ عليه**» الجملةَ الأصليةَ في الكلامِ.

وممّا تقدّم نعلمُ أنَّ القصرَ: هو تخصيصُ الحكمِ بالمذكورِ في الكلامِ ونفيُهُ عن سواهُ بطريقٍ من الطرقِ الآتيةِ:

(1) سورة الرحمن، الآية: 72.

طرقِ القصرِ:

للقصرِ طُرُقٌ كثيرةٌ، وأشهرُها في الاستعمالِ أربعٌ وهي:

1- النفيُ والاستثناءُ، كقولِهِ - تَعَالَى-: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾[1]، فالمقصورُ عليهِ «في النفي والاستثناء» هوَ المذكورُ بعدَ أداةِ الاستثناءِ، كقولِهِ - تَعَالَى-: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾[2].

2- «إنَّما»، كقولِهِ - تَعَالَى-: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[3].

وكقولِ أبي نوَّاس:

إِنَّمَا يَشتَرِي المَحامِدَ حُرٌّ ... طابَ نَفساً لَهُنَّ بِالأَثمانِ

3- العطفُ بـ «لا وبلْ ولكنْ» كقولِهِم: «**الأرضُ متحركةٌ لا ثابتةٌ**»، وكقولِ الشَّاعرِ[4]:

عُمرُ الفَتى ذِكرُهُ لا طُولُ مُدَّتِهِ ... وَمَوتُهُ خِزيُه لا يومُهُ الداني

وكقولِ الشَّاعِرِ[5]:

ما نالَ في دُنياهُ وإنْ بُغيةً ... لكنْ أخو حزمٍ يَجِدُّ ويَعمَلُ

4- تقديمِ ما حقّهُ التأخيرُ، كقولِهِ - تَعَالَى-: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[6] أيْ:

(1) سورة آل عمران، الآية: 144.

(2) سورة هود، الآية: 88.

(3) سورة فاطر، الآية: 28.

(4) عُبَيْدُ الله بن أحمد بن علي الميكالي أبو الفضل. 436 هـ / 1045 م أمير من الكُتَّاب الشعراء، من أهل خراسان، صَنَّفَ الثعالبي (ثمار القلوب) لخزانته، وأورد في يتيمة الدهر محاسن ما نثره ونظمه. وكذلك مختارات من كتابه المخزون المستخرج من رسائله. وسماه صاحب فوات الوفيات، عبد الرحمن بن أحمد، وأورد من شعره ما يوافق بعض ما في اليتيمة، ممّا يؤكد أنهما شخص واحد. وذكر لـه من المؤلفات مخزون البلاغة، (المنتحل -) و(ديوان شعره) وغيره. وفي كشف الظنون أسماء بعضها منسوبة إلى مؤلفها عبيد الله بن أحمد.

(5) لم يُعرف قائله.

(6) سورة الفاتحة، الآية: 5.

نخصُّك بالعبادةِ والاستعانةِ.

- فالمقصـورُ عليه في «النفي والاستثناء» هو المذكورُ بعد أداة الاستثناءِ، كقوله - تَعَالَى-: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾[1].

- والمقصـورُ عليه مَعْ «إنَّما» هُوَ المذكـورُ بَعدَهَا، ويكونُ مُؤخَّـراً في الجملة وجوباً، كقول الشَّاعر[2]:

إنَّمَا الدُّنْيَا غُرُورٌ   لَمْ تَدَعْ طِفْلاً وَكَهْلا

- والمقصـورُ عليه مَعْ «لا العاطفة» هُوَ المذكورُ قبلَهَا، والمُقابلُ لما بعدها، نَحْوُ: «الفخرُ بالعلم لا بالمالِ».

- والمقصورُ عليه مَعْ «بَلْ ولكنْ»، العاطفتين، هوَ المذكورُ بعدَهُمَا، نَحْوُ: «مَا الفخرُ بالمالِ بَلْ بالعلمِ»، ونَحْوُ: «ما الفخرُ بالنَّسَبِ لكنْ بالتقوَى».

- والمقصـورُ عليه في «تقديم ما حقُّهُ التأخيرُ» هوَ المذكورُ المتقدِّمُ، كقوله - تَعَالَى-: ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾[3]، وكقولِ المتنبِّي:

وَمِنَ البَلِيّة عَذلُ مَنْ لا يَرْعوِي   عن جَهلِهِ وَخِطَابُ مَنْ لا يَفْهَمُ

القصر باعتبار طَرَفيه:

ينقسمُ القصرُ باعتبارِ طرفيهِ (المقصُورُ والمقصورُ عليه) إلى نوعينِ:

(1) سورة هود، الآية: 88.

(2) محمود سامي باشا بن حسن حسين بن عبد الله البارودي المصري. 1255 - 1322 هـ / 1839 - 1904 م، أول من نهض بالشعر العربي من كبوته، في العصر الحديث، وأحد القادة الشجعان، جركسي الأصل من سلالة المقام السيفي نوروز الأتابكي (أخي برسباي). نسبته إلى (إيتاي البارود)، بمصر، مولده ووفاته بمصر، تعلّم بها في المدرسة الحربيّة. ورحل إلى الأستانة فأتقن الفارسيّة والتركيّة، وله فيها قصائد دعاه إلى مصر فكان من قُواد الحملتين المصريّتين لمساعدة تركيّا. الأولى في ثورة كريد سنة1868م، والثانية في الحرب الروسية سنة 1877م، وتقلّب في مناصب انتهت به إلى رئاسة النُّظّار، واستقال. ولما حدثت الثورة العُرَابيّة كان في صفوف الثائرين، ودخل الإنجليز القاهرة، فقُبِضَ عليه وسجن وحُكم بإعدامه، ثم أبدل الحكم بالنفي إلى جزيرة سِيلان. وكُفَّ بصره وعُفي عنه سنة 1317هـ، فعاد إلى مصر. أما شعره، فيصح اتخاذه فاتحة للأسلوب العصريّ الراقي بعد إسفاف النظم زمناً. له (ديوان شعر مطبوع)، جزآن، (ومختارات البارودي مطبوع) أربعة أجزاء.

(3) سورة الأعراف، الآية: 89.

أ- قصرُ صفة على موصوف:[1] هو أن تُحبسَ الصفةُ على موصوفها وتَختصَّ به، فلا يتَّصفُ بها غيرُه، وقد يتَّصفُ هذا الموصوفُ بغيرها من الصفات، نحو: «**لا رازقَ إلا الله**»، و«**لا فتى إلا عليّ**».

ب- قصــرُ موصوف على صفة: هو أن يُحبسَ الموصوفُ على الصفةِ ويَختصَّ بهــا، دون غيرهــا، وقدْ يشاركـه غيرُهُ فيها، نحــو: «**مـا الله إلا خالقُ كل شــيء**»، وكقوله - تَعالَــى-: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى اللَّهُ الشَّـٰكِرِينَ﴾[2].

أمورٌ ترتبطُ بالقصرِ:

هناك أمورٌ ترتبط بالقصر أهمُّها:

1- القصرُ يحدّدُ المعاني تحديداً كاملاً؛ ولذا كثيراً ما يستفادُ منه في التعريفاتِ العلميةِ وغيرها.

2- القصرُ من ضروبِ الإيجازِ، وهوَ مِنْ أهمِّ أركانِ البلاغةِ، فجملةُ القصرِ تقومُ مقامَ جملتين: مُثْبَتَةٌ ومنفيةٌ.

3- يُفهـمُ من «إنمـا» حكمانِ: إثباتٌ للشيءِ والنفيُ عن غيـرهِ دفعةً واحدةً، بينما يُفهم من العطفِ الإثباتُ أوّلاً والنفيُ ثانياً، أو بالعكسِ، ففي المثال السابقِ: الخشيةُ للعلماءِ دونَ غيرِهم، والفخرُ للتقوى لا للنَّسبِ، مع وضوحِ الدفعةِ في الأولِ، والترتّبِ في الثاني.

4- فــي «النفــي والاســتثناءِ» يكـونُ النفــي بغيــرِ «مــا» -أيضــاً-، كقولِـهِ -

(1) اعلمْ أنَّ المرادَ بالصفةِ هنا الصِّفةُ المعنويةُ، التي تدلُّ على معنًى قائم بشيءٍ، سواءٌ أكانَ اللفظُ الدالُّ عليه جامداً أم مشتقاً، فعلاً أم غيرَ فعلٍ، فالمرادُ بالصِّفةِ: ما يحتاجُ إلى غيرهِ ليقومَ به، كالفعلِ و نحوِهِ، وليس المرادُ بها الصفةَ النحويةَ، المسماةَ بالنَّعتِ.

(2) سورة آل عمران، الآية: 144.

تَعَالَى-: ﴿.. وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[1].

ويكـونُ الاستثناءُ بغير «إلا» أيضاً، كقولِ الإمَامِ عليّ بنِ الحسينِ عليه السلام: «**ليسَ لحاجَتِـي مطلـبُ سِـوَاكَ، ولَا لذنبِـي غافـرٌ غيرُك، حاشـاكَ ولَا أخـافُ عَلَى نفسِي إلَّا إيَّاك، إنَّك أهلُ التَّقوَى وأهلُ المغفرةِ**»[2].

5- يشتــرطُ في كلٍّ منْ «**بـل**» و«**لكنْ**» أنْ تُسبَقَ بنفيٍ أو نَهْيٍ، وأنْ يكونَ المعطوفُ بهما مفرداً، وأنْ لا تقترنَ «**لكنْ**» بالواو، وفي «**لا**» أنْ تُسبقَ بإثباتٍ، وأن يكونَ معطوفُها مفرداً وغيرَ داخلٍ في عمومِ ما قَبلَها.

6- يـدلُّ التقديمُ على القصــرِ بالذوقِ، بَينَمَـا الثلاثةُ الباقيةُ تـدلُّ عَلَى القصرِ بالوضعِ، يعني بـ «**الأدوات**».

7- إنَّ الأصلَ هو أن يتأخّرَ المعمولُ عن عاملهِ إلاّ لضرورةٍ، أهمُّها إفادةُ القصرِ، فـإنَّ منْ تتبـعَ كلامَ البلغاءِ في تقديمِ ما حقُّهُ التأخيـرُ، وجدهُم يريدونَ بهِ القصرَ والتخصيصَ عادةً.

(1) سورة يوسف، الآية:31.

(2) الإمام زين العابدين عليه السلام، الصحيفة السجادية، ص 79 دعاؤه عليه السلام في الاعتراف وطلب التوبة الى الله تعالى.

- القصرُ تخصيصُ أمرٍ بآخرَ بطريقٍ مخصوصٍ.
- طرقُ القصرِ المشهورةُ أربعٌ:

أ- النفيُ، والاستثناء، وهنا يكونُ المقصورُ عليهِ مَا بَعدَ أداةِ الاستثناءِ.

ب- إنَّما، ويكونُ المقصورُ عليهِ مؤخراً وجوباً.

ج- العطفُ بـ لا، أو بلْ، أو لكنْ، فإنْ كانَ العطفُ بـ لا، كانَ المقصورُ عليهِ مقابلاً لِمَا بَعدَهَا، وإنْ كانَ العطفُ بـ بل أو لكنْ، كانَ المقصورُ عليهِ مَا بَعدَهمَا.

د- تقديمُ مَا حقُّهُ التأخيرُ. وهنَا يكونُ المقصورُ عليهِ هوَ المقدَّمَ.

- لكلِّ قصرٍ طرفانِ: مقصورٌ، ومقصورٌ عليه.
- ينقسمُ القصرُ باعتبارِ طرفيه قسمين:

أ- قصرُ صفةٍ على موصوفٍ.

ب- قصرُ موصوفٍ على صفةٍ.

تمارين

1- بيِّنْ نوعَ القصْرِ وطريقَه وعيِّنْ كلاً منَ المقصورِ والمقصورِ عليه فيما يأتي:

قالَ - تعالى-: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾[1].

وقال ايضا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[2].

وقال ابن الرومي في المديح:

معروفُهُ فِي جَمِيعِ النَّاسِ مُقْتَسَمٌ   فحمدُهُ فِي جَمِيعِ النَّاسِ لَا العُصَبِ

وقال:

يَتَغَابَى لَهُم ولَيْسَ لِمُوقٍ   بلْ لِلُبٌّ يَفُوقُ لُبَّ اللَّبِيبِ

وقال:

يهتزُّ عِطفَاهُ عِنْدَ الحمْدِ يَسْمَعُهُ   مِنْ هِزَّةِ المَجدِ لَا مِنَ هِزَّة الطَّرَبِ

وقال:

مَا قلتَ إلَّا الحقَّ فيكَ ولَمْ تَزَلْ   عَلَى منهجٍ مِنْ سُنَّةِ المجدِ لاحِبِ

وقال ابو الطيب:

بِرجَاءِ جودِكَ يُطرَدُ الفَقْرُ   وبأَنْ تُعَادَى يَنْفدُ العُمْرُ

2- بيّن المقصور عليه في الجملتين الآتيتين، وبيِّن الفرق بينهما في المعنى.

- إنّما يدافع عن أحسابكم عليّ.
- إنّما يداع علي عن أحسابكم.

(1) سورة الرعد، الآية: 40.

(2) سورة الفاتحة، الآية: 5.

من شعرائنا: الشيخ عبد المنعم الفرطوسي(1).

الشيخ عبد المنعم ابن الشيخ حسين ابن الشيخ حسن ابن الشيخ عيسى، علّامة فاضل وشاعر معروف. ولد في النجف عام 1335 هـ / 1917 م وفيها ترعرع فاتجه إلى الدراسة، فدرس المقدّمات على بعض الفضلاء وأخذ الفقه والأصول على السيّد محمّد باقر الشخص الأحسائي وغيره من أفاضل عصره، ثمّ لازم حلقة السيّد الخوئي مع اختلافه على حلقة الشيخ محمّد عليّ الخراساني في الأصول، فعرف بمستواه العلميّ المميّز، وَعُدَّ من ذوي الرأي في الحوزة العلمية إلى جانب أدبه الجمّ وحافظته المتّقدة وصفاته الأخلاقية السامية، وما أُثِرَ عنه من مواهب عقليّة ونفسيّة.لازم جمعية الرابطة الأدبيّة الّتي عمل فيها بجدٍّ معالجاً نقائصها ومقدّماً الاقتراحات لحلّ ذلك، وشارك في كثير من النشاطات الثقافيّة والأدبيّة خارجها بعد أن ذاع صيته وعلا كعبه. نحا في شعره مناحي عالجت كثيراً من المشاكل الاجتماعية، وكان حسّه يمتزج مع آرائه الإصلاحية، وهو أحد مبرّزي شعر الاحتفالات الدينية في أغلب مناسباتها، ويمتاز شعره بفخامة اللفظ، ولا سيّما المُلَقى منه حيث كان يحدو به حداء مميّزاً على طريقة سابقة معروفة، أمّا وفاته فكانت عام 1404 هـ/ 1984 م في الإمارات العربية مغترباً عن وطنه بعيداً عن مَنْبِته. وله في الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام قوله:

نشيدي وأنت له مطلعُ ... من الشمس يَعْنُو له مَطْلَعُ

وَقَدْرُكَ أرفعُ إنَّ الثناءَ ... ولو بالمثاني به يُرْفَعُ

(1) الحاج حسين الشاكري، علي في الكتاب والسنة والأدب، ج 5، ص 250.

ومجدُكَ جاوزَ أُفْقَ الخلودِ سمّواً ونفسُكَ لا تَقْنَعُ
وأنّى يُطاوِلُ نجمُ عليٌّ ختامُ الخلودِ بهِ يُشْرِعُ
طلبْتُكَ في الأُفْقِ حيثُ النجومُ مناقبُ فضلِكَ إذ تَلْمَعُ
وفي الحقلِ حيثُ عبيرُ الورودِ شمائلُ قُدْسِكَ إذ يفرعُ
وفي موجةِ البحرِ حيثُ الجُمَانُ نُثَارُ بيانِكَ إذ يجمعُ
وفي كلِّ مُستَوْدَعٍ للجمالِ سموُّ الجلالِ بهِ مُوْدَعُ
وعدت إلى لوحةٍ في الحشا حروفُ الولاءِ بها تطبع
رأيتُكَ فيها وأنتَ اليقينُ بقلبي وقلبي هو الموضع

وله في الامام الحسين عليه السلام:

قرآنُ فَضلِكَ فيه يُفتتحُ الفَمُ حمداً وبالإخلاصِ ذِكْرُكَ يُختم
وبأفق مَهْدِكَ من جهادِكَ أشرقَتْ للفتحِ آياتٌ بوجْهِكَ تُرْسَمُ
أنت الحسينُ ودونَ مجدِكَ في العلا مجدُ المسيحِ ودونَ أمِّكِ مريمُ
فلقد وُلِدْتَ مطهّراً في بُردةٍ من طهرِ فاطمةٍ تُحاكُ وتُلْحَمُ
ولقد قُتلتَ بمصرعٍ يسمو به مجدُ المماتِ على الحياةِ ويَعْظُمُ
والحقُّ من عَيْنَيْكَ ينبعُ نورُهُ والصدقُ في شَفَتَيْكَ جَمْرٌ مُضْرَمُ
وضُحَى جَبِينِكَ وَهْوَ فُرْقَانُ الهُدَى بدمِ الشهادةِ والسعادةِ يُوسَم

الفصل الثالث

البديع

الكفايات

1- التعرّف إلى معنى البديع.

2- التعـرّف إلـى أهـم المحسّنـات اللفظيّـة (الجنـاس، الاقتباس، والسجع).

3- التعـرّف علـم أهـمّ المحسّنـات المعنويـة (الطبـاق، والتورية، حسن التعليل، أسلوب الحكيم...).

مدخل عام في البديع [1]:

البديعُ: لغةً: الُمخْتَرعُ المُوجَدُ على غير مِثَال سابق.

وهو مأخوذ ومُشْتَقٌ من قولهم: بَدَع الشيء وأبْدَعه، اخترعَه لا عَلَى مِثال.

واصطلاحاً: هو علمٌ يُعْرفُ به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حسْناً وطلاوةً، وتكسوه بهاءً ورونقاً، بعدَ مُطابقته لمقتضى الحال.

مع وُضوحِ دلالتِهِ عَلَى المُرادِ لفظاً ومعنىَ.

«عرفنَا فيمَا سَبَقَ أنَّ علمَ البيانِ وسيلةٌ إلَى تأديةِ المَعنَى بأساليبَ عدةٍ بَينَ تشبيهٍ ومَجَازٍ وكنايةٍ، وعرفنَا أنَّ دراسةَ علمِ المعاني تُعينُ عَلَى تأديةِ الكلامِ مطابقاً لمقتَضَى الحالِ، مَع وفائِه بغرضٍ بلاغيٍّ يفْهمُ ضمناً من سياقِه ومَا يُحيطُ بِهِ مِنْ قرائن».

وهنَاكَ ناحيةٌ أخرَى مِن نواحِي البلاغَةِ، لا تَتَناوَلُ مباحثَ علمِ البيانِ، ولَا تنظرُ فِي مسائلِ علمِ المعانِي، ولكنَّها دراسةٌ لا تَتَعدَّى تزيينَ الألفاظِ أو المعانِي بألوانٍ بديعةٍ مِنَ الجَمَالِ اللَّفظيّ أو المعنويّ، ويُسَمَّى العلمُ الجامعُ لهذِهِ المباحثِ

(1) وواضعه عبد اللهُ بنُ المعتز العبّاسي المتوفى سنة 274 هجرية. ثم اقتفى أثره في عصره قُدَامةُ بن جعفر الكاتب فزاد عليها. ثم ألّف فيه كثيرونَ كأبي هلال العَسْكري وابن رشيق القيرَواني، وصفِيّ الدين الحِلّي، وابن حِجَّة الحَمَوِيّ. وغيرهم ممَّن زَادُوا في أنواعه. ونظموا فيها قصائد تُعرف (بالبديعيّات).

«علـمَ البديـع». وهُـوَ يشتَمِلُ كَمَا أشرْنَـا عَلَى محسِّناتٍ لفظيَّـة، وعَلَى محسِّنات معنويَّة، وإنَّا ذاكرون منْ كلِّ قسمٍ طَرَفاً»[1].

(1) الخطيب القزويني، الايضاح في علوم البلاغة.

الدرس الثاني والعشرون

المحسّنات اللفظية
- الجناس -

أهداف الدرس

1- أن يتعرّف الطالب إلى معنى الجناس اللفظي.

2- أن يتعرّف إلى أقسام الجناس اللفظيّ.

المحسّنات اللفظية

الجناسُ:

الجنـاسُ، هو تشابهُ لفظينِ في النطـقِ، واختلافهُما في المعنَى، وهو ينقسم إلى نوعين: تامٌّ وغيرُ تامٍّ.

الجناسُ التـامُّ: هوَ مَا اتفقَ فيـهِ اللّفظانِ المتجانسانِ في أربعـةِ أشياءَ، نوعِ الحـروفِ، وعددِها، وهيئاتِها الحاصلـةِ منَ الحركاتِ والسكنـاتِ، وترتيبِها مع اختلافِ المعنَى، كقولـهِ - تعالَى-: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ﴾[1]، وكقـولِ الشّاعـرِ فِـي رثاءِ صغيـرٍ اسمُهُ يَحْيَى:

وَسَمَّيْتُهُ يَحْيَى لِيَحْيَا فَلَمْ يَكُنْ   إِلَـى رَدِّ أَمْـرِ اللهِ فِيـهِ سَبيلُ

فِفي هذَينِ المثالينِ نجـدُ كلَّ كلمتينِ تُجانِسُ إحداهُما الأخرَى وتشاكلُها فِي اللّفظِ مَع اختلافِ فِي المعنَى؛ وإيرادُ الكلامِ علَى هذَا الوجهِ يسمَّى جناساً.

ففـي المثـالِ الأوّلِ نجدُ أنَّ لفظَ «السّـاعة» مكررٌ مرتيـن، وأنَّ معنَاه مرةً يومُ القيامَـةِ، ومرةً إحدَى الساعاتِ الزمانيَّة، وفِي المثالِ الثانِي نرَى «يَحْيى» مكرراً

(1) سورة الروم، الآية: 55.

(2) علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص 213.

مَع اختلافِ المعنَى. واختلافُ كلِّ كلمتين فِي المعنَى عَلَى هَذَا النَّحوِ مَع اتفاقِهِما فِي نوعِ الحُروفِ وشكلِها وعددِها وترتيبِها يُسمَّى «**جناساً تامًا**»[1].

الجناسُ غيرُ التامِّ: هُوَ مَا اختلفَ فيه اللفظانِ فِي واحدٍ مِنَ الأمورِ الأربعةِ السَّابقةِ الَّتي يَجبُ توافرُها فِي الجناسِ التامِّ وهِيَ: نوعُ الحروفِ، وعددُها، وهيئاتُها الحاصلةُ مِن الحركاتِ والسكناتِ، وترتيبُها مع اختلافِ المعنَى، كقولِ اللهِ - تَعَالَى-: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ﴾[2]. وقولِ ابنِ الفارضِ[3]:

هَـلَّا نَـهَـاكَ نُـهَـاكَ عَـنْ لَـوْمِ امْـرِئٍ   لَـمْ يُـلْـفَ غَـيْـرَ مُـنَـعَّـمٍ بِـشَـقَـاءِ

إذا تأمَّلنا كلَّ كلمتين متجانستين في هذين المثالين رأيْنَا أنَّهما اختلفتَا فِي ركنٍ مِن أركانِ الوِفَاقِ الأربعةِ المتقدِّمة، مثلُ «**تقْهر**» و «**تَنْهَر**»، و «**نَهاكَ**» و «**نُهَاكَ**». عَلَى ترتيبِ الأمثلةِ، ويُسمَّى ما بَيْنَ كلِّ كلمتين هنَا مِنْ تَجَانسٍ «**جناساً غير تامٍّ**».

---

(1) علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص 214.

(2) سورة الضحى، الآيات:9-11.

(3) عُمر بن علي بن مرشد بن علي الحَمَوِيّ الأصل، المصري المولد والدار والوفاة، الملقَّب بشرف الدين بن الفارض. 576 - 632 هـ / 1181 - 1235 م شاعر متصوف، يلقَّب بسلطان العاشقين، في شعره فلسفة تتصل بما يسمى (وحدة الوجود).
اشتغل بفقه الشافعية، وأخذ الحديث عن ابن عساكر، وأخذ عنه الحافظ المُنْذِرِيّ وغيره، ولكنّه ما لبث أن زهد بكل ذلك وتَجَرّد، وسلك طريق التصوّف وجعل يأوي إلى المساجد المهجورة وأطراف جبل المقطم، وذهب إلى مكة في غير أشهر الحج، وأكثر العزلة في وادٍ بعيد عن مكة. ثم عاد إلى مصر وقصده الناس بالزيارة حتى أن الملك الكامل كان ينزل لزيارته. وكان حسن الصحبة والعشرة رقيق الطبع فصيح العبارة، يعشق مطلق الجمال. ومن أشعاره التي يستدل بها على سلوكه طريق الولاية لاهل البيت عليهم السلام:

ذهبَ العُمْرُ ضياعاً وانقضى   باطلاً إذ لم أفُزْ منكُم بشَيّ
غيرَ ما أوليتُ من عقدي ولا   عِترَةِ المبعوثِ حقاً من قُصَيّ

القواعد الرئيسة

- الجِنَاسُ أَنْ يَتَشَابَهَ اللفظانِ في النُّطْق وَيَخْتَلِفَا في الْمَعْنى. وهو نَوْعانِ:

أ- تَامٌّ: وهو ما اتَّفَقَ فيه اللفظان في أمورٍ أَربعةٍ هيَ: نَوْعُ الحُروفِ، وشَكلُهَا، وعَدَدُها، وتَرْتيبُها.

ب- غَيْرُ تَامٌ: وهو ما اخْتَلَفَ فيه اللفظان في واحدٍ مِنَ الأمور الْمُتَقَدِّمة.

تمارين

بَيِّن الجناسَ التامّ من غير التامّ في كلّ مثالٍ منَ الأمثلة الآتية:

- قال أبو العلاءِ المَعَرِّيّ:

لَمْ نَلْقَ غَيْرَكَ إِنْساناً يُلاذُ بِهِ   فَلا برحْتَ لِعيْنِ الدهْر إِنْسانا

- قال أبو الفتح البُسْتِيُّ:

فَهِمْتُ كِتَابَكَ يا سيِّدِي   فَهِمْتُ ولاَ عجبٌ أنْ أهِيما

- وقال ابن جُبير الأندلسي:

فَيا راكِبَ الوجْنَاءِ هل أنْت عالِمٌ   فِداؤُكَ نَفْسِي كيْفَ تلكَ المَعالِمُ

- وقال يمدح سيف الدولة:

بسيفِ الدَّوْلة اتَّسقَتْ أمُورٌ   رأَيْنَاها مُبدَّدَةَ النِّظَامِ
سَمَا وحَمَى بني سامٍ وحامٍ   فليسَ كمثلهِ سامٍ وحامِ

- وقال أبو نُواس:

عبَّاسُ عبَّاسٌ إذا احتَدَم الوغَى والفَضْلُ فَضْلٌ والربيعُ ربيعُ

- وقال تعالى: ﴿وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ وَإِن يُهۡلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾[1].

- وقال الحريري يصفُ هُيام الجاهل بالدنيا:

ما يستَفيقُ غراماً بهَا وفَرْطَ صَبابَهْ
ولوْ دَرى لَكفَاهُ مما يَرومُ صُبابَهْ

- قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ...﴾[2].

- قال أبو تمام:

ما ماتَ مِنْ كرمِ الزمان فإنَّه يحْيا لَدى يحْيى بْنِ عبدِ الله

(1) سورة الانعام، الآية: 26.
(2) سورة النساء، الآية: 83.

من شعرائنا: ابن حماد العبدي[1]

وهو أبو الحسن علي بن حمّاد بن عبيد الله بن حماد العدوي العبدي البصري.

كان حمّاد والد المترجم أحد شعراء أهل البيت عليهم السلام كما ذكره ولده شاعرنا في شعره بقوله من قصيدة:

وإن العبد عبدكم عليا   كذا حماد عبدكم الأديب
رثاكم والدي بالشعر قبلي   وأوصاني به أن لا أغيب

والمترجم له علم من أعلام الشيعة، وفذ من علمائها، ومن صدور شعرائها، ومن حفظة الحديث المعاصرين للشيخ الصدوق ونظرائه، وقد أدركه النجاشي وقال في رجاله: قد رأيته.

ولادته ووفاته:

لم نقف على تاريخ ولادة ابن حمّاد ووفاته غير أن النجاشي الذي أدركه ورآه ولم يرو عنه ولد في صفر سنة 372، وشيخه الذي يروي عنه وهو الجلودي البصري توفي 17 ذي الحجة سنة 332 فيستدعي التاريخان أن المترجم ولد في أوائل القرن الرابع وتوفي في أواخره.

ومن شعره:

ألا قل لسلطان الهوى: كيف أعمل   لقد جار من أهوى وأنت المؤمل؟!
أأبدي إليك اليوم ما أنا مضمر   من الوجد في الأحشاء أم أتحمل؟!؟!

(1) الشيخ الأميني، الغدير، ج4، ص 141.

ومــا أنــا إلا هــالــك إن كتمته ... ولا شـك كتمان الـهـوى سـوف يقتل

فخذ بعض ما عندي وبعض أصونه ... فإن رمت صون الكل فالحال مشكل

لقد كنت خلوا من غـرام وصبوة ... أبيت ومـا لـي في الـهـوى قط مدخل

إلـى أن دعـانـي للصبابة شـادن ... تـحـير فـيـه الـواصــفـون وتـذهـل

بديع جمال لو يرى الحسن حسنه ... لـفـر اخـتـيـارا أنــه مـنـه أجـمـل

فسبحان من أنشاه فـردا بحسنه ... فـلا تـعـجـبوا فـالله مـا شـاء يفعل

دعـانـي فلم ألـبث ولبيت عـاجـلا ... ومـا كنت لـولا ذلـك الحسن أعجل

بـذلـت لـه روحــي ومـا أنــا مـالك ... وفـي مثله الأرواح والـمـال تبذل

وصـــرت لـه خـدنـا ثـلاثـون حجة ... أعـانـق منه الشمس والليل أليل

بـسـمعي وقـر إن لـحـا فيه كاشح ... كـذاك بـه عن عـذل من راح يعذل

إلــى أن بـدا شـيـبي ولاح بياضه ... كما لاح قرن من سنا الشمس مسدل

وبــدل وصـلـي بـالـجـفـا متعمدا ... ومــا خـلـتـه للهجـر والـصـد يفعل

فـحـاولـتـه وصـلا فـقـال لـي ابـتـدأ ... وإلا يمينا إنــه ليس يقبل 15

وفـر كـمـا مـن (حـيـدر) فـر قرنه ... وقد ثار من نقع السنابك قسطل

غــداة رأتــه الـمـشـركون وسيفه ... بكفيه منه الـمـوت يـجـري ويهطل

حسام كصل الـريـم فـي جنباته ... دبيب كما دبت على الصخر أنمل

الدرس الثالث والعشرون

الاقتباس

أهداف الدرس

1- أن يتعـرّف الطالـب إلـى معنـى الاقتباس ودواعـي استعماله.

2- أن يُحسن استخدام الاقتباس.

الاقتباس:

هوَ أن يُضمّنَ المتكلّم منثورَه، أو منظومَه، شيئاً من القرآنِ، أو الحديثِ، على وجـهٍ لا يُشعِـرُ فيه بأنَّه منهُما، والغرضُ مِنْ هَذَا التضميـنِ أنْ يستعيرَ مِن قوَّتها قـوةً، وأنْ يكشِـفَ عَن مهارتِهِ فِي إحكام الصِّلةِ بَيـنَ كلامِهِ والكلام الَّذي أخَذَهُ، ويجوزُ للمُقْتَبسِ أنْ يُغَيِّرَ قليلاً فِي الآثارِ الَّتي يقْتَبِسُها. ومِنَ الأمثلةِ عَلَى الاقتباسِ مَا جَاءَ فِي خطبةِ الزّهراءِ عليها السلام:

«... حتى تفَرَّى الليلُ عن صبحه[1] وأسفرَ الحقُّ عن مَحْضِه، ونطقَ زعيم الديـن، وخرسـتْ شقاشـقُ الشـياطين [2]وطاح وَشـيظُ النِّفـاق[3] وانحلّتْ عُقَدُ الكفـر والشّـقَاق، وفُهْتُـمْ بكلمةِ الإخلاص[4] في نَفَرٍ من البِيْضِ الخمَاص[5] وكنتـم علـى شَـفَا حُفرة من النـار، مذْقَةَ الشـارب[6] ونهْـزَةَ الطامع[7] وقَبْسَـة العَجْـلَان، ومَوْطِـئَ الأقـدام[8] تشـربونَ الطَّـرق[9] وتقتاتـون القِـدَّ[10] أذلـة

(1) تَفَرَّى الليل عن صبحه: أي انشق حتى ظهر وجه الصباح.

(2) شقاشق الشياطين: الشقاشق: جمع شقشقة بالكسر وهي: شئ كالرية يخرجها البعير من فيه إذا هاج.

(3) طاح: هلك. والوشيظ السفلة والرذل من الناس.

(4) كلمة الإخلاص: كلمة التوحيد.

(5) البيض الخماص: المراد بهم أهل البيت عليهم السلام.

(6) مذقة الشارب: شربته.

(7) نهزة الطامع: بالضم - الفرصة أي محل نهزته.

(8) قبسة العجلان: مثل في الاستعجال. وموطئ الأقدام: مثل مشهور في المغلوبية والمذلة.

(9) الطرق: بالفتح ماء السماء الذي تبول به الإبل وتبعر.

(10) القد: بكسر القاف وتشديد الدال - سير بقد من جلد غير مدبوغ.

خاسئين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله -تبارك وتعالى- بمحمّد ﷺ، وبعد أنْ منِيَ بِبُهْمِ[1] الرجال وذُؤْبَانِ العرب، ومَرَدَة أهل الكتاب، كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله، أو نَجَم قَرْنُ الشيطان[2] أو فَغَرَت فاغِرَةٌ من المشركين[3] قَذَفَ أخاه في لَهَوَاتِهَا[4] فلا ينكفئُ حتى يَطَأ جناحَهَا بأخْمَصِه[5] ويُخْمَدَ لَهَبَهَا بسيفه، مكدوداً في ذات الله، مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله، سيّداً في أولياء الله، مشمّراً ناصحاً، مُجِدّاً، كادحاً، لا تأخذه في الله لومةُ لائم، وأنتم في رفاهيةٍ من العيش، وَادِعُون[6] فاكهون[7] آمنون، تتربّصونَ بنا الدوائر[8] وتتوكّفُونَ الأخبار[9] وتَنْكصُون عند النزال، وتَفِرُّونَ من القتال، فلمّا اختار الله لنبيه دارَ أنبيائه ومأوى أصفيائه، ظهر فيكم حَسَكَةُ النِّفَاقِ[10] وسَملَ جِلْبابُ الدين[11]، ونطقَ كاظمُ الغاوين[12]، ونَبَغَ خاملُ الأَقَلّينَ[13]، وهَدَرَ فنيق المُبْطِلينَ[14]، فخطر في عرصاتكم[15]، وأَطْلَعَ الشيطانُ رأسَهُ من مغرزة هاتفاً بكم[16]، فألفاكم لدعوته مُستجيبينَ، وللعزّة فيه ملاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خِفَافاً، وأَحْشَمَكُمْ فألفاكم

(1) بهم الرجال: شجعانهم.
(2) نجم: ظهر، وقرن الشيطان أمته وتابعوه.
(3) فغرفاه: أي فتحه، والفاغرة من المشركين: الطائفة منهم.
(4) قذف: رمى، واللهوات بالتحريك: - جمع لهات -: وهي اللحمة في أقصى شفة الفم.
(5) ينكفئ: يرجع، والأخمص ما لا يصيب الأرض من باطن القدم.
(6) وادعون: ساكنون.
(7) فاكهون: ناعمون.
(8) الدوائر: صروف الزمان أي كنتم تنظرون نزول البلايا علينا.
(9) تتوكفون: تتوقعون أخبار المصائب والفتن النازلة بنا.
(10) حسكة النفاق عداوته.
(11) وسمل جلباب الدين: سمل صار خلقا، والجلباب الإزار.
(12) الكظوم: السكوت.
(13) الخامل: من خفي ذكره وكان ساقطا لا نباهة له.
(14) الهدير: ترديد البعير صوته في حنجرته، والفنيق: الفحل المكرم من الإبل الذي لا يركب ولا يهان.
(15) خطر البعير بذنبه إذا رفعه مرة بعد مرة وضرب به فخذيه.
(16) مغرزه: أي ما يختفي فيه تشبيها له بالقنفذ فإنه يطلع رأسه بعد زوال الخوف.

غِضَابا[1]، فَوَسَمْتم غيرَ إبِلِكُمْ [2]وَوَرَدْتُمْ غير مَشْرَبِكُم[3]. هذا، والعهد قريب والكلم رحيب[4]، والجرح لمَا يَنْدَمِلْ [5] والرسولُ لمَا يُقْبَرِ، ابتداراً، زعمتم خوف الفتنة، أَلَا في الفتنة سقطوا، وإن جهنّم لمحيطةٌ بالكافرين، فهيهات منكم، وكيف بكم، وأَنَّى تُؤْفَكُون، وكتابُ الله بين أَظْهُرِكُمْ، أمورُهُ ظاهرة، وأحكامُهُ زاهرَةٌ، وأعلامه باهرة، وزواجره لايحة، وأوامره واضحة، وقد خَلَّفْتُمُوهُ وراء ظهوركم، أَرَغْبَةً عنه تُرِيْدُون؟ أم بغيره تحكمون؟ بئس للظالمين بدلاً، ومن يبتغِ غيرَ الإسلامِ ديناً، فلن يُقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين».

ومن أمثلةِ الاقتباسِ فِي الشِّعرِ - وهِيَ كثيرةٌ - قولَ الشَّاعِرِ[6] فِي مدحِ رسولِ اللهِ ﷺ:

لا كَانَ فُؤَادٌ لَيْسَ يَهِيْـ ـمُ عَلَى ذِكْرَاكَ وَيَنْزَعِجُ

(1) أي حملكم على الغضب فوجدكم مغضبين لغضبه.

(2) الوسم أثر الكي، تُعَلَّمُ به الإبل.

(3) الورود: الحضور إلى الماء للشرب.

(4) الكلم بالضم: الجرح، الرحب بالضم: السعة.

(5) أي لم يصلح بعد.

(6) محمد بن علي بن محمد بن عربي أبوبكر الحاتمي الطائي الأندلسي المعروف بمحي الدين بن عربي، 560 - 640 هـ / 1164 - 1242 م فيلسوف من أئمة المتكلمين في كل علم، ولد في مرسية بالأندلس وانتقل إلى إشبيلية، وقام برحلة فزار الشام وبلاد الروم والعراق والحجاز، وأنكر عليه أهل الديار المصريه (شَطَحات) صدرت عنه، فعمل بعضهم على إراقة دمه، وحُبس فسعى في خلاصه عليّ بن فتح البحيائي واستقرّ في دمشق ومات فيها. يقول الذهبي عنه: قدوة القائلين بوحدة الوجود. له نحو أربعمائة كتاب ورسالة منها: (الفتوحات المكية) في التصوف وعلم النفس، عشر مجلدات، (محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار) في الأدب، (ديوان شعر) أكثره في التصوف، و(فصوص الحكم) وغيرها الكثير الكثير.

(7) ومن لطيف الاقتباس ما كتب الفاضل مُلّا مهدي المعروف بالنَّرَاقِيّ (صاحب كتاب جامع السمادات) إلى العلامة آل بحر العلوم:

ألا قل لسكان أرض الغريْ هنيئا لكم في الجنان الخلودِ
أفيضوا علينا من الماء فيضاً فنحن عطاشى وأنتم وُرُود

فأجابه العلامة:

ألا قل لمولىً يرى من بعيدِ ديارُ الحبيب بعين الشهودِ
لك الفضلُ من غائب شاهدٍ على حاضر غائب بالصُّدُودِ
فنحنُ على الماءِ نشكو الظَّما وفُزْتُمْ على بُعْدِكُمْ بالوُرُودِ

لَا أَعْـتِــبُ قَـلْــبَ الـغَــافِـلِ عَنْـ ـكَ فَـ «لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجُ»[5]

القواعد الرئيسة

- الاقْتباسُ: تَضْميـنُ النَّثْـر أو الشْعـر شَيْئاً مـنَ القُرآن الكريـم أو الحديث الشريـف منْ غَيْر دلالة عَلَـى أنَّهُ منهما، ويَجُوز أنْ يُغيِّرَ فـي الأَثَر المُقْتَبس قَليلاً[1].

تـــمـــاريـــن

1- اقتبسِ الآياتِ الكريمةَ الآتيةَ مع إجادة الاقتباس وإحكامه:

- قال تعالى: ﴿..إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ..﴾[2].
- وقال تعالى: ﴿..وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ..﴾[3].
- وقال تعالى: ﴿..قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ..﴾[4].
- وقال تعالى: ﴿..وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[5].
- وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ..﴾[6].

2- صُـغْ عباراتٍ تَقْتَبِسُ في كلٍّ منها حديثاً من الأَحاديث الشـريفةِ مع العناية بحسنِ وضعها:

(1) علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص 219.
(2) سورة الحجرات، الآية: 13.
(3) سورة فاطر، الآية: 43.
(4) سورة الزمر، الآية: 9.
(5) سورة فاطر، الآية: 14.
(6) سورة الحجرات، الآية: 10.

من شعرائنا: أبو الفرج الرازي[1]

آل هنـدو، من أسر الإمامية الناهضين بنشر العلم والأدب، وفيهم جمع ممن تحلـوا بفنون الفضايل، ولهم في الكتابـة والقريض قدم وقدم، طفحت بذكرهم المعاجـم منهـم: أبـو الفـرج محمد بن هنـدو مؤسـس شرف بيتهـم، عده ابن شهرآشوب في (معالم العلماء) من شعراء أهل البيت عليهم السلام المتقين.

ومنهم: أبو الفرج الحسين بن محمد بن هندو، ترجمه الثعالبي في (اليتيمة) ج3 صـ 362 وعده من أصحاب الوزير الصاحب بن عباد وذكر شطرا من شعره وقال: ملحه كثيرة ولا يسع هذا الباب إلا هذا الأنموذج منها.

ومما ذكر له قوله :

لا يوحشنك من مجد تباعده ... فإن للمجد تدريجا وتدريبا
إن القناة التي شاهدت رفعتها ... تنمي فتصعد أنبوبا فأنبوبا

وله قوله:

قالوا: اشتغل عنهم يوما بغيرهم ... وخادع النفس إن النفس تنخدع
قد صيغ قلبي على مقدار حبهم ... فما لحب سواه فيه متسع

ومن شعره في الإمام علي عليه السلام :

تجلى الهدى يوم (الغدير) على الشبه ... وبرز إبريز البيان عن الشبه
وأكمل رب العرش للناس دينهم ... كما نزل القرآن فيه فأعربه
وقام رسول الله في الجمع رافعا ... بضبع علي ذي التعالي من الشبه
وقال: ألا من كنت مولى لنفسه ... فهذا له مولى فيا لك منقبه !»

(1) الشيخ الأميني، الغدير، ج4، ص 172.

الدرس الرابع والعشرون

السَّجَعْ

أهداف الدرس

1- أن يتعرّف الطالب إلى معنى السجع وأقسامه.

2- أن يحسن استخدامه دون تكلّف.

السَّجَعُ[1]:

هــو توافقُ الفاصلتينِ في الحرفِ الأخيرِ، ويكونُ مركباً مِن فِقْرتَين متَّحدتَينِ فِــي الحرفِ الأخيرِ، أو مركَّباً مِنْ أكثرِ مِنْ فِقْرَتين متَمَاثلتَين فِي الحرفِ الأخيرِ أيضــاً،. وتسمَّى الكلمة الأخيرة منْ كلِّ فقرةٍ فاصلــةً، وتُسكَّن الفاصلةُ دائماً في النثــرِ للوقفِ، كقولِ أميــرِ المؤمنينَ عليه السلام: «**اتخذوا الشيطان لأمرهم ملاكا، واتخذهم له أشراكا**[2]**. فباض وفَرَّخَ في صدورهم**[3]**. ودَبَّ ودَرَجَ في حُجُورِهم**[4]**. فنظرَ بأعْيُنِهِمْ ونَطَقَ بألسنتهم. فَرَكِبَ بهم الزَّلَلَ، وزَيَّنَ لهم الخَطَل**[5]**، فعل من قد شَرِكَهُ الشيطانُ في سلطانه، ونطقَ بالباطل على لسانه**»[6].

(1) ولا يحسنُ السجعُ إلا إذا كانتِ المفرداتُ رشيقةً، والألفاظُ خَدَمَ المعاني، ودلَّتْ كلٌّ منَ القرينتينِ على معنًى غيرِ ما دلَّتْ عليه الأخرى، وحينئذٍ يكونُ حِلْيَةً ظاهرةً في الكلام، ولا يُستحسنُ السجعُ -أيضاً- إلا إذا جاءَ عفواً، خالياً من التكلُّفِ والتصنعِ، ومن ثمَّ لا تجدُ لبليغٍ كلاماً يخلو منه، كما لا تخلو منه سورةٌ وإنْ قَصُرتْ. ولا يقالُ في القرآن «أسجاع»، لأنَّ السجعَ في الأصل هديرُ الحمامِ ونحوها؛ بل يقالُ: «فواصلُ».

(2) مَلَاكُ الشيءُ بالفتح ويكسر قوامه الذي يُمْلَكُ بـه. والأَشْرَاك جمع شريك كشريف وأشراف فجعلهم شركاءه أو جمع شرك وهو ما يُصاد به فكأنهم آلة الشيطان في الاضلال

(3) باض وفَرّخ كناية عن توطنه صدورهم وطول مكثه فيها؛ لأن الطائر لا يبيض إلا في عشه. وفِرَاخُ الشيطان وساوسه.

(4) دبّ ودَرَجَ الخ أي أنه تربّى في حجورهم كما يُرَبّى الأطفال في حجور والديهم حتى بلغ صوته وملك قوته.

(5) الخَطَل أقبح الخطأ. والزَّلَلَ الغَلَطُ والخطأ.

(6) الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة، ج1، ص 42.

والسجعُ ثلاثةُ أقسامٍ:

1- سجعٌ قصيرٌ، كقوله - تَعالَى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾[1].

2- سجعٌ متوسطٌ، كقوله - تَعالَى-: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾[2].

3- سجعٌ طويلٌ، كقوله - تَعالَى-: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٤٣ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾[3].

خـــاتـــمـــة:

السَّجَعُ موطنُه النثرُ، وقد يجيءُ في الشِّعرِ كقولِ المتنبِّي:

فنَحنُ في جَـذَلٍ والـرّومُ في وَجَل   وَالـبَـرُّ في شُـغُلٍ والـبَحرُ في خَجَلِ

---

(1) سورة المدثر، الآيات: 1-7.

(2) سورة القمر، الآيتان: 1-2.

(3) سورة الأنفال، الآيتان: 43-44.

القواعد الرئيسة

- السَّجْعُ: توَافُقُ الْفَاصِلَتَيْن في الْحَرْفِ الأخير، وأَفْضَلهُ ما تسَاوَتْ فقَرُهُ[1].
- السجع ثلاثة أقسام: قصير ومتوسِّط وطويل.
- السجع موطنه النثر، وقد يجيء في الشعر.

تمارين

بيِّنِ السجعَ في الأَمثلة الآتية، ووضِّح وجوه حسنه:

- من كلام لأمير المؤمنين عليه السلام في ذم أهل البصرة: «كنتم جُنْدَ المرأة. وأتباع البَهيمَة. رَغَا فأجبتم. وعُقرَ فهربتم. أخلاقُكُمْ دقَاق[2] وعهدُكُمْ شقَاق، ودينُكُمْ نفَاق، وماؤُكُمْ زعَاق[3]. والمقيمُ بين أظْهُرِكُمْ مُرتَهَنٌ بذنبه، والشاخصُ عنكم مُتَدَارَكٌ برحمةٍ من ربِّه»[4].
- ومن كتاب له عليه السلام الى عثمان بن حنيف: «أما بعد يا ابن حنيف، فقد بلغني أن رجلا من فتية أهل البصرة دعاك إلى مَأْدُبَةٍ[5] فأسرعتَ إليها تُستطابُ لك الألوان، وتُنقل إليك الجِفَان[6]، وما ظننت أنك تُجيبُ إلى طعامِ قومٍ عائِلُهُمْ مَجْفُوٌّ[7]. وغَنِيُّهُمْ مَدْعُوّ. فانظر إلى ما تَقْضِمُهُ من هذا

(1) علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص 222.
(2) دقة الأخلاق دناءتها.
(3) مالح.
(4) الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة، ج1، ص 45.
(5) المأدبة بفتح الدال وضمّها: الطعام يصنع لدعوة أو عرس.
(6) تستطاب يطلب لك طيبها. والألوان: أصناف الطعام والجفان بكسر الجيم: جمع جفنة القصعة.
(7) عائلهم: محتاجهم، مجفو أي مطرود من الجفاء.

المقضم[1]، فما اشتبه عليك عِلْمُهُ فالفظْهُ[2]، وما أَيْقَنْتَ بِطِيبِ وجوهِهِ[3] فَنَلْ منه. ألا وإن لكل مأموم إماماً يقتدي به ويستضيء بنور علمه، ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بِطِمْرَيه[4]، ومن طعمه بقُرْصَيْه. ألا وإنكم لا تقْـدِرُون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفّةٍ وسـداد. فوالله ما كَنَـزْتُ مـن دنياكم تِبْرَاً، ولا ادّخَرْتُ مـن غنائمها وفراً[5]، ولا أعددتُ لبالي ثوبي طِمْراً»[6].

(1) قضم كسمع أكل بطرف أسنانه والمراد الأكل مطلقا، والمقضم كَمَقْعَد وَمَأْكَل.
(2) اطرحه حيث اشتبه عليك حِلّه من حرمته.
(3) بطيب وجوهه بالحل في طرق كسبه.
(4) الطمر بالكسر: الثوب الخلق.
(5) التبر بكسر فسكون: فُتَاتُ الذهب والفِضّة قبل أن يصاغ. والوفر المال.
(6) الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة، ج3، ص 71.

من شعرائنا: الصاحب بن عبّاد[1].

أبو القاسم الملقّب بالصاحب كافي الكُفَاة إسماعيل بن أبي الحسن عبّاد بن العبّاس بن عبّاد بن أحمد بن إدريس الدَّيْلَمِيّ الأصفهاني القزوينيّ الطالقانيّ وزير مؤيّد الدولة ثمّ فخر الدولة وأحد كتّاب الدنيا الأربعة. وُلد لأربع عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة سنة 326 بإصطخر فارس وتوفّي ليلة الجمعة 24 من صفر سنة 385 بالرّي.

قال ابن شهرآشوب في معالم العلماء عند ذكر شعراء أهل البيت المجاهرين: الصاحب كافي الكفاة إسماعيل بن عبّاد الأصفهاني وزير فخر الدولة شهنشاه متكلّم شاعر نحوي وقد مدحه الرضي مكاتبة ثمّ رثاه. وقال عبد الرحمن بن محمّد الأنباري في نُزْهة الأَلِبَّاء في طَبَقَاتِ الأُدَبَاء كان الصاحبُ غزير الفَضْلِ متفنّناً في العلوم. وبالجملة فالصاحب علَم من أعلام القرن الرابع جمع بين الوزارة، والكتابة، والسيف، والقلم، وكان صدراً في العلم والأدب، وغايةً في الكرم وجلالة القدر، وفرداً في الرِّيَاسة وكثرة الفضائل. الصاحب مُجَوِّدٌ في شعره كما هو بارع في نثره، وقلّما يكون الكاتب جيّد الشعر، ولكن الصاحب جمع بينهما. له في مدح أمير المؤمنين عليه السلام سبع وعشرون قصيدة أشهرها على الإطلاق:

قالَت: فَمَن صاحِبُ الدِّينِ الحَنيفِ أَجِب ... فَقُلتُ: أَحمَدُ خَيرُ السادَةِ الرُسُلِ
قالَت: فَمَن بَعدَهُ يُصفي الوَلاءُ لَهُ ... قُلتُ: الوَصِيُّ الَّذي أَربى عَلى زُحَل
قالَت: فَهَل أَحَد في الفَضلِ يقدمُهُ ... فَقُلتُ: هَل هَضْبَةٌ تَرقى عَلى جبلِ

(1) السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج 3، ص 358 – 360.

قـالَـت: فَـمَـن أَوَّلُ الأَقـــوام صَـدَّقَـهُ   فقُلتُ: مَـن لَـم يَصِر يَـوماً الـى هُبَلِ
قالَت: فَمَن بات مِن فَوقِ الفِراشِ فدىً   فَقُـلتُ: أَثـبَـتُ خَـلـقِ اللّه فـي الـوَهـل
قـالَت: فَمن ذا الَّـذي آخـاه عَـن مِقة   فَقُلتُ: مَن حازَ رَدَّ الشَمسِ في الطَفَلِ
قـالَت: فَـمَـن زُوِّجَ الـزَهـراءَ فاطِمَةً   فَقُـلتُ: أَفـضَـلُ مـن حـافٍ وَمُنتَعِلِ
قالَت: فَمن والِـدُ السبطين اِذ فَرَعَا   فَقُـلتُ: سابِقُ أَهـلِ السَبقِ فـي مَهَلِ
قالَت: فَمن فـازَ في بَـدرٍ بِمَفْخَرِهَا   فَقُـلتُ: أَضـــرَبُ خَـلقِ اللّهِ لِلقُلَلِ
قالَت: فَمن سادَ يَوم الرَّوع من أُحُدٍ   فَقُـلتُ: مَـن هـالَـهُـم بَـأسـاً وَلـم يُهَلِ

الى قوله:

قـالَت: أَكُـلُّ الَّـذي قَـد قُلتَ في رَجُلٍ   فَقُـلتُ: كُـلُّ الَّـذي قَـد قُـلتُ فـي رجلِ
قـالَت: وَمَـن هـو هـذا الـمَـرءُ سَـمِّ لَنا   فَقُـلتُ: ذاكَ أَمـيـرُ الـمُـؤمِـنـيـنَ عَلِيّ

الدرس الخامس والعشرون

المحسِّنات المعنوية
الطباق والمقابلة

أهداف الدرس

1- أن يتعرّف الطالب إلى معنى الطباق وفائدته.

2- أن يتدرّب إلى حسن استخدام الطباق في الكتابة الأدبية.

3- أن يتعرّف إلى معنى المقابلة وتذوّق جماليتها.

الطباقُ والمقابلة:

أولاً: الطباق:

هو الجمعُ بَينَ الشَّيءِ وضِدِّهِ فِي الكلامِ، وهُوَ نوعانِ:

أ- طِباقُ الإيجابِ: هو ما لم يختلفْ فيه الضِّدانِ إيجاباً وسلباً، كقولِهِ - تَعَالَى-: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(1)، وكقولِهِ - تَعَالَى-: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ .... ﴾(2)، ففيهما تطابقٌ إيجابيٌّ بين هذه المذكوراتِ.

ب - طِباقُ السَّلبِ: هو ما اختلفَ فيه الضِّدانِ إيجاباً وسلباً، بحيثُ يُجمعُ بين فعلينِ من أصل واحدٍ، أحدُهُما مثبتٌ مرةً، والآخرُ منفيٌّ تارةً أخرى، في كلامٍ واحدٍ، كقولِهِ - تَعَالَى-: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ ..... ﴾(3)، وكقولِهِ - تَعَالَى-: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾(4)،

(1) سورة آل عمران، الآية: 26.
(2) سورة الكهف، الآية: 18.
(3) سورة النساء، الآية: 108.
(4) سورة الروم، الآية: 7.

وكقوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1].

- أو أحدهُمـا أمرٌ، والآخرُ نهـيٌ، كقوله - تَعَالَـى-: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[2]، وقوله: ﴿..فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ..﴾[3].

ثانياً: المقابلةُ[4]:

هِيَ أنْ يؤتَى بمعنيين متوافقينِ أو معانٍ متوافقةٍ، ثم يُؤتَى بِمَا يقابلُ ذَلِكَ عَلَى الترتيبِ، أو مجموعةُ كلماتٍ ضدَّ مجموعةِ كلماتٍ فِي المَعنَى عَلَى التَّوالِي.

وتَأتِي المقابلةُ فِي خَمسِ صور:

1- مقابلـةُ معنيينِ بمعنيينِ، كقولهِ - تَعَالَى-: ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[5].

2- مقابلـة ثلاثة بثلاثـة، كقوله - تَعَالَـى-: ﴿...يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ..﴾[6].

3- مقابلـةُ أربعة بأربعة، كقولـه - تَعَالَـى-: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ

(1) سورة الزمر، الآية: 9.
(2) سورة الأعراف، الآية: 3.
(3) سورة المائدة، الآية: 44.
(4) الفرقُ بينَ المقابلةِ والطباقِ:

-الطبـاقُ: حصـولُ التوافقِ بعد التنافـي، كالجمعِ بينَ أضحكَ وأبكَى بعد تنافيهما في قولـه تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ سورة النجم، الآية: 43.

-المقابلـةُ: حصـولُ التنافي بعد التوافقِ، كالجمع بين الضحكِ والقِلَّة، ثم إحداثُ التنافي حيثُ تقابلَ الأولُ بالأولِ والثاني بالثاني في قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا .....﴾ سورة التوبة، الآية: 82.

(5) سورة التوبة، الآية: 82.
(6) سورة الأعراف، الآية: 157.

لِلْعُسْرَىٰ﴾[1].

وكقولِ الشاعرِ أبي تمام[2]:

يَا أمَّـةً كـانَ قُبْـحُ الجـوْرِ يُسْخِطُها ... دهْـرًا فأصْبَحَ حُسْنُ العَدْلِ يُرْضِيها

4- مقابلةُ خمسة بخمسة، قال المتنبّي[3]:

أزُورُهُـــمْ وَسَــوَادُ اللّيْـلِ يَشـفَعُ لي ... وَأنـثَنـي وَبَيَـاضُ الصّبحِ يُغري بي

5- مقابلةُ ستة بستة، قال عنترةُ العبسيُّ[4]:

علـى رأسِـن عَبـدٍ تـاجُ عِـزٍّ يزينـهُ ... وفـي رِجْـلِ حـرّ قيـدُ ذُلٍّ يَشينـهُ

(1) سورة الليل، الآيتان: 5-10.

(2) سبقت ترجمته.

(3) سبقت ترجمته.

(4) عنترة بن شداد بن عمروِ بن معاويةَ بن قراد العَبْسيّ. 22 ق. هـ / 601 م أشهر فرسان العرب في الجاهلية ومن شعراء الطبقة الأولى. من أهل نجد. أمه حَبَشِيّة اسمها زَبيبَة، سرى إليه السواد منها. وكان من أحسن العرب شِيْمَةً ومن أعزّهم نفساً، يُوَصَفُ بالحِلم على شِـدّة بَطْشِـه، وفي شعره رِقّةٌ وعُذُوبَة. كان مغرماً بابنة عمه عبلة فقل أن تخلو له قصيدة من ذكرها. اجتمع في شبابه بامرئ القيس الشاعر، وشهد حرب داحس والغبراء، وعاش طويلاً، وقتله الأسد الرهيص أو جبار بن عمرو الطائي.

- الطِّباقُ: الْجَمْعُ بَيْنَ الشَّيْءِ وضدّه في الكلام، وهوَ نَوْعان:

أ- طبَاقُ الإيجاب: وَهُو ما لَمْ يَختَلفْ فيه الضدَّان إيجَاباً وَسَلْباً.

ب- طِبَاقُ السَّلب: وَهُو ما اخْتَلَف فيه الضِّدان إيجَاباً وسَلْباً.[1]

- الْمُقَابلَة أنْ يُؤتَى بِمَعْنَيَيْن أوْ أكْثَر، ثم يُؤتَى بمَا يُقَابلُ ذَلكَ عَلَى التَّرتيب.

(1) علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص 229.

تمارين

1- بيّن مواضعَ الطباقِ في الأمثلة الآتية، ووَضّحْ نوعه في كل مثال:

- قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ..﴾[1].
- وقال دِعْبل الخُزاعيُّ:

لا تعجبي يا سلْمُ مِنْ رجُلٍ ضَحِكَ المشيبُ برأسِهِ فَبكَى

- وقال الشاعر:

على أنني راضٍ بأنْ أَحْمِلَ الهوَى وأَخْرُجَ مِنْهُ لاَ عليّ ولا لِيَا

- وقال البحتريُّ:

تُقَيِّضُ لي من حيثُ لا أعلَمُ النّوَى وَيَسْرِي إليّ الشّوْقُ من حَيثُ أعلَمُ

- وقال المُقنّع الكنديُّ:

لَهُمْ جُلُّ مالِي إنْ تَتابعَ لِي غنىً وإنْ قَلَّ مالِي لَمْ أُكَلِّفْهُمْ رِفْدا

- وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾[2].
- وقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ..﴾[3].
- وقال السَّمَوْأَل بن عادياء:

سَلِي إنْ جَهِلْتِ النَّاسَ عَنَّا وعَنْهُمُ فلَيْسَ سَواءً عالِمٌ وجَهُولُ

(1) سورة الأنعام، الآية: 122.
(2) سورة الروم، الآيتان: 6-7.
(3) سورة البقرة، الآية: 286.

- وقال الفَرَزْدَقُ يهجو بني كُلَيْب:

قَبَحَ الإلَـهُ بَني كُلَيْبٍ إنّهُمْ ... لا يَغْدِرُونَ وَلا يَفُونَ لِجَارِ

- وقال أبو صخْر الهُذَليّ:

أَمَا والذي أَبْكى وأَضْحَكَ، والذي ... أماتَ وأَحْيا، والذي أَمْرُهُ الأَمْرُ

لقَدْ تَرَكَتْنِي أَحْسُدُ الوَحْشَ أَنْ أرى ... أَلِيفَيْنِ مِنْها لا يَرُوعُهُما الذُّعْرُ

- قال الحَمَاسيُّ:

تأَخَّرْتُ أَسْتَبْقي الْحياةَ فَلَم أَجدْ ... لِنَفْسِيَ حياةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدّما

2- بيّن مواقعَ المقابلة فيما يأتي.

- قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ..﴾[1].

- وقال جرير:

وباسِطَ خيرٍ فيكُمُ بيمينِه ... وقابِضَ شرٌّ عنكُمُ بشِمالِيا

- وقال البحتريُّ:

فإذا حَارَبُوا أذَلّوا عَزِيزاً ... وإذا سَالَمُوا أعَزّوا ذَليلا

- وقال الشريف:

وَمَنظَرٍ كانَ بالسّرّاءِ يُضْحِكُني ... يا قُرْبَ مَا عادَ بالضّرّاءِ يُبكيني

- وقال تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ..﴾[2]

(1) سورة الأعراف، الآية: 157.

(2) سورة الحديد، الآية: 23.

- وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾[1].

- وقال النابغة الجعديُّ:

فَتًى كان فيه ما يَسرُّ صديقَهُ   على أنَّ فيهِ ما يسوءُ الأعاديا

- وقال أبو تمام:

وأُمّةٌ كَانَ قُبْحُ الجَوْرِ يُسْخِطُهَا دَهْراً   فأصْبَحَ حُسنُ العَدلِ يُرْضِيهَا

- وقال أيضاً:

قدْ ينعمُ اللهُ بالبلوى وإنْ عظمتْ   ويَبْتَلِي اللّهُ بعضَ القَوْم بالنِّعَمِ

- وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾[2].

- وقال المعريُّ:

يا دهْرُ يا مُنجِزَ إيعادِهِ   ومُخْلِفَ المأمولِ مِنْ وعْدِه

(1) سورة الحديد، الآية: 13.

(2) سورة الليل، الآيات: 5-11.

من شعرائنا: أبو الفتح كشاجم[1]

أبـو الفتح محمـود بن محمد بن الحسيـن المعروف بكشاجـم. هو نابغة من رجالات الأمة، وفذ من أفذاذها، وأوحدي من نياقدها،

كان لا يجـارى ولا يبارى، ولا يساجـل ولا يناضل، فكان شاعـراً كاتباً متكلماً منجمـا منطقيا محدثـا، ومن نطس الأواسي محققا مدققـا مجادلا جوادا. فهو جماع الفضايل وإنما لقّب نفسه بكشاجم إشارة بكل حرف منها إلى علم فبالكاف إلى أنه كاتب، وبالشين إلى أنّه شاعر، وبالألف إلى أدبه أو إنشاده، وبالجيم إلى نبوغـه في الجدل أو جوده، وبالميم إلـى أنّه متكلّم أو منطقي أو منجّم، ولمّا ولع في الطب وبرع فيه زاد على ذلك حرف الطاء فقيل: طكشاجم.

إن المترجم قدوة في الأدب وأسوة في الشعر، حتى أن الرفاء السري الشاعر المفلـق علـى تقدّمه في فنون الشعـر والأدب كان مغرى بنسـخ ديوانه، وكان في طريقه يذهب، وعلى قالبه يضرب.

ومن قصائده في أمير المؤمنين علي عليه السلام:

لـه شـغـل عـن سـؤال الـطـلـل   أقـام الـخـلـيـط بـه ؟ أم رحـل ؟
فـمـا ضـمـنـتـه لـحـاظ الـظـبـا   تـطـالـعـه مـن سـجـوف الـكـلـل
ولا تـسـتـفـز حـجـاه الـخـدو   بـمـصـفـرة واحـمـرار الـخـجـل
كـفـاه كـفـاه فـلا تـعـذلاه   كـر الـجـديـديـن كـر الـعـذل
طـوى الـغـي مـشـتـعـلا فـي ذراه   فـتـطـفـى الـصـبـابـة لـمـا اشـتـغـل

(1) الشيخ الأميني، الغدير، ج4، ص3.

له في البكاء على الطاهرين مندوحة عن بكاء الغزل
فكم فيهم من هلال هوى قبيل التمام وبدر أفل
هم حجج الله في خلقه ويوم المعاد على من خذل
ومن أنزل الله تفضيلهم فرد على الله ما قد نزل
فجدهم خاتم الأنبياء ويعرف ذاك جميع الملل
ووالدهم سيد الأوصياء ومعطي الفقير ومردي البطل
ومن علم السمر طعن الحلي لدى الروع والبيض ضرب القلل
ولو زالت الأرض يوم الهياج من تحت أخمصه لم يزل
ومن صد عن وجه دنياهم وقد لبست حليها والحلل
وكان إذا ما أضيفوا إليه فأرفعهم رتبة في المثل

إلى أن قال:

وقد علموا أن يوم الغدير بغدرهم جر يوم الجمل
فيا معشر الظالمين الذين أذاقوا النبي مضيض الثكل

وشعره كما تطفح عنه شواهد تضلعه في اللغة والحديث، وبراعته في فنون الأدب والكتاب والقريض، كذلك يقيم له وزنا في الغرائز الكريمة النفسية، ويمثله بملكاته الفاضلة.

الدرس السادس والعشرون

التورية وحسن التعليل

أهداف الدرس

1- أن يتعرّف الطالب إلى معنى التورية وفوائدها البلاغية.

2- أن يتعرّف إلى جماليّة التورية.

3- أن يتعرّف إلى معنى حسن التعليل وجماليته الأدبية.

أولاً: التوريةُ[1]

التوريةُ لغةً - مصدر- ورّيتُ الخبرَ توريةً: إذا سترتُه، وأظهرتُ غيره[2].

واصطلاحاً: هي أن يذكُرَ المتكلمُ لفظاً مفرداً له معنيان: أحدهُما قريبٌ غيرُ مقصودٍ ودلالةُ اللفظِ عليه ظاهرةٌ، والآخرُ بعيدٌ مقصودٌ، ودلالةُ اللفظِ عليه خَفِيَّةٌ، فيتوهَّمُ السَّامعُ: أنَّه يُريدُ المعنَى القريبَ، وهو إنَّما يُريدُ المعنى البعيدَ بقرينةٍ تشيرُ إليه ولا تُظهرُه، وتسترُه عن غير المتيقظِ الفطِنِ، كقولِه - تَعَالَى-: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾[3] أرادَ بقولِهِ جرحتُم معناهُ البعيدَ، وهُوَ ارتكابُ الذنوبِ، ولأجلِ هذا سُمّيتِ التَّوريةُ إيهاماً وتخييلاً.

- وكقولِ سراجِ الدّينِ الورّاقِ[4]:

يَرُومُ حَيَاتَهُ مَا بَيْنَ قَوْمٍ   لِقَاءُ المَوْتِ عِنْدَهُمُ الأَدِيبُ
وَرَبُّ الشِّعْرِ مَمْقُوتٌ بَغِيضٌ   وَلَوْ وَافَى بِهِ لَهُمُ «حَبِيبُ»

(1) (هو فنٌّ بَرَعَ فيه شعراء مصر والشام في القرن السابع والثامن من الهجرة، وأتوْا فيه بالعجيب الرائع الذي يدلُّ على صفاءَ الطبع والقدرة على اللعب بأساليب الكلام).

(2) الجوهري، الصحاح، ج6، ص 23 - 25.

(3) سورة الأنعام، الآية: 60.

(4) عمر بن محمد بن حسن، أبو حفص، سراج الدين الوراق 615 - 691 هـ / 1219 - 1292 م شاعر مصر في عصره، برع في التورية وغيرها من أنواع البديع كان كاتباً لواليها الأمير يوسف بن سباسلار. له (ديوان شعر) كبير، في سبعة مجلدات، اختار منه الصفدي (لمع السراج- خ)، وله (نظم درة الغواص- خ)، (وشرحه - خ)، توفي بالقاهرة.

تمارين

1- اشرح التوريةَ في كلّ مثال من الأَمثلة شرحاً وافياً:

- قَال سراجُ الدين الورَّاق:

كَمْ قَطَعَ الْجُنُودُ من لِسانٍ ... قَلَّدَ مِنْ نَظْمِهِ النحُورا
فَها أَنَا شاعرٌ سِراجٌ ... فاقْطَعْ لِسَاني أَزِدْكَ نُورا

- وقال أيضاً:

يا خَجْلَتي وصحائِفي سُودٌ غَدتْ ... وصحائِفُ الأبرار في إشراق
ومُونِّبٌ لِي في القيامةِ قالَ لي ... أَكَذَا تكون صحائفُ «الورَّاق»؟

- وقال أبو الحسين الجزار:

كيْفَ لا أشكرُ الجِزارَة ما عِشْـ ... ـتُ حِفاظاً وأهْجُرُ الآدابا؟
وبها صارت الْكلابُ تُرجِّيـ ... ـني وبالشِّعْر كُنتُ أَرجُو الكلابا

- وقال بدْرُ الدين الذهبيُّ:

رِفْقاً بخِلٍ ناصحٍ ... أَبلَيْتَهُ صَدًّا وهَجْرا
وافاك سائلُ دمْعِهِ ... فَرددْتَهُ في الحال نَهْرا

- وقال الشاعر:

يا عاذلى فيه قلْ لي ... إذا بَدَا كَيْف أَسْلُو؟
يمُرُّ بِيَ كلَّ وقْتٍ ... وكلَّما مرَّ يحلُو

- و قال الشاعر:

ورياضٍ وقفتْ أشْجارُها ... وتمشَّتْ نسْمةُ الصُّبحِ إليها
طَالعتْ أوْراقَها شَمْسُ الضُّحا ... بعْد أَنْ وقَّعتِ الوُرْقُ عليها

- وقال نصيرُ الدِّين الحمَّاميُّ:

جُودُوا لِنَسْجَع بالمديـ ـحِ على عُلاكُمْ سَرْمدَا
فالطيرُ أحسنُ ما تُغَـ ـرِّدُ عِنْد ما يقَعُ النَدَى

- وقال سراج الدين الورَّاق:

وقفْتُ بأطلال الأَحِبَّةِ سائلاً ودمْعيَ يَسْقي ثَمَّ عهداً ومعْهَدَا
ومِنْ عجبٍ أنِّي أُروِّي دِيارَهُمْ وحظِّيَ مِنها حين أسْألها الصَّدَى

- وقال ابن الظاهر:

شُكْرًا لِنَسْمةِ أرْضِكم كم بَلَّغَتْ عنِّي تَحِيَّهْ
لا غَرْوَ إن حفِظَتْ أحا ديثَ الهوى فهي الذَّكِيَّهْ

- وقال ابن نُباتَةَ المصريّ:

والنَّهْرُ يُشْبِهُ مِبْرَدًا فلأَجْل ذَا يجْلُو الصَّدَى

2- وَضِّحْ حُسْنَ التعليل في الأَبيات الآتية:

- قال ابن نُبَاتة:

لَمْ يزَلْ جُودُه يجُورُ على الْمالِ إلى أنْ كَسا النُّضَارَ اصْفِرارا

- وقال شاعر الحاكم يمدحُ ويُعلل لزلزَال حدثَ بمصرَ:

ما زُلزلَتْ مِصْرُ مِن كَيْدٍ يُرادُ بها وإنما رَقَصَتْ مِنْ عدْلِهِ طَرَبا

- قال عبد الملك بن إدريس الحريريّ وكان بين يدي المنصور أبي عامر في ليلة يبدو فيها القمر تارةً ويختفي بالسَّحاب تارةً، وهو:

أَرَى بَدْرَ السَّماءِ يلوحُ حيناً ويبدُو ثمَّ يلتحِفُ السَّحَابَا
وذاكَ لأنَّه لمَّا تبدَّى وأبصرَ وجهكَ اسْتَحْيا وغابَا

- قال ابن قلاقس في وصف فرس أدْهم ذي غرَّة :

وأَدهــــمَ كـالـغُـرابِ سَـوادَ لَـوْنٍ ... يَـطـيـرُ مـعَ الـرِّيـاحِ ولا جَـنَـاحُ
كـســـاهُ الـلَّـيْـلُ شـمـلـتـهُ وولَّـــى ... فـقـبَّـلَ بـيـنَ عـيـنـيـهِ الـصَّـبـاحُ

- وقال ابن نُبَاتَةَ السَّعْدي في فرس محجَّل ذي غُرَّة:

وأَدْهَــــمُ يـسـتَـمِـدُّ الـلّـيـلُ مِـنْـهُ ... وتَـطْـلُـعُ بـيْـنَ عـيْـنـيْـهِ الـثّـريَّـا
سـرَى خَـلْـفَ الـصَّـبـاحِ يـطِـيـرُ زَهْـوًا ... ويَـطْـوي خَـلْـفَـهُ الأفــــلاَكَ طـيًّـا
فلـمـا خَــافَ وَشْــكَ الْـفَـوْتِ مِـنْـهُ ... تَـشَـبَّـث بـالْـقَـوائِـمِ والـمُـحـيَّـى

- وقال الأَرَّجَانيُّ:

أَبْـدى صنيعُك تَقصيرَ الزَّمان ففي ... وقـتِ الـرَّبـيـعِ طُـلـوعُ الـورْدِ مِـن خَجَل

- وقال بعضهم يرثي كاتبا:

اسـتَـشْـعَـر الـكُـتَّـابُ فَـقْـدَكَ سـالِـفـاً ... وقَـضَـتْ بِـصـحّـةِ ذلـكَ الأيــامُ
فـلِـذاكَ سُـوِّدتِ الــدُّوِيُّ كـآبـةً ... أسـفـاً عَـلَـيـك وشُـقّـتِ الأقــلامُ

وقال آخرُ:

سـبقَتْ إلَـيْـكَ مِـنَ الـحـدائق وَرْدةٌ ... وأتَـتـكَ قَـبْـل أوانـهـا تَـطْـفِـيـلا
طَـمِـعتْ بلَثْمِكَ إذْ رأَتْـك فجمَّعتْ ... فَـمـهَـا إلَـيْـكَ كَـطَـالِـب تَـقـبـيـلاَ

- قال أبو الحسن النويختي:

لاَ يـطْـلُـع الـبـدْرُ إلاَّ مِـنْ تَـشَـوُّقِـهِ ... إلـيـك حتَى يـوافـي وجْـهَـكَ الـنَّـضِـرَا

- وقال الشاعر:

بكتْ فَقْدَكَ الدُّنْيا قَدِيماً بدمْعِها ... فكانَ لها في سَالِفِ الدَّهْرِ طُوْفانُ

من شعرائنا: أبو إسماعيل العلوي[1]

أبو إسماعيل محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله عليهم).

قال المرزباني في (معجم الشعراء) ص435: شاعر يكثر الافتخار بآبائه رضوان الله عليهم، وكان في أيام المتوكّل وبعده دهراً، وهو القائل:

وإنّي كريم من أكارم سادة ... أكفهم تندي بجزل المواهب
هم خير من يحفى وأفضل ناعل ... وذروة هضب العرب من آل غالب
هم المن والسلوى لدان بودهم ... وكالسم في حلق العدو المجانب

وله:

بعثت إليهم ناظري بتحية ... فأبدت لي الأعراض بالنظر الشزر
فلما رأيت النفس أوفت على الردى ... فزعت إلى صبري فأسلمني صبري

وله:

وجدي وزير المصطفى وابن عمه ... علي شهاب الحرب في كل ملحم
أليس ببدر كان أول قاحم ... يطير بحد السيف هام المقحم؟!
وأول من صلى ووحد ربه ... وأفضل زوار الحطيم وزمزم
وصاحب يوم الدوح إذ قام أحمد ... فنادى برفع الصوت لا بتهمهم

(1) الشيخ الأميني، الغدير، ج3، ص1.

جعلتك مني يا علي؟ بمنزل كهارون من موسى النجيب المكلم
فصلى عليه الله ما ذر شارق وأوفت حجور البيت أركب محرم

أما إذا افتخر أبو إسماعيل بآبائه فأيّ أحدٍ يولده أولئك الأكارم من آل هاشم فلا يكون حقاً له أن يطأ السماء برجله؟ وأي شريف يكون المحتبي بفناء بيته قمر بني هاشم أبو الفضل ثم لا تخضع له قمة الفلك مجداً وخطراً؟ فإن افتخر المترّجِم بهؤلاء فقد تبجّح بنجوم الأرض وأعلام الهدى، ومنار الفضل وسوى الإيمان.

الدرس السابع والعشرون

أسلوبُ الحكيمِ
وتأكيد المدح بما يشبه الذم

أهداف الدرس

1- أن يتعرّف إلى معنى أسلوب الحكيم في البلاغة.

2- أن يتعرّف إلى أقسام أسلوب الحكيم.

3- أن يتعرّف إلى أساليب تأكيد المدح بما يشبه الذم.

أسلوبُ الحكيمِ:

هوَ أنْ تحدِّثَ المخاطَبَ أو السائل بغيرِ ما يتوقعُ، فقد يخاطبُكَ إنسانٌ أو يسألُك سائـلٌ عَنْ أمرٍ مِنَ الأمورِ، فتجدُ مِـنْ نفسِكَ مَيْلاً إلَى الإعراضِ عَنِ الخوضِ فِي موضـوعِ الحديثِ أو الإجابةِ عنِ السُّؤالِ لأغراضٍ كثيـرةٍ، منْها أنَّ السَّائِلَ أعجزُ مِـنْ أنْ يَفهَـمَ الجوابَ عَلَى الوجهِ الصحيحِ، وأنَّه يجْمُـلُ به أنْ ينْصرفَ عنهُ إلَى النَّظـرِ فيمَا هُوَ أنفعُ لَـهُ وأجدَى عليهِ، ومنهَا أنَّك تُخالِـفُ محدثَّكَ فِي الرَّأي ولا تريدُ أن تجبهَه برأيِك فيهِ، وفِي تلكَ الحالِ وأمثالِهَا تَصرفُه فِي شيءٍ من اللَّباقةِ عَـنِ الموضوعِ الَّذي هوَ فيهِ إلَى ضربٍ مِنَ الحديثِ تَراه أجدرَ وأولَى[1]. وقد عُبِّر عنـه فـي بعض المصادر بأنّه «تلقّـي» السائل بغير ما يتطلّـب، والسامع بغير ما يترقّب.

وهوَ نوعَانِ:

الأولُ: إمَّـا أنْ تتجاهلَ سـؤالَ المخاطَبِ، فتجيبُه عنْ سـؤالٍ آخرَ لم يسألْه، كقولِهِ - تَعالَـى-: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾[2]، فقـدْ سألُوا عَن الهلالِ مَـا بَالُهُ يبدُو صغيراً فيكبرُ ثمَّ يعودُ كمَا بَدَأ، وهذِهِ مسألةٌ

(1) علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص 243.

(2) سورة البقرة، الآية: 189؛ والمذكور في الشرح أحد وجوه تفسير الآية.

مِن مسائلِ علمِ الفَلَكِ يُحتاجُ فِي فَهمِهَا إلَى دراسةٍ دقيقةٍ طويلةٍ، فَصرَفَهم القرآنُ الكريـمُ عَن هَذَا بِبَيَانِ أنَّ الأهلةَ وسائلُ للتوْقيـتِ فِي المعاملاتِ والعباداتِ، إشارةً منهُ إلَى أنَّ الأولَى بِهِم أنْ يَسألُوه عَن هَذَا، وإلَى أنَّ البحثَ فِي العلومِ يَجِبُ أنْ يُرَجأ قليلاً، فَقَد كانَ سؤالُهُم عَنِ السببِ، وكانَ الجوابُ عن الحكمةِ من تغيُّرِ الأهلَّةِ وهِيَ مواقيتُ للناسِ والحجِّ.

الثانـي: إمَّـا أنْ تحملَ كلامَه على غيرِ مـا كانَ يقصدُه ويريدُه، وفي هذا توجيهٌ للمخاطَبِ إلى مَا يَنبغِي عليهِ أنْ يسألَ عنه أو يقصدَه من كلامِه، كقولِ الشَّاعِرِ:

ولـمَّـا نَـعَـى الـنـاعِـي سـأَلـنـاه خشْيةً ... وللعيْن خـوفَ البيْن تَسكابُ أمـطـارِ
أَجـابَ قضى! قلنا قَضَى حاجةَ العُلاَ ... فـقـالَ مضَـى ! قلـنـا بـكلِّ فَـخَـارِ (1)

فقـد حملَ المخاطبُ كلمةَ «قضَـى» على إنجازِ الحوائجِ وقضائِهـا، أمَّا المتكلِّمُ فقصــدَ منه الموتَ، وكذلـك قوله «مضَـى» أرادَ لمتكلِّم «مـاتَ» وحملَها المخاطَبُ على أنَّه ذهبَ بالفضلِ، ولم يدعْ لأحدٍ شيئاً.

تأكيدُ المدحِ بِمَا يُشبِهُ الذَّمَّ

ولَهُ عدَّةُ أساليبَ، نذكُرُ مِنْهَا:

الأسـلوبَ الأولَ: أنْ يستثنَـى مـن صفةِ ذمٍّ منفيةٍ عن الشـيءِ صفةَ مدحٍ بتقديرِ دخولِها فيه، كقولِهِ – تَعَالَى-: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴾(2)، وكقولِ الشَّاعِرِ(3):

لـيـسَ بـه عـيـبٌ سِـوَى أنَّـهُ ... لا تَـقَـعُ الـعَـيْـنُ عـلـى شِـبْـهِـهِ

(1) قضى: من معانيها مات، وأدى، ومضى: من معانيها مات؛ ومضى بكذا: ذهب به واختصّ.
(2) سورة الواقعة، الآيتان: 25-26.
(3) وهو الشاعر ابن الرومي.

فقد صدَّر كلامَه بنفي العيبِ عامةً عَنْ ممدوحِه، ثمَّ أتى بَعدَ ذَلكَ بأداةِ استثناءٍ هِيَ «سوى» فَسَبَقَ إلَى وهمِ السَّامعِ أنَّ هناكَ عيباً فِي الممدُوحِ، وأنَّه سيكونُ جريئاً فِي مصارحتِه بِهِ، ولكنَّ السَّامعَ لمْ يلبثْ أنْ وجَدَ بَعدَ أداةِ الاستثناءِ صفةَ مدحٍ، فراعَهُ هَذَا الأسلوبُ، وَوَجَدَ أنَّ الشَّاعرَ خدعَه، فلمْ يذكرْ عيباً، بلْ أكّدَ المدحَ الأوَّلَ فِي صورةٍ تَوَهُّمِ الذَّمَّ.

الأسلوبَ الثانِي: أنْ يُثبتَ للشيءِ صفةَ مدحٍ، ويأتيَ بعدها بأداةِ استثناءٍ تليها صفةُ مدحٍ أخرى كقولِ رسولِ اللهِ ﷺ: «... **وأنَا أفصحُ العَرَبِ بيدَ أنِّي مِنْ قريشٍ**»[1] فإنَّ النبيَّ ﷺ وَصَفَ نَفسَهُ بصفةٍ ممدوحةٍ، وهِيَ أنَّه أفصحُ العَرَبِ، ولكنَّه ﷺ أتى بعدَهَا بأداةِ استثناءٍ، فدُهِشَ السَّامعُ، وظنَّ أنَّه سيذكُرُ بعدَهَا صفةً غيرَ محبوبةٍ، ولكنْ سُرْعَانَ مَا هدأتْ نفسُهُ حِينَ وَجَدَ صفةً ممدوحةً بَعدَ أداةِ الاستثناءِ، وهِيَ أنَّه مِنْ قريش، وقريشُ أفصحُ العربِ غير منازَعين. فكانَ ذلكَ توكيدًا للمدحِ الأوَّلِ فِي أُسلوبٍ ألفَ الناسُ سماعَه فِي الذَّمِّ.

تأكيدُ الذمِّ بما يشبهُ المدحَ

تأكيدُ الذَم بما يُشبهُ المدحَ ضربان:

الأولُ: أنْ يُستثنَى من صفةِ مدحٍ منفيةٍ عن الشيءِ، صفةَ ذمٍّ بتقدير دخولها فيها، كقولِ الشَّاعرِ:

لا حُسنَ في المنزلِ إلا أنه مظلمٌ ضيّقُ الحجراتِ

الثاني: أنْ يُثبَتَ لشيءٍ صفةَ ذمٍّ، ثمَّ يؤتَى بعدَهَا بأداةِ استثناءٍ، تليها صفةُ ذمٍّ أخرَى، كقولِ الشَّاعرِ:

لئيمُ الطِّبَاعِ سوى أنهُ جبانٌ يهونُ عليه الهوانُ

(1) الميرزا النوري، مستدرك سفينة البحار، ج 8، ص 203.

القواعد الرئيسة

أُسْلُوبُ الحكيمِ تَلَقِّي الْمُخَاطَبِ بغيرِ ما يَتَرَقَّبُهُ، إِمَّا بتَرْكِ سؤالِه والإجابةِ عن سؤالٍ لم يَسْأَلْهُ، وإمَّا بحَمْلِ كلامِهِ عَلَى غيرِ ما كانَ يَقْصِدُ، إِشارَةً إلى أَنَّهُ كان يَنْبَغي له أن يَسْأَلَ هذا السؤال أَوْ يَقْصِدَ هذا الْمَعْنَى(1).

- تَأْكِيدُ الْمَدْحِ بما يُشْبِهُ الذمّ ضربان:

أ- أنْ يُسْتَثْنَى مِنْ صِفَة ذَمٍّ مَنْفِيَّةٍ صِفَةُ مَدْحٍ.

ب- أَن يُثْبَتَ لِشَيءٍ صِفَةُ مَدْحٍ، ويُؤْتَى بَعْدَها بأَدَاةِ اسْتِثْنَاءٍ تَلِيهَا صِفَةُ مَدْحٍ أُخْرَى.

- تأْكِيدُ الذَّمّ بما يُشْبِهُ المدحَ ضربان:

أ- أن يُسْتَثْنَى مِنْ صِفَةِ مَدْحٍ مَنْفِيَّةٍ صِفَةُ ذَمٍّ.

ب- أنْ يُثْبَتَ لِشَيْءٍ صِفَةُ ذَمٍّ، ثُمَّ يُؤْتَى بَعْدهَا بأَدَاةِ اسْتِثْنَاءٍ تَلِيهَا صِفَةُ ذَمٍّ أُخْرَى.

تمارين

1- بيِّن كيف جاءَ الكلامُ على أسلوب الحكيم في الأَمثلة الآتية:

- قال الشاعر:

ولقدْ أَتيتُ لصاحِبي وسأَلْتُهُ   في قَرْضِ دينارٍ لأمرٍ كانَا
فأَجابَني: واللهِ، داري ما حَوَتْ   عيناً، فقلتُ لهُ ولا إنسانا

- قيل لشيخ هَرِمٍ: كم سِنُّكَ؟ فقال: إني أَنْعَمُ بالعافية.

- قيل لرجلٍ: ما الغنَى؟ فقال: الجودُ أَنْ تجودَ بالموجودِ.

(1) علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص 243.

- سُئلَ غريبٌ عن دينِه واعتقاده، فقال: أُحبُّ للناس ما أحبُّ لنفسي.

- قيل لتاجرٍ: كمْ رأسُ مالك؟ فقال: إني أَمينٌ، وثقَةُ الناس بي عظيمةٌ.

- قال الشاعر:

طلبتُ منه دِرْهماً يوماً فأظْهَرَ العَجَبْ
وقال ذا مِنْ فِضَّةٍ يُصنعُ لا مِنَ الذَّهبْ

- قال تعالى: ﴿.. وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾(1).

2- بيّن ما في الأمثلة الآتية من تأكيد المدح بما يشبه الذمّ وعكسه ومع ذكر الضرب الوارد:

- وقال الشاعر:

ولا عَيْبَ فيهِ غيرَ أنّي قصدْتُهُ فأنْستَنِيَ الأَيَّامُ أهلاً ومَوْطِنَا

- هم فرْسانُ الكلام إلا أنّهم سادةٌ أمجاد.

وجوهٌ كأكْبادِ المُحِبِّينَ رِقَّةً ولكنَّها يومَ الهِيَاجِ صُخُورُ

- قال ابنُ نُباتة المِصْريُّ:

ولا عَيْبَ فيكم غيرَ أنَّ ضيُوفَكُمْ تُعَابُ بِنِسْيانِ الأَحبَّةِ والوَطَنْ

- وقال التنوخي:

- لا فضلَ للقوم إلا أنَهم لا يعرفونَ للجار حقَّهُ.

- الكلامُ كثيرُ التعقيدِ سِوَى أَنه مبتَذَلُ المعاني.

(1) سورة البقرة، الآية: 219.

- لا حُسْنَ في المنزل إلَّا أنه مُظْلمٌ ضيِّقُ الحُجُرَاتِ.

- قال صفيُّ الدِّين الحلّي:

لا عَيْبَ فيهمْ سِوَى أَنَّ النَّزِيلَ بهمْ يَسلو عنِ الأَهْلِ والأَوْطانِ والحشَمِ

- لا خيرَ في هؤلاء القوم إلا أَنهم يعيبونَ زمانَهم والعيبُ فيهم.

- وقال جعفر القرشي

ولا عَيْبَ فيه لامرئٍ غيرَ أنَّهُ تعَابُ لهُ الدُّنْيا وليْسَ يُعابُ

- وقال الشاعر:

تُعَدُّ ذُنوبي عِنْد قَومٍ كَثِيرةً ولاَ ذَنْبَ لِي إلا العُلا والفَضائِلُ

من شعرائنا: دعبل الخزاعي[1].

أبو عليّ دِعبل بن عليّ بن رزين الخُزَاعِيّ، ولد في عام 148 هـ / 765 م. شاعر شهير معروف. بيته بيت علم وفضل وأدب، وقد روي: أنّ رسول الله ﷺ قد دعا لجدّه الأعلى بديل بن ورقاء إذ قال فيه: « زادك الله جمالاً وسؤدداً وأمتعك وَوُلْدَكَ». كان كثير الأسفار، يخرج فيغيب سنين يدور الدنيا، وقد سافر إلى الريّ والحجاز وخراسان. امتاز في حياته بخصال أربع: تهالكه في حبّ أهل بيت الرحمة عليهم السلام، ونبوغه في الشعر والأدب والتأريخ وما كتب في ذلك، وروايته للحديث وقد روي عنه، وعلاقته بالخلفاء والخلافة مدّاً وجزراً، مع ما في ذلك من تندّره بالنكتة والطرفة. اغتيل في الأهواز بأمر مالك بن طوق في قرية من نواحي السوس بعد صلاة العشاء وكان يومها ابن ثمان وتسعين رحمه الله. وله في رثاء أبي عبد الله الحسين عليه السلام قصيدة ذاع صيتها واشتهرت على ألسنة الشيعة إلى يومنا هذا؛ ذهب شاعرنا إلى فيض النبوّة، الإمام الرضا عليه السلام ليتبرّك بمشاهدته ويتشرّف بالمثول بين يديه، حيث خلع أبو الحسن عليه السلام عليه قميصاً من قُمُصِه وخاتَماً من خواتمه بفصّ عقيق ودراهم رَضَوِيّة. وقد أنشدها بحضور الإمام الرضا عليه السلام فقال فيها:

بَكَيتُ لِرَسمِ الدارِ مِن عَرَفاتِ ... دَمْعَ العَينِ في الوَجَناتِ
وَفَكَّ عُرى صَبري وَهاجَت صَبابَتي ... رُسومُ دِيارٍ قَد عَفَت وَعِراتِ
مَدارِسُ آياتٍ خَلَت مِن تِلاوَةٍ ... وَمَنزِلُ وَحيٍ مُقفِرُ العَرَصاتِ
لِآلِ رَسولِ اللَهِ بِالخَيفِ مِن مِنىً ... وَبِالرُكنِ وَالتَّعريفِ وَالجَمَراتِ
دِيارُ عَلِيٍّ وَالحُسَينِ وَجَعفَرٍ ... وَحَمزَةَ وَالسَجّادِ ذي الثَفِناتِ

(1) الشيخ الصدوق، عيون اخبار الرضا، ج1 ص 295.

مَنازِلُ كانَت لِلصَلاةِ وَلِلتُقى وَلِلصَومِ وَالتَطهيرِ وَالحَسَناتِ
قِفا نَسأَلِ الدارَ الَّتي خَفَّ أَهلُها مَتى عَهدُها بِالصَومِ وَالصَلَواتِ

الى أن يقول:

أَفاطِمُ لَو خِلتِ الحُسَينَ مُجَدَّلاً وَقَد ماتَ عَطشاناً بِشَطِّ فُراتِ
إِذَن لَلَطَمتِ الخَدَّ - فاطِمُ- عِندَهُ وَأَجرَيتِ دَمعَ العَينِ في الوَجَناتِ
أَفاطِمُ قومي يا ابنَةَ الخَيرِ وَاندُبي نُجومَ سَمَواتٍ بِأَرضِ فَلاةِ
قُبورٌ بِكوفانٍ وَأُخرى بِطَيْبَةٍ وَأُخرى بِفَخٍّ نالَها صَلَواتي
وَأُخرى بِأَرضِ الجوزَجانِ مَحَلُّها وَقَبرٌ بِباخَمرا لَدى القُرُباتِ
وَقَبرٌ بِبَغدادٍ لِنَفسٍ زَكِيَّةٍ تَضَمَّنَها الرَحمَنُ في الغُرُفاتِ

قال له الإمام الرضا عليه السلام: أفلا أُلحق لك بهذا الموضع بيتين بهما تمام قصيدتك؟ فقال: بلى يا ابن رسول الله، فقال عليه السلام:

وقبر بِطُوسٍ يا لها من مصيبةٍ تَوَقَّدُ في الأحشاء بالحُرُقَاتِ
إلى الحشر حتّى يبعثَ الله قائماً يفرّجُ عنّا الهمَّ والكُرُبَاتِ

فقال دِعبل: يا ابن رسول الله هذا القبر الّذي بطوس قبر من هو؟ فقال الرضا عليه السلام: قبري ولا تنقضي الأيّام والليالي حتّى تصير طوس مختلف شيعتي وزوّاري. ألا فمن زارني في غربتي بطوس كان معي في درجتي يوم القيامة مغفوراً له، ثمّ نهض الإمام الرضا عليه السلام بعد فراغ دِعبل من إنشاد القصيدة.

جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
AL - MAAREF ISLAMIC CULTURAL ASSOCIATION
بيروت - لبنان - المعمورة - الشارع العام
تلفون: 01/471070 فاكس: 01/476142
www.almaaref.org
1001071